معسكر اعتقال
صوبيبور

رمسيس عوض



بدأ العمل فى إنشاء معسكر صوبيبور فى مارس 1942، أى فى الوقت نفسه الذى بدأت عمليات الإبادة فى معسكر اعتقال بلزيك Belzec وأسندت إلى ريتشارد تومالا Richard Thomalla العامل فى الإدارة المركزية للمبانى فى لوبلين مهمة تشييد معسكر صوبيبور، واستخدم النازيون العمالة المحلية التي تقطن المدن والقرى المجاورة فى إقامة هذا المعسكر، وتم إحضار ثمانين يهوديًا من سكان المناطق المجاورة إلى قرية صوبيبور للقيام بأعمال البناء وجاءت من ترافينيكى Trawniki فرقة من الحراس تتكون من الأوكرانيين لمراقبة هؤلاء العمال وبعد انتهاء اليهود من عملية البناء تخلص منهم الأوكرانيون بضربهم بالرصاص.



تصميم الغلاف: أحمد بلال

معسكر الاعتقال النازى فى بولندا

(صوبيبور)

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عوض، رمسيس.
معسكر الاعتقال النازى فى بولندا (صوبيبور).
رمسيس عوض.
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٥
٢٠٨ص : ٢٤سم
١ - عوض، رمسيس - المذكرات.
أ - العنوان. ٩٢٠

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٥٥٤٠
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 978-977-92-0180-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأى المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El- Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 27352396 Fax : 27358084

www.scc.gov.eg

المجلس الأعلى للثقافة

معسكر الاعتقال النازى فى بولندا
(صوبيبور)

رمسيس عوض



٢٠١٥

الفهرس

الفصل الأول

عن معسكر صوبيبور

صوبيبور اسم قرية صغيرة فى منطقة مليئة بالغابات تقع عى شريط تشيلم فلودوفا Chelm-wlodowa للسكك الحديدية. وعلى بعد خمسة كيلو مترات شرق صوبيبور يقع نهر البوج Bug على الحدود الفاصلة بين بولندا (أو الحكومة العامة) وقوميسارية أوركرانيا التابعة للرايخ الألمانى. وكانت المنطقة بأكملها مليئة بالأحراش والغابات لا يسكنها سوى عدد ضيئل جداً من السكان. وقد وقع عليها اختيار الإدارة العامة للمبانى التابعة لوحدة البوليس الخاصة فى مقاطعة لوبلين Lublin لتكون موقعاً لمعسكر صوبيبور للموت، والذى أنشئ غرب محطة سكة حديد صوبيبور وأحاطت بهذا المعسكر غابة غير كثيفة من أشجار الأناناس، وبالقرب من مبانى محطة السكة الحديد كانت هناك حافة بارزة من الجبل صارت جزءاً من موقع المعسكر يستخدم فى إنزال الأفواج المرحلة، وكان هناك مبنيان من الخشب فى المنطقة التى اختيرت لإنشاء المعسكر وكان أحد هذين المبنيين مخصصاً لسكن حارس الغابة والآخر لمكتب بريد يتكون من طابقين واشتملت كل منطقة المعسكر على مستطيل مساحته ٦٠٠ متر × ٤٠٠ متر، وفيما بعد أجريت توسعات على هذا المعسكر.

بدأ العمل فى إنشاء معسكر صوبيبور فى مارس ١٩٤٢؛ أى فى الوقت نفسه الذى بدأت فيه عمليات الإبادة فى معسكر اعتقال بلزيك Belzec وأسندت إلى ريتشارد توما لا Richard Thomalla العامل فى الإدارة المركزية للمبانى فى لوبلين مهمة تشييد معسكر صوبيبور، واستخدم النازيون العمالة المحلية التى تقطن المدن والقرى المجاورة

فى إقامة هذا المعسكر. وتم إحضار ثمانين يهوديًا من سكان المناطق المجاورة إلى قرية صوبيبور للقيام بأعمال البناء. وجاءت من ترافينيكى Trawniki فرقة من الحراس تتكون من الأوكرانيين لمراقبة هؤلاء العمال. وبعد انتهاء اليهود من عملية البناء تخلص منهم الأوكرانيون بضربهم بالرصاص.

وفى بداية أبريل عام ١٩٤٢ - تأخر تشييد المعسكر عما هو مخطط له وللتعجيل ببناء معسكر قام جلوبوكنيك Globoecnik بتعيين فرانز ستانجل Franz Stangl قومندانًا على معسكر صوبيبور، وأصدر جلوبوكنيك أمرًا إلى ستانجل بالسفر إلى معسكر بلزيك لمقابلة القائد ويرث Wirth للاسترشاد برأيه وخبرته من أجل بناء معسكر صوبيبور. وقد وصف ستانجل زيارته إلى معسكر بلزيك قائلاً :

"انتقلت بالسيارة إلى هناك، وتعين عليَّ عند الوصول المرور أولا بمحطة سكة حديد بلزيك... يا إلهى ويا لها من رائحة نتنة تلك التى ملأت المكان... لم أجد ويرث فى مكتبه. وأذكر أنهم أخذونى إليه، كان ويرث واقفًا على تل يطل مباشرة على الحفر المليئة ليس بمئات الجثث بل بالآلاف منها. وهناك أخبره ويرث أنه وقع الاختيار على ذلك المكان معسكر صوبيبور، وقال لى ويرث: إنه يتعين على بكل تأكيد أن أصبح قومندان معسكر صوبيبور فأجبته بأنى لست مؤهلاً للقيام بهذه المهمة. وتلقيت من جلوبوكنيك التعليمات الخاصة بإنشاء المعسكر وأخيرًا علمت من ويرث أن المعسكر لن يكون مخصصًا لحفظ الذخيرة، ولكنه سوف يكون معسكرًا لقتل اليهود. وأثناء مناقشاتى مع ويرث أخبرنى أننى إذا رفضت القيام بهذه المهمة فسوف يأتى آخر للقيام بها، وإنه عندئذ سوف يعيدنى إلى جلوبوكنيك؛ كى أكون تحت تصرفه. والواقع أنه لم يتم إعفائى من هذه المهمة؛ حيث إننى بقيت فى صوبيبور. وبعد وصول الأفواج المرحلة تمت إبادتها.

وبعد وصول ستانجل إلى قرية صوبيبور تسارعت وتيرة بناء معسكر صوبيبور، وتم إحضار مجموعة ثانية من اليهود من الجيتوهات الموجودة فى مقاطعة لوبلين لاستكمال بناء معسكر صوبيبور.

وفى معسكر صوبيبور أقيمت أولى غرف الغاز فى مبنى متين من الطوب المقام على أساس من الخرسانة. وكانت غرف الغاز تقع فى الجزء الشمالى الغربى من

المعسكر، وهو جزء أكثر عزلة وبعداً من أجزاء المعسكر الأخرى، كما هو الحال فى معسكر بلزيك الذى اشتمل على ثلاث غرف غاز مساحة كل منها ٤ أمتار × ٤ أمتار. وكانت كل غرفة منها تسع نحو مائتى ضحية يدلف إليها عبر باب منفصل يطل على فيراندا تمتد بطول المبنى. وفى الجانب المقابل من المبنى كانت هناك مجموعة من الأبواب التى تستخدم فى إخراج الجثث ونقلها، وفى الخارج كانت هناك حظيرة ركب فيها محرك (موتور) يزود الغرفة بغاز الكاربون مونوكسيد. وكانت المواسير تنقل الغاز من المحرك إلى داخل الغرف.

وفى منتصف أبريل ١٩٤٢ عندما شارف مبنى معسكر صوبيبور على الانتهاء أجريت فيه تجارب لمعرفة مدى نجاعته فى قتل الضحايا. فتم إحضار ما يقرب من ٢٥٠ يهودياً من معسكر العمل فى كريشون KRYCHOW القريب من صوبيبور لإجراء مثل هذه التجارب عليهم. وقد وصل ويرث إلى صوبيبور لمشاهدة هذه التجارب وحضر معه كيميائى تابع لبرنامج القتل الرحيم يحمل اسماً مستعاراً هو الدكتور كارل بلوروك Karl Blourock. وقد ترك إيرنج فوكس Erich Fuchs رجل وحدة البوليس الخاصة الذى سبق له العمل فى معسكر بلزيك وضعاً للاستعدادات وأولى تجارب القتل فى صوبيبور، يقول إريخ فوخس:

"طبقاً لأوامر ويرث قمت بقيادة السيارة إلى لوف Luov قرية صوبيبور القريبة من محطة السكة الحديد، وشاهدت قطعة أرض أقيم عليها بناء خرسانى وبعض المبانى المتينة الأخرى. كان ثومالا يتولى قيادة هذا المعسكر، وأيضاً حضر أعضاء آخرون تابعون لوحدة البوليس الخاصة بأمثال ف. ب. ستانجل وف. شوارتز F. Schwartz وكيرت بولندر Kurt Bolender وقمنا بإنزال المحرك، وكان محرك بنزين ثقيل الوزن من الطراز الروسى (ومن المحتمل أنه كان محرك دبابة أو جرار قوته مائتى حصان على أقل تقدير (وهو محرك حرف V ثمانية سيلندرات يتم تبريده بالماء). وقمنا بتركيب المحرك على قاعدة خرسانية، كما قمنا بتوصيل العادم بالماسورة، ثم قمت باختبار المحرك ولكنه لم يعمل، غير أنى تمكنت من إصلاح الاشتعال والصمامات. وأخيراً بدأ

المحرك فى العمل. ودخل الكيميائى الذى عرفته من معسكر بلزيك غرفة الغاز ومعه معدات القياس لاختبار درجة تركيز الغاز. وبعدئذ أجريت تجربة لمعرفة مفعول الغاز. وإذا كانت ذاكرتى لا تخوننى تم الإجهاز بالغاز على نحو ثلاثين أو أربعين امرأة فى إحدى غرف الغاز. وأرغموا النساء اليهوديات على خلع ملابسهن فى مكان عراء بالقرب من غرفة الغاز. ثم تولى رجال الوحدة الخاصة المذكورة أسماؤهم وبعض المساعدين الأوكرانيين دفعهن داخل هذه الغرفة. وعندما دلفت إليها النساء قمت أنا وبولندر بتشغيل الموتور. وفى البداية كان موتور المحرك يشير إلى وضع السكون، فقمنا أنا وبولندر بتغييره إلى وضع الحركة، حتى يتم ضخ الغاز فى الغرفة. وحسب اقتراح الكيميائى قمت بتثبيت حركة الموتور على سرعة محددة لا نحتاج لأكثر منها لضخ الغاز. وبعد مضى نحو عشر دقائق فاضت أرواح النسوة الثلاثين أو الأربعين، وأعطانا الكيميائى وقائد وحدة البوليس الخاصة الإشارة لإيقاف الموتور، وقمت بجمع عدتى وآلاتى ورأيت طريقة نقل الجثث على ظهر شاحنة (تريلة) من غرف الغاز إلى مكان بعيد.

وبعد إجراء هذه التجربة والتأكد من فاعلية الغاز واستكمال بعض المنشآت الأخرى فى صوبيبور أصبح هذا المعسكر جاهزًا للعمل ومستعداً لأداء مهمته. علماً بأن معسكر صوبيبور أنشئ على غرار معسكر بلزيك. وعلى غرار معسكر بلزيك ينقسم معسكر صوبيبور إلى ثلاثة أجزاء؛ جزء خاص بإدارة المعسكر، وجزء آخر لاستقبال السجناء وإيوائهم، وجزء ثالث لإبادتهم. وكانت المنطقتان المخصصتان للإدارة واستقبال السجناء قريبتين من محطة السكة الحديد، وفى حين كان الجزء الخاص بالإبادة فى أبعد مكان فى المعسكر.

وأيضًا انقسمت منطقة الإدارة الواقعة فى جنوب شرق المعسكر إلى معسكرين فرعيين هما المعسكر الأمامى والمعسكر رقم (١). واشتمل المعسكر الأمامى على بوابة الدخول، ونفق يؤدى إلى السكة الحديد وقاعات المعيشة وخدمات وحدة البوليس الخاصة والأوكرانيين. وبخلاف معسكر بلزيك كان جميع رجال الوحدة الخاصة فى صوبيبور يعيشون داخل المعسكر، وكان السجناء اليهود الذين يعملون فى معسكر صوبيبور

يعيشون فى معسكر رقم (١). وكانت هذه المنطقة تشمل قاعات معيشتهم والورش؛ حيث عمل البعض منهم فى صنع الأحذية وكترزية وحدادين... إلخ.

كانت منطقة الاستقبال تسمى المعسكر رقم (٢) حيث كانت أفواج اليهود تعيش بعد وصولها، وتشمل هذه المنطقة الثكنات التى يخلع فيها الضحايا ملابسهم والثكنات التى تحتفظ بثيابهم ومتعلقاتهم. وكان منزل حارس الغابة سابقًا يقع فى هذه المنطقة، ولكن تم تخصيصه كمكاتب للمعسكر ومكان لمعيشة بعض أفراد وحدة البوليس الخاصة وأقيم سور خشبى مرتفع للحيلولة دون رؤية السجناء لهذه المكاتب وأمكنة معيشة الوحدة الخاصة. ولقد قام هذا السور المرتفع بفصل منزل الحارس السابق للغابة عن المنطقة التى يمر فيها السجناء الضحايا، وعند الركن الشمالى الشرقى فى السور يبدأ النفق الذى يربط المعسكر رقم (٢) بمنطقة الإبادة، وهو نفق ضيق يبلغ عرضه ثلاثة أو أربعة أمتار ويمتد طوله ١٥٠ مترًا. وكان هذا النفق محاطًا من الجانبين بأسلاك شائكة مشتبكة بأفرع الشجر. وكان النازيون يدفعون ضحاياهم فى هذا الممر؛ حيث يقع فى منتصفه صالون حلاقة لحلق شعر اليهوديات قبل اقتيادهن إلى غرف الغاز.

وكانت منطقة الإبادة التى تعرف بالمعسكر رقم (٣) تقع فى شمال غرب المعسكر، وهى تشمل غرف الغاز وحفر دفن الموتى وثكنة يعيش فيها السجناء اليهود العاملون هناك وثكنة أخرى للحراس وكان طول حفر الدفن يتراوح من ٥٠ إلى ٦٠ مترًا وعرضه نحو ١٠ إلى ١٥ مترًا كما تراوح عمقها من خمسة إلى سبعة أمتار. وكانت جوانب الحفر الرملية متدحرجة، الأمر الذى سهل عملية إلقاء الجثث فى هذه الحفر. وكان هناك شريط سكة حديد ضيق يسير عليه ترولى لنقل الجثث إلى حفرات الدفن. وكان السجناء الذين يموتون أثناء رحلة القطار والعاجزون عن السير إلى غرف الغاز ينقلون إليها عن طريق الترولى.

كان المعسكر بأكمله محاطًا بالأسلاك الشائكة المشتبكة بأفرع الشجر. وعلى طول هذا السور وفى أركان المعسكر أقيمت أبراج المراقبة. كما أن جميع المعسكرات الفرعية وخاصة المعسكر رقم (٣) كانت معزولة عن بعضها البعض بأسلاك شائكة كثيفة.

وبعد أن تم تركيب المنشئات الأساسية اللازمة لإبادة السجناء بدأ معسكر صوبيبور يستكمل شكله التنظيمي، ففي بادئ الأمر كان هيرمان ميشيل Hermann Michel ينوب عن ستانجل في قيادة المعسكر، ولكن بعد مضي أشهر قليلة حل محله نائب آخر هو جوستاف فاجنر Gustav Wagner. وكان آخر عن ستانجل يشرف على المعسكر رقم (١) حيث يعيش السجناء اليهود ونائبًا آخر مسئولا عن منطقة الإبادة. وقد حل القائد كارل فرنزل Karl Frenzel محل فايس Weiss كقائد للمعسكر رقم (١). واقتضى الواجب من فرنزل الإشراف على السجناء اليهود العاملين في المعسكر رقم (٢). وأيضًا عين كيرت بولندر قائدًا للمعسكر رقم (٣) في الفترة من أبريل ١٩٤٢ حتى خريف العام نفسه. ثم حل محله فيما بعد قائد آخر هو إريخ بوور Erich Bauer، علمًا بأن الفريد إتينر Alfred Ittner التحق بالعمل في إدارة المعسكر رقم (٣) في وقت لاحق.

وانقسمت وحدة الحرس الأوكراني في معسكر صوبيبور إلى ثلاث فصائل جاءت من معسكر ترافنيكي للتدريب بقيادة قواد أدى معظمهم الخدمة في البوليس الألماني، وقد أصبح إريخ لاخمان Erich Lachman ضابط الشرطة السابق الذي تولى تدريب الأوكرانيين في ترافينيكي قومندانهم في صوبيبور، ثم حل محله كيرت بولندر في قيادة الأوكرانيين في خريف عام ١٩٤٢.

وكما كان الحال في معسكر بلزيك تعين على كل ألماني عامل في خدمة المعسكر أن يؤدي وظيفة محددة. فعند وصول أفواج اليهود المرحلة اضطلع كل فرد من أفراد وحدة البوليس الخاصة في عملية الإبادة بمهمة معينة؛ مثل قيادة الوحدة الأوكرانية الإضافية، أو قيادة مجموعة العمل، أو المسئولية عن حفر الحفر لدفن الموتى وإقامة أسوار الأسلاك الشائكة... إلخ.

وخلاصة القول: إن معسكر الموت في صوبيبور أصبح جاهزًا للعمل نحو نهاية أبريل ١٩٤٢ . يقول لنا السجين دوف فريبرج Dov Freiberg الذي حضر إلى صوبيبور ضمن أول فوج قادم في مايو ١٩٤٢ :

"بدأ المعسكر وكأنه مزرعة عادية باستثناء الأسوار المصنوعة من الأسلاك الشائكة المحيطة به وباستثناء بعض المعسكرات. وفى الواقع كان هذا المعسكر مزرعة بكل ما عليها من مبان تتوسطها غابة خضراء جميلة. وأيضًا بدا أن المعسكر أقيم على عجل وأن التركيبات الأساسية كانت قليلة العدد. وأعنى بذلك المعسكر رقم (١) والمعسكر رقم (٢) (فى منطقتى الاستقبال والإدارة). غير أننا حتى ذلك الوقت كنا لا نعلم شيئًا عن وجود المعسكر رقم (٣) المخصص لإبادة السجناء.

وفيما يلى وصف تفصيلى لمعسكرات صوبيبور الأربعة :

(١) المعسكر الأمامي ويشتمل على التالى :

رصيف لتفريغ البضائع- عيادة طب أسنان وسجن للحرس الأوكرانى - مقر الحرس - مخزن لملابس وحدة البوليس الخاصة - مقر وحدة البوليس الخاصة - مقر آخر لوحدة البوليس الخاصة - المغسلة - بئر - دشات الحمامات - وحدة البوليس الخاصة - جراج - مطبخ - مقصف وحدة البوليس الخاصة - مقر معيشة قواد المعسكر - مخزن الذخيرة - ثكنات الحرس الأوكرانى - ثكنات أخرى للحرس الأوكرانى - مخبز.

(٢) المعسكر رقم (١) :

المستوصف - محل ترزى خاص برجال وحدة البوليس الخاصة - محل لصنع الأحذية وسروج الخيل التى يستخدمها رجال وحدة البوليس الخاصة - محل حدادة - محل نجارة - مراحيض - محل طلاء ودهان - ثكنات السجناء الذكور - مطبخ السجناء - ثكنات السجينات - محل صنع أحذية الأوكرانيين - حفرة مليئة بالماء.

المعسكر رقم (٢) : يحتوى على ثكنات خلع الملابس وضع فيها المرحلون ملابسهم ومتعلقاتهم - ثكنات لحفظ العفش - فناء لخلع الملابس - مخزن لحفظ الطعام الذى يحضره المرحلون - مولد كهربائى - مخزن للفضيات - إصطبل وشون غلال - مبنى الإدارة وغرفة لحفظ الأشياء الثمينة - غرفة كى ملابس رجال وحدة البوليس الخاصة - مخزن للأحذية - حديقة - ثلاث ثكنات لحفظ ممتلكات السجناء - ثكنة لقص شعر النساء - جهاز لحرق القمامة والمخلفات - كنيسة صغيرة سابقة - مراحيض.

المعسكر رقم (٣) : يحتوى على ثكنات لسجناء المعسكر رقم (٣) - ثكنات أخرى لسجناء المعسكر رقم (٣) ومطبخ وعيادة لعلاج الأسنان - غرف الغاز - حجرة موتور ضخ الغاز - فناء يحيط به سور - مقابر جماعية - محرقة خارجية.

محطة سكة حديد وقرية صوبيبور

مبنى محطة السكة الحديد - مساكن عمال السكة الحديد البولنديين - بيوت العمال الزراعيين المحليين - مزارع الفلاحين البولنديين - مساكن عمال السكة الحديد.

كما يحتوى معسكر صوبيبور على التالى : برج مراقبة - حقل ألغام - خط سكة حديد - شريط سكة حديد ضيق - سور أسلاك شائكة- سور أسلاك شائكة للتمويه - برج حارس الغابة.

معسكر صوبيبور فى الفترة من مايو إلى يوليه ١٩٤٢

بعد إجراء تجارب قتل السجناء فى صوبيبور فى أبريل عام ١٩٤٢ بدأ تنفيذ عمليات القتل الجماعى هناك بشكل روتينى فى الأيام الأولى من مايو ١٩٤٢. وقام بتنفيذ هذه العمليات قومندان معسكر صوبيبور، الذى سبق له زيارة معسكر بلزيك من أجل دراسة أساليب الإبادة هناك؛ لاستخدامها فى معسكر صوبيبور، وتلقى النصح والتعليمات الإضافية من ويرث عند قيامه بزيارة صوبيبور أثناء إجراء تجارب القتل فى هذا المعسكر. ومن ثم يمكن القول بوجود تحسن فى إجراءات القتل فى فينوز عما كان هناك فى معسكر بلزيك.

كانت القطارات التى تقل الأفواج المرحلة تتوقف فى محطة صوبيبور التى دخلتها قاطرة تجر نحو عشرين عربة بضاعة. فإذا زاد عدد عربات البضاعة عن ذلك تم تقسيمها إلى جزءين أو ثلاثة، وحظر على مرافق القطار وعمال السكة الحديد دخول أرض هذا المعسكر، كما تم استبدال طاقم من الألمان الموثوق بهم العاملين فى قطاع السكة الحديد بهؤلاء العمال لقيادة القطار داخل المعسكر، ثم صدر الأمر إلى المرحلين بالنزول من القطار لاقتيادهم إلى منطقة الاستقبال فى المعسكر رقم (٢).

ويصف دوف فريبرج Dov Freiberg الناجى من الموت فى معسكر صوبيبور وصوله إلى هذا المعسكر.

"قام الألمان والأوكرانيون بفتح عربات البضاعة وإنزالنا بالقوة منها، حدث هذا فى ١٥ من مايو ١٩٤٢، وتم اقتيادنا عبر بوابة إلى ميدان تحيط به الأسلاك الشائكة، وهناك عزلونا عن بعضنا البعض، الرجال فى جانب والنساء فى جانب آخر، وبعد مضى فترة قصيرة اقتاد رجال الوحدة الخاصة النساء والأطفال بعيداً دون أن نعرف المكان الذى ذهبوا إليه. غير أننا سمعنا الصرخات وضحكات رجال الوحدة الخاصة عند خلع السجناء لملابسهم. وبعد ذلك سمعنا خليطاً من الأصوات ومحركاً (موتوراً)، يعمل وصوت غرف الأوركسترا .... وأبقونا هناك حتى الصباح. كان الأمر فظيعاً، وانهال

علينا الأوكرانيون ضربًا، ولم يسمحوا لنا بالذهاب إلى المراحيض، وكنا نقضى حاجتنا فى المكان نفسه الذى نحن فيه، وأخبرونا أنه لن يلحق بنا أذى، وأنه تم إرسال النساء إلى أعمالهن... وفى الصباح ظهر بعض رجال الوحدة الخاصة لانتقاء بعض العمال المهرة. ثم وقع اختيارهم على بعض الشبان الأشداء والرجال الأقوياء. وكنت أنا واحدًا منهم. كان عددنا نحو ثلاثين رجلاً، وكان لزامًا علينا القيام بترتيب ملابسنا وطرودنا".

وأيضًا شهد على وقوع عمليات القتل فى معسكر صوبيبور وكيرت بولندر العامل فى هذا المعسكر فهو يقول :

"قبل أن ينزع اليهود ملابسهم ألقى هيرمان ميشيل نائب قومندان المعسكر خطابًا على مسامعهم. كان من عادته فى تلك المناسبات أن يرتدى معطفًا أبيض اللون ليعطى الانطباع بأنه طبيب، وأعلن ميشيل لليهود أنهم سوف يرسلون إلى العمل ولكن تعين عليهم قبل ذلك أن يستحموا ويتطهروا من الحشرات لمنع انتشار الأمراض... وبعد خلع ملابسهم اقتادهم الأوكرانيون وليس الألمان إلى غرف الغاز، وبعد دخولهم هذه الغرف قام الأوكرانيون بإغلاق الأبواب، وقام أوكرانى يدعى إميل Emil وسائق ألمانى يدعى إيرخ بوور من برلين بتشغيل الموتور الذى يضخ الغاز، وبعد قتلهم بالغاز فتحت الأبواب وقامت مجموعة من العمال اليهود بنقل الجثث.

وتصف لنا ناجية من الموت فى معسكر صوبيبور اسمها أدا ليختمان Ada Lichtman طريقة ميشيل فى إلقاء الخطب عليهم عند وصولهم:

"سمعنا كل كلمة تفوه بها ميشيل وهو واقف على منضدة صغيرة لإقناع الناس بالطمأنينة والتزام الهدوء. ووعدهم برد جميع متعلقاتهم إليهم بعد استحمامهم قائلاً لهم: إن الوقت حان كى يصبح اليهود عنصرًا منتجًا. وأضاف أن جميع اليهود حاليًا سوف يذهبون إلى أوكرانيا للعيش والعمل فيها، وأدخل هذا الخطاب فى نفوس السامعين الثقة والحماس لدرجة أنهم صفقوا له على نحو تلقائى؛ بل إنهم أحيانًا انخرطوا فى الرقص والغناء".

وأيضًا كان النازيون يكذبون على الموتى وكبار السن العاجزين عن المشى فيقنعونهم أنهم سيأخذونهم إلى المستوصف لتلقى العلاج، فى حين أنهم كانوا ينقلونهم بالعربات التى يجرها الرجال أو الخيل إلى المعسكر رقم (٣) لإبقائهم فى حفر مكشوفة حيث يطلق عليهم الرصاص.

وبعد مرور الأسابيع القلائل الأولى تمت إقامة ثكنة يخلع فيها المرحلون ملابسهم بدلاً من خلعها فى الميدان المكشوف الموجود فى المعسكر رقم (٢)، وفى هذه الثكنة علقت علامات تشير إلى مقر الخزينة والحمامات. وصدر الأمر إلى اليهود بالتوجه إلى الخزينة لتسليم أموالهم ومقتنياتهم الثمينة. وكانت هناك حجرة فى البيت الكائن فى الغابة تطل على ممر يسير فيه السجناء العرايا وهم فى طريقهم إلى النفق وغرف الغاز؛ حيث قام الضحايا بتسليم نقودهم وممتلكاتهم الثمينة خلال نافذة الحجرة تحاشيًا لتهديد النازيين بالقتل.

وكان الصراف الذى يتلقى هذه النقود والأشياء الثمينة رجلاً بوحدة البوليس الخاصة ومحاسبًا للمعسكر اسمه ألفريد إتينر Alfred Ittener الذى حل محله بعد هانز شوت Hans Schutt وفلوس Floss التابعين لوحدة البوليس الخاصة، وإذا كان لدى المستلم فسحة من الوقت أعطى اليهود إيصالات عن نقودهم وممتلكاتهم عبارة عن أرقام لإيامهم بأن مستحقاتهم ومقتنياتهم فى الحفظ والصون وأنها سوف ترد إليهم بعد استحمامهم.

يقول إريخ بوور أحد المسئولين فى المعسكر رقم (٢) ما يلى :

"فى العادة كان خلع الملابس يتم بيسر وسهولة. وبعده يتم اقتياد اليهود عن طريق النفق إلى المعسكر رقم (٣). وكان انتقالهم عبر النفق يسير على النحو التالى: كان أحد رجال وحدة البوليس الخاصة فى المقدمة، فى حين كان خمسة أو ستة حراس أو كرانيين فى المؤخرة يدفعون اليهود؛ لإسراع الخطى؛ واقتيدت النساء عبر ثكنة لحلق شعرهن. وكان رجال وحدة البوليس الخاصة يستقبلون اليهود فى المعسكر رقم (٣).... وكما سبق لى أن ذكرت تولى جوترنجر Gotringer وأحد الحرس الأوكرانى لا أذكر اسمه تشغيل الموتور. وبعدئذ أخرجوا جثث اليهود الذين ماتوا بالغاز.

وعندما كانت أفواج المرحلين تصل فى المساء أو الليل احتفظ بهم النازيون حتى الصباح تحت الحراسة فى المعسكر رقم (٢)، ثم اقتيدوا إلى غرف الغاز بعد خلع ملابسهم. وفى العادة كانت عملية الإبادة لا تتم تحت جنح الظلام، وفى العادة أيضًا كان الألمان والأوكرانيون يضربون ضحاياهم ضربًا وحشيًا وهم يسوقونهم إلى حتفهم فى غرف الغاز. وعلى سبيل المثال كان الكلب بارى Barry مدربًا على نهش لحم الضحايا العرايا وهم فى طريقهم إلى غرف الغاز، وهربًا من وطأة عضات الكلب وضربات الحراس أسرع الضحايا الخطى وهرعوا إلى الدخول إلى حمامات الغاز.

وفى يوم ١٠ من يونيه ١٩٤٢ وصل فوج من اليهود قادمًا من جيتو بيالا بودلاسكا Biadal Podlaska إلى معسكر صوبيبور، وظن هؤلاء السجناء أنهم سوف يرسلون إلى معسكر العمل. وعندما نزلوا من القطار قام واحد من الحراس المرافقين لهم بتسليم خطاب إلى أحد رجال الوحدة الخاصة الذى كان فى انتظار الفوج، وكان هذا الخطاب موجهًا فى بلدية بيالا بودلاسكا ويوصى بحسن معاملة اليهود، الأمر الذى اعتبره رجل الوحدة الخاصة وقاحة واستفزازًا، وبدلاً من حسن معاملتهم قام هذا الرجل بإرسالهم مباشرة إلى غرف الغاز باستثناء مائتين منهم أجبرهم على نقل العفش من المعسكر رقم (٢) وتحميله على القطار، فى حين قام الألمان والأوكرانيون بضرب كوردون حولهم، وتعين على اليهود الجرى أثناء حملهم العفش بين الحراس الذين أوسعوهم ضربًا بالسياط والهراوات، فضلاً عن إطلاق الكلب المفترس بارى عليهم، وأخيرًا انتهى أمرهم بإرسالهم إلى غرف الغاز.

ووقع اختيار النازيين على عدد محدود من العمال المهرة بضم نجارين وترزية وصانعى أحذية وعشرات من الشبان والشابات وتكليفهم بالقيام بالأعمال التى تتطلب مجهودًا بدنيًا، وكان المصير اليومى لبعضهم الموت فى غرف الغاز، وتلخص عملهم فى تفريغ جثث الذين يموتون فى القطارات ونقلها إلى حفر الدفن، إلى جانب نقل المرضى والعواجيز إلى المعسكر رقم (٣) حيث تم رميهم بالرصاص، كما تم تكليف بعض اليهود الذين وقع عليهم الاختيار بالعمل فى المعسكر رقم (٣) فى نقل الموتى من غرف

الغاز ودفنهم، فى حين كُلِّف زملاؤهم بتجميع وفرز مقتنيات الضحايا ومتعلقاتهم وإعدادها لنقلها من المعسكر.

ويصف هيرشل زوكرمان الذى وصل إلى معسكر صوبيبور فى ١٣ من مايو ١٩٤٢ الأسلوب المتبع فى إرسال مجموعات الرجال إلى غرف الغاز بقوله :

"اقترب منا بعض رجال الوحدة الخاصة كل بضعة دقائق ليسألوا إذا كان بيننا صانع أحذية أو ترزى... إلخ واعتقد السجناء أنه من صالحهم الظهور كعمالة ماهرة، ولهذا استجابوا للأسئلة الموجهة إليهم، ثم ساروا فى مجموعات يتراوح عددها بين الثلاثمائة والأربعمائة وهم يعتقدون أنهم سوف يرسلون إلى معسكر عمل وحقيقة أنهم أقتيدوا مباشرة إلى غرف الغاز القائمة فى المعسكر رقم (٣).

غير أن بعض المرحلين فى سن الشباب من كلا الجنسين وقع عليهم الاختيار لإرسالهم إلى معسكرات عمل فى كل من أوسوفا Ossowa وسافين Sawin وكريتشوف Kry Chew بالقرب من صوبيبور، وبلغ عددهم بضع مئات من السجناء، ولكن معظمهم عادوا إلى معسكر صوبيبور فى وقت لاحق بعد انقضاء عدة أشهر، وذلك عقب تصفية هذه المعسكرات الفرعية الآنفة الذكر.

وفى بادئ الأمر لم يكن اليهود يعلمون مصير زملائهم الذين سبقوا إلى غرف الغاز فى المعسكر رقم (٣) ولكن اليهود العاملين فى المعسكر رقم (١) والمعسكر رقم (٢) اكتشفوا بمضى الوقت أن رفاقهم ماتوا فى غرف الغاز، وعلى عكس معسكر بلزيك كانت غرف الغاز فى معسكر صوبيبور معزولة عن بقية أرجاء المعسكر الأخرى حتى لا يرى أحد ما يجرى فيها. ويتضح لنا هذا مما يقوله دوف فريبرج الذى التحق بمعسكر صوبيبور فى مايو ١٩٤٢ للعمل فيه، يقول فريبرج: إن الأمل ظل يراوده ويراود العاملين معه لمدة أسبوعين فى أن زملاءهم لم يقتلوا؛ بل أرسلوا إلى أوكرانيا، معنى هذا أنهم لم يعرفوا شيئًا عن وفاتهم رغم أن محل عملهم كان لا يبعد أكثر من بضع مئات الأمتار من غرف الغاز.

وظل المئتان أو الثلاثمائة سجين يـهودى الذين احتفظ بهم النازيون فى المعسكر رقم (٣) يعملون فى نقل جثث الموتى فى غرف الغاز ودفنها دون أن يعرفوا شيئًا عما يجرى فى أرجاء المعسكر الأخرى، وكان الطعام الذى يتناولونه يتم طهيه فى المعسكر رقم (١)، ثم يقوم السجناء اليهود بنقله إليهم عند بداية المعسكر رقم (٣) فقد كان محظوراً حظراً باتًا اتصال السجناء اليهود ببعضهم البعض فى أى جزء من أجزاء المعسكر غير أن سجناء المعسكر رقم (١) كانوا يتوقون لمعرفة ما يجرى فى المعسكر رقم (٣). يقول الطباخ هوشل زوكرمان الذى أعد لسجناء المعسكر رقم (٣) طعامهم:

"خطرت لى فكرة.... اعتدت أن أرسل عشرين أو خمسة وعشرين جردلاً مليئًا بالطعام إلى عمال المعسكر رقم (٣)، ولم يكن الألمان يبدون أى اهتمام بما أطبخ. ولهذا أعددت ذات مرة فطيرة أخفيت فيها الخطاب التالى : (أصدقائى اكتبوا عما يحدث فى معسكركم)، وعندما أرجعوا الجرادل إلى وجدت فى أحدها قطعة ورق تحمل الرد التالى) :

(هنا تحدث مسيرة الإنسان الأخيرة حيث إنه لا عودة لأحد من ذلك المكان..). وقمت فى جانبى بإبلاغ بعض الناس بمحتوى هذا الخطاب".

لم يكن السجناء فى صوبيبور يعرفون ما يجرى لزملائهم اليهود فى المعسكر رقم (٣) إلا فى بداية يونيه ١٩٤٢ .

وظلت آلة الموت والإبادة فى معسكر صوبيبور تعمل لعدة أشهر بانتظام ودون توقف، وتم تطوير هذا المعسكر بما يتفق مع التحسينات التى طرأت على تقنيات الموت والإبادة عما كانت عليه فى معسكر بلزيك. والجدير بالذكر أن عدد أفواج السجناء المرحلين إلى معسكر صوبيبور كان أقل من الأفواج القادمة إلى بلزيك، كما أن عدد المرحلين من كل قطار متجه إلى صوبيبور كان أقل من عدد المرحلين إلى بلزيك.

وفى العادة لم يصل إلى معسكر صوبيبور أكثر من قطار واحد يوميًا؛ بل إنه أحيانًا مضت بضعة أيام دون أن يصل أى فوج إلى صوبيبور. ونادراً ما كان حجم

الفوج الواحد الوافد على متن قطار واحد يزيد على عشرين عربة بضائع تحمل ما بين ألفين وألفين وخمسمائة شخص.

كان ستانجل يهيمن على كل شيء في معسكر صوبيبور، ولا شك أن خبرته الطويلة كضابط بوليس وعمله في برنامج القتل الرحيم أفاده كثيراً في إدارة معسكر الموت في صوبيبور. وإليه يرجع الفضل في انتظام سير العمل في هذا المعسكر، والغريب أن اسمه كان غير معروف ويندر ترديده على ألسنة الناجين من الموت، على عكس أسماء رجال الوحدة الخاصة الآخرين المعروفين أمثال ميشيل وفاجنر وبوور وفرنزل وآخرين الذين ترددت أسماؤهم على ألسنة السجناء الناجين من الإبادة، ومعنى ذلك أن ستانجل كان القوة المحركة التي تعمل في الخفاء.

وفي ربيع عام ١٩٤٢ حضرت امرأة يهودية إلى صوبيبور قادمة من تشيلم من تلقاء نفسها للبحث عن زوجها الذي رحله النازيون ضمن أحد الأفواج، وأحضروا المرأة للمثول أمام ستانجل فطلبت منه أن يسمح لها بزيارة زوجها، ولا غرو فقد كانت هذه المرأة الساذجة لا تعرف ما يحدث داخل معسكر صوبيبور، ولا تعرف أن زوجها قد هلك مع غيره في غرف الغاز. واستدعى ستانجل مرءوسه ألفريد إتينر وأمره باقتياد المرأة إلى المعسكر رقم (٣)، وما إن أدارت المرأة ظهرها لستانجل حتى أشار إلى مرءوسه إتينر بإطلاق رصاص مسدسه عليها في المعسكر رقم (٣) وقام إتينر بدوره بتسليم المرأة إلى حارس أوكراني فأرداها قتيلة. وعندما عاد إتينر إلى ستانجل سأله إذا كان قد أدى المهمة المطلوبة منه فأجاب بأنه كلف حارساً أوكرانيّا بقتلها فغضب ستانجل واتهمه بالجبن. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن ستانجل حرص على إشراك جميع مرءوسيه في عمليات القتل.

استمرت عملية قتل السجناء في معسكر صوبيبور في مايو ١٩٤٢ حتى نهاية يوليو من العام نفسه، وفي هذه الفترة كان اليهود يرسلون من الجيتوهات في مقاطعة لوبلين وتشيكوسلوفاكيا والنمسا إلى معسكر الموت في صوبيبور. والجدير بالذكر أن اليهود القادمين من البلاد الأجنبية كانوا يرحلون إلى الجيتوهات في منطقة لوبلن، ومن

هناك إلى صوبيبور والجدير بالذكر أيضًا أن ما يقرب من ٢١ ألف يهودى وصلوا إلى صوبيبور فى جيتوهات مقاطعة بولافى Pulawy فى الفترة من ٦ إلى ١٢ من مايو ١٩٤٢ وفى الفترة من ١٢ إلى ١٥ من مايو ١٩٤٢ وصل إلى صوبيبور من مقاطعة كراسنستاف نحو ٩٥٠٠ يهودى. وفى الفترة من ٣ إلى ١٥ من مايو ١٩٤٢ وصل من مقاطعة ذاموسك إلى صوبيبور نحو ٧٢٠٠ يهودى. وفى النصف الثانى من شهر مايو ١٩٤٢ وصل أكثر من ستة آلاف يهودى من مقاطعة تشيلم، وفى النصف الأول من شهر يونية ١٩٤٢ وصل أكثر من عشرة آلاف يهودى من مقاطعة هروبيزوف Hrubies-zow وثلاثة آلاف يهودى من بيالا بودلاسكا وثمانمائة من كراسنكرزين Krasniczyn فى مقاطعة كراسنستافن؛ أى أن إجمالى عدد اليهود الذين وصلوا إلى معسكر صوبيبور من مناطق معروفة فى إقليم لوبلن يزيد عن ذلك بنحو خمسة عشر ألفًا إلى عشرين ألف يهودى، وبالإضافة إلى ذلك وصل إلى صوبيبور خلال هذه الأشهر عشرة آلاف يهودى جاءوا من النمسا وألمانيا وستة آلاف يهودى من محميتى بوهيميا ومورافيا فضلاً عن جزء من الـ ٢٤٣٧٨ يهوديًا القادمين من سلوفاكيا والذين كان مصيرهم الموت فى نهاية عام ١٩٤٢.

وخلال المرحلة الأولى من عمليات الإبادة فى صوبيبور التى استمرت نحو ثلاثة أشهر تم قتل ما لا يقل عن تسعين ألفًا إلى مائة ألف يهودى.

وفى نهاية يولية ١٩٤٢ توقف ترحيل السجناء إلى صوبيبور على نطاق واسع. وأدى بناء خط سكة حديد بين لوبلن وتشيلم إلى عدم تمكن أى قطار قادم من الحكومة العامة (بولندا) من الوصول إلى أرض معسكر صوبيبور، وفى أوائل أغسطس من العام الآنف الذكر وصلت أفواج ضئيلة العدد إلى صوبيبور قادمة من الجيتوهات القريبة من هذا المعسكر، والتى تقع شرق خط السكة الحديد الجارى بناؤه، غير أن عمليات الترحيل توقفت خلال الشهرين التاليين.

الزيارة التي قام بها هملر إلى معسكر صوبيبور وتريبلنيكا

فى أواخر فبراير أو أوائل مارس ١٩٤٣ قام هملر بزيارة مقر عملية رينهارد لبرنامج الإبادة ومعسكرى صوبيبور وتريبلنيكا. وقد سبق له أن قام بزيارة مقر عملية رينهارد فى المرحلة الأولى من عمليات الإبادة التى تمت فى منتصف يولية ١٩٤٢. وأيضاً اشتملت زيارته الثانية على معسكرات اعتقال فى أماكن لم يقم بالتفتيش عليها فى الجولة الأولى. وحدثت زيارة شهر فبراير ١٩٤٣ إبان المرحلة الأخيرة من عملية رينهارد، وهى العملية التى كان مقرراً لها حسب الأوامر التى أصدرها هملر فى ١٩ من يوليه ١٩٤٢ أن تتم فى ٣١ من ديسمبر ١٩٤٢.

وفى واقع الأمر توقف معسكر بلزيك عن إبادة نزلائه قبل نهاية ١٩٤٢ ولكن هملر أجل موعد زيارته لمعسكرى صوبيبور وتريبلنيكا بعد أن أصبحت عملية رينهارد تشتمل على إبادة اليهود القادمين من عموم إقليم بيالستوك. وبحلول منتصف فبراير ١٩٤٣ وصلت هذه العملية إلى نهايتها. وفى ١٦ من فبراير ١٩٤٣ أصدر هملر أمرا بتصفية جيتو وارسو بصورة نهائية. وهو أخر أكبر جيتو فى الحكومة العامة (بولندا)، الأمر الذى اعتبره هملر نهاية لعملية رينهارد للإبادة.

بلغ عدد اليهود الذين أبيدوا فى معسكرات بلزيك وصوبيبور وتريبلنيكا الثلاثة ١,٧ مليون شخص؛ أبيد مليون وستمائة وخمسون ألفًا منهم فى النصف الثانى من شهر فبراير ١٩٤٣ عندما قام هملر بزيارته الثانية التى كانت تهدف أساساً إلى تفقد معسكرات الاعتقال فى المرحلة الأخيرة من عملية الإبادة، كما كانت تهدف إلى تحديد معالم المستقبل ومصير العاملين فى هذه المعسكرات الثلاثة، ومن ذلك الوقت لم تعد هناك ثمة حاجة لوجود معسكرات الموت والإبادة النازية؛ نظراً إلى بروز معسكر أوشفيتز بيركيند الذى زاد من قدرته على الإبادة ببناء المزيد من غرف الغاز الواسعة والمحارق الكبيرة لدرجة أن هذا المعسكر أصبح يلبى جميع احتياجات النازيين اللازمة لإبادة سجنائهم من كل أرجاء أوربا.

وانتظاراً لاستقبال هملر كلف النازيون السجناء بتنظيف المعسكرات وجاء هملر برفقة مجموعة من كبار المسئولين تشمل ما بين عشرة وخمسة عشر شخصاً في الجيش ووحدة البوليس الخاصة. والجدير بالذكر أن الضابط النازى كارل فرنزل ترك وصفًا لزيارة هملر لمعسكر صوبيبور وفى يوم هذه الزيارة لم يحضر أى فوج يهودى نظامى إلى معسكر صوبيبور لإبادته وفقًا لأية خطة موضوعة. ومع ذلك فإن إدارة هذا المعسكر قررت من تلقاء نفسها أو بطلب من هملر نفسه مشاهدة عمل غرف الغاز على الطبيعة، ولهذا وقع الاختيار على مجموعة من شباب اليهود جاءت إلى معسكر صوبيبور ضمن فوج قبل وصول هملر بأيام إلى صوبيبور. وقد أدلت الناجية من الإبادة أدا ليختمان Ada Lichtman بوصف ما حدث لهذه المجموعة البائسة من الضحايا (انظر شهادة أدا ليختمان).

وطبقًا للشهادات الأخرى لم تأت إلى صوبيبور أية أفواج أثناء زيارة هملر لصوبيبور، ولكن مجموعة خاصة مكونة من عدة فتيات يهوديات جيء بهن من معسكرات العمل الواقعة في مقاطعة لوبلن؛ كى يتفرج هملر على عملية قتلهن بالغاز، ويؤكد هيوبرت جومرسكى Hubert gimerski الضابط بوحدة البوليس الخاصة صحة هذه الشهادة، ويبدو أن هملر لاحظ عدم قدوم أية أفواج جديدة من السجناء إلى معسكرى صوبيبور وتربيلنيكا، ولهذا قرر إحضار أفواج جديدة من هولندا إلى صوبيبور وإحضار بعض الأفواج الأخرى من مقدونيه اليوغسلافية وتراس Thrace اليونانية إلى معسكر تربيلنيكا. ولكن هذا لم يغير القرار الذى اتخذه هملر أثناء هذه الزيارة؛ ومفاده أن عملية رينهارد للإبادة قد أنجزت، ومن ثم وجب إغلاق معسكرات الموت بعد انتهائها من مهمتها، وهى إبادة أفواج اليهود القادمة من صوبيبور وإحراق مئات الآلاف من الجثث المدفونة فى تربيلنيكا.

وعبر هملر عن إعجابه بتفانى العاملين وإخلاصهم فى عملية رينهارد للإجهاز على المعتقلين اليهود. ولهذا قرر فى نهاية زيارته ترقية المشتركين فى تنفيذ هذه العملية من الضابط وصف الضابط. ولهذا كتب جلوبوكنيك إلى ماكسيمليان فون

هرف Maximilien von Herff مدير مكتب شئون العاملين الرئيسى فى ١٣ من أبريل ١٩٤٣ يقول: إن الرئيس الأعلى لوحدة البوليس الخاصة قرر بمناسبة زيارته لمواقع العمل فى عملية رينهارد ترقية أفضل القواد والعاملين فيها. وأرفق بهذا القرار قائمة بأسماء الذين وافق هملر على ترقيتهم.

وشملت هذه القائمة ثمانية وعشرين عضواً فى وحدة البوليس الخاصة والبوليس الألمانى ومن بينهم ويرث Wirth وقومندانات بلزيك وصوبيبور وتربيلنيكا. غير أن بعض العوائق البيروقراطية عطلت وضع هذه الترقيات موضع التنفيذ، وكتب جلوبوكنيك خطاباً آخر وجهه إلى المكتب الرئيسى لشئون العاملين بتاريخ ٢٢ من مايو١٩٤٣ اقترح فيه توسيع دائرة المزمع ترقيتهم، كما اقترح ترقية القواد ويرث وهرنج Hering وريخلتير Richleitner وستانجل؛ لأنهم فى مقدمة المنفذين النشيطين لعملية رينهارد، وهكذا تمت ترقية كريستيان ويرث ومساعده أوبرهاوسر Oberhouser، كما تمت ترقية قادة المعسكرات الثلاثة هرنج فى معسكر بلزك وريخليتز فى معسكر صوبيبور وستانجل فى معسكرات تربيلنيكا وأيضاً أوصى جلوبوكنيك بترقية ستانجل؛ لأنه أفضل قومندان معسكر على الإطلاق ولأنه أدى دوراً بارزاً فى تنفيذ عملية رينهارد (للإبادة). وكذلك تمت ترقية نواب قواد المعسكرات الثلاثة وهم شوارتز Schwartz فى بلزيك وينيمان Niemann فى صوبيبور ونرانز فى تربيلنيكا.

غير أن نشاط الإبادة المحموم فى معسكرات الموت تنفيذاً لعملية رينهارد بدأ يهدأ فى نهاية عام ١٩٤٢ بتوقف أعمال القتل فى معسكر بلزيك، كما انخفضت معدلات الإبادة بشكل ملحوظ فى المعسكرين الآخرين (صوبيبور وتربيلنيكا) فى شتاء عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣، وقد واكبت زيارة هملر لتفقد سير عملية رينهارد للإبادة فى فبراير أو أوائل مارس ١٩٤٣ بداية النهاية لهذه العملية بأسرها؛ فقد تحقق للنازيين إبادة يهود بولندا عن بكرة أبيهم تقريباً. ولكن تصفية معسكرات الموت الثلاثة توقفت على إحراق جميع جثث الضحايا من ناحية وإزالة آثار الجرائم البشعة المقترفة ضدهم من ناحية أخرى.

وصدر قرار بتفكيك معسكرى بلزيك وتريبلنيكا. ولكن الأمر بتفكيك معسكر صوبيبور اعتراه تغيير؛ حيث إن هملر أصدر يوم ٥ من يوليه ١٩٤٣، أمراً بعدم تصفية معسكر صوبيبور؛ بل تحويله إلى معسكر اعتقال، ووجه هملر هذا الأمر إلى القائد أوزوالد بوهل Oswald Pohl المسئول الأول عن إدارة معسكرات الاعتقال وإلى جلوبوكنيك وقواد وحدة البوليس الخاصة وكبار رجال الشرطة فى الحكومة العامة (بولندا) وفى الأراضى السوفيتية التى تحتلها القوات النازية، ونصت الفقرة الأولى من قرار هملر على الآتى : يجب تحويل معسكر صوبيبور المؤقت الواقع فى مقاطعة لوبلن إلى معسكر اعتقال، يقام فيه مستودع لتخزين السلاح الذى تستولى عليه القوات النازية من الأعداء. وكانت نتيجة الأمر بتحويل معسكر صوبيبور إلى معسكر اعتقال خضوعه لسلطة بوهل وليس لسلطة جلوبوكنيك. والجدير بالذكر أن كلاً من بوهل وجلوبوكنيك لم يكونا راضيين عن هذا التغيير. وفى ١٥ من يوليه عام ١٩٤٣ كتب بوهل إلى هملر يقول :

"اتباعًا للأمر الصادر منكم بتحويل معسكر اعتقال صوبيبور فى مقاطعة لوبلن تعين علىّ أن أتحدث فى هذا الموضوع مع جلوبوكنيك المسئول بوحدة البوليس الخاصة. واتفقنا نحن الاثنين على التخلى عن فكرة تحويل (صوبيبور) إلى معسكر اعتقال. إن هدفكم الذى يتلخص فى إنشاء مخزن أسلحة فى صوبيبور لحفظ الأسلحة التى تستولى عليها القوات النازية يمكن تحقيقه دون الحاجة إلى إجراء هذا التغيير على المعسكر، إذاً يمكن إبقاء كل شىء على ما هو عليه. رجاء الموافقة على ذلك حيث إن هذه الموافقة تهمنى كما تهم جلوبوكنيك".

وفى ٢٤ من يوليه ١٩٤٣ تم إبلاغ بوهل بأن هملر وافق على اقتراحه بتحويل معسكر صوبيبور إلى معسكر لحفظ الذخيرة والسلاح الذى يستولى عليه الألمان بحيث يبقى خاضعًا لإدارة جلوبوكنيك، وبالفعل بدأ إنشاء مشروعات لإنتاج الذخيرة فى صوبيبور، كما تم توسيع هذا المعسكر.فضلاً عن أنه تم بناء القطاع الشمالى الشرقى القريب من محطة السكة الحديد. وسمى هذا الجزء الجديد من المعسكر

بالمعسكر رقم (٤) أو المعسكر الشمالى، والجدير بالذكر أن السجناء كلفوا بإقامة الإنشاءات الجديدة بمساعدة المزيد من العمالة اليهودية القادمة ضمن أفواج جديدة.

تنظيم المقاومة فى معسكر صوبيبور

اقترنت المقاومة فى معسكرى صوبيبور وتربيلنيكا ضد النازية بكثرة محاولات الهرب منها، واتضحت معالم هذه المقاومة فى صوبيبور عام ١٩٤٣، ومما ساعد على ظهور هذه المقاومة إحساس السجناء بقرب تصفية هذا المعسكر؛ بسبب انتهائه من أداء مهمته، ولكن هذه المقاومة لم تتخذ شكلاً منظمًا إلا فى أواخر ربيع أو صيف ١٩٤٣، وقام بزعامة المقاومة رجل فى الثلاثين من عمره يدعى ليون فيلدهندلر Leon Feldhender وهو ابن جد يهودى وزعيم سابق للمقاومة فى جيتو زوكيتومنا Zolkiewka، وأيضًا ضمت المقاومة ضد النازية عدداً من مديرى الورش فى معسكر صوبيبور من بينهم جوزيف الترزى وجاكوب Jakub صانع الأحذية ويانيك Yanck النجار وآخرين.

كان السبب المباشر فى اتخاذ سجناء صوبيبور قراراً بإنشاء منظمة سرية للمقاومة، هو قيام النازيين بسفك دماء اليهود بدم بارد، وبعد تصفية معسكر بلزيك تم إحضار ستمائة سجين من الباقين على قيد الحياة فى معسكر بلزيك إلى معسكر صوبيبور فى أواخر شهر يونيه ١٩٤٣، وعلى سبيل تضليل اليهود أخبرهم النازيون أنهم سوف يُرسلون إلى ألمانيا للعمل فيها. ولكن ما إن وصلوا إلى معسكر صوبيبور حتى أُنزلوا من القطار، وتم تقسيمهم إلى مجموعات تضم كل منها عشرة سجناء وضربهم بالرصاص، ولكن تباطؤ معدلات أفواج السجناء القادمين إلى معسكر صوبيبور فى نهاية شهر يوليه ١٩٤٣ نتيجة توقف قدوم الأفواج القادمة من هولندا أسهم فى شيوع الإحساس العام بقرب نهاية هذا المعسكر، الأمر الذى أغرى فيلدهندلر ورفاقه بتنظيم عملية هروب السجناء على نطاق واسع، وحتى تنجح محاولات الهرب من المعسكر اقتضى ذلك تخلص السجناء من رجال الوحدة الخاصة، وتعشمت المقاومة السرية أن يؤدى التخلص منهم إلى تشجيع الحرس الأوكرانى على الامتناع عن إخماد

ثورة السجناء واحتذاء حذو السجناء من محاولة الهروب فى المعسكر. وهذا ما فعله نفر من الأوكرانيين.

وظل التنظيم السرى للمقاومة غير واضح المعالم حتى صيف عام ١٩٤٣ . وتنطوى الشهادات التى أدلى بها الناجون من الموت فى معسكر صوبيبور على شيء من التناقض حول نشاط المقاومة وخططها. غير أن هذه الشهادات تتفق على أن المقاومة حاولت دس السم لرجال الوحدة الخاصة، وهى خطة رسمها طباخ سجين يدعى هرز كوكيرمان Herz Cukierman وأوكرانى من كييف اسمه كوسوادسكى Kos-zewadski كان المسئول عن المطبخ، والجدير بالذكر أن كوكيرمان أعطى كوسوادسكى مئات الدولارات فى العديد من المناسبات؛ كى يتمكن من مواصلة إجراء اتصالاته بحركة المقاومة ومساعدتها على شراء السلاح اللازم لها، ولكن الثوار تخلوا عن فكرة تسميم النازيين وأذنابهم من الأوكرانيين، ويعزو البعض هذا التخلى إلى صدور تعليمات بنقل اليهود العاملين فى المطبخ، فى حين يعزوه البعض الآخر إلى اكتشاف إدارة المعسكر لسرقة قارورات المورفين من صيدلية المعسكر (راجع شهادة سيمحا بيالويز Simha Biolowice).

ومن النقاط الخلافية الواردة فى شهادات الناجين من الموت أن بعض الأوكرانيين زعموا فى صيف ١٩٤٣ أنهم أعضاء فى الحزب الشيوعى وأنهم يستطيعون تأجير بعض اللوريات من خارج المعسكر نظير مبالغ مالية كبيرة واقتضت الخطة أن تأتى هذه اللوريات: أثناء وردية حراستهم الليلية لتمكين السجناء من الهرب، وتقول إحدى الروايات: إن خلافًا نشب بين المتمردين، فقد شك بعضهم فى سلامة نية الأوكرانيين واتهموهم بالرغبة فى نهب وسلب أموال اليهود، ولهذا رفضوا إعطاءهم كل المبلغ مقدمًا واكتفوا بإعطاء الأوكرانيين سبعمائة دولار فقط كعربون، على أن يدفع بقية المبلغ المتفق عليه بعد هرب السجناء فعلاً من صوبيبور، واتضح فى نهاية الأمر أن الخطة التى اقترحها الأوكرانيون لتهريب اليهود من المعسكر كانت مجرد خدعة للاستيلاء على أموالهم.

وناقشت مجموعة فيلدهندلر فكرة قتل رجال الوحدة الخاصة وهم نيام بالفئوس التى يستخدمونها فى أعمالهم، ولكن المقاومة صرفت النظر عن هذه الخطة فى نهاية الأمر، فقد راودتهم الشكوك فى قدرة سجناء يافعين لا تتجاوز أعمارهم السادسة عشر على قتل أكثر من عشرة أفراد من رجال الوحدة الخاصة، فضلاً عن أن هذه الخطة شابها عيب آخر هو أنها تطلبت الإجهاز على رجال الوحدة الخاصة فى الصباح الباكر، الأمر الذى اقتضى هروب السجناء أثناء ساعات النهار، مما سوف يجعل من السهل على النازيين اقتفاء أثرهم والقبض عليه.

وفى أغسطس ١٩٤٣ خطر للمقاومة السرية إشعال حريق فى مخازن الملابس، فينتهز السجناء فرصة الهرج والمرج وانشغال رجال الوحدة الخاصة، بإطفاء الحريق، ويلوذون بالفرار والاختباء فى الغابات المجاورة، واقتضت هذه الخطة إضرام النار فى مخازن الملابس إما وقت الظهيرة أثناء خلو هذه المخازن من السجناء العاملين فيها فى فترة تناولهم طعام الغداء أو فى منتصف الليل، وتطوع لتنفيذ هذه الخطة شابان قررا الاختباء داخل مخازن الملابس أثناء خلوها من العمال وإضرام النار فيها، رغم إدراك هذين الشابين أنهما هالكان لا محالة؛ بسبب غلق المخازن عليهما، وبالفعل تم إعداد بعض الزجاجات المليئة بالجازولين وطبقًا لرواية أحد الناجين من الموت واسمه دوف فريبرج Dov Friberg تم صرف النظر عن تنفيذ هذه الخطة؛ لأن بعض السجناء المشاركين فيها اعترضوا عليها وهددوا بإفشاء سرها، ولكن زوجة السجين ليون فيلدهندلر عزت إلغاء هذه الخطة إلى سبب آخر كان زوجها قد أفضى به إليها، وفحواه أن صبيًا وافق على التضحية بحياته بإشعال النار فى مخزن الملابس حتى يشغل الألمان بإطفائها، ولكن هذه الخطة صرف النظر عنها فى آخر لحظة؛ حيث إن بعض الألمان الذين حضروا قبيل إضرام النار فى الملابس راودتهم الشكوك فى أن أمرًا يجرى وراء ظهورهم، فقاموا بتفتيش المخزن وبمجرد أن أدرك فيلدهندلر فشل الخطة حتى بادر بفتح باب المخزن بالمفتاح الذى يحتفظ به ونجح فى تهريب الصبى المذعور منه.

وفكرت المقاومـة فى خطة بديلة تتلخص فى حفـر نفق أسـفل الأسـوار وحقـول الألغام؛ لتمكين السجناء من الهرب عن طريقه، وبطبيعة الحال تعين عليهم أن يبدءوا الحفر فى الثكنة التى يعيش فيها هؤلاء السجناء؛ بحيث يمتد طول النفق نحو ١٢٠ أو ١٣٠ متراً. واستمر العمل فى حفر هذا النفق لمدة شهرين وتم بالفعل حفر جانب منه، ولكن الألمان الذين اكتشفوا وجود النفق المحفور فى المعسكر رقم (٣) أخذوا يبحثون عن وجود أنفاق فى أماكن أخرى، الأمر الذى اضطر المقاومة إلى نبذ فكرتها فى هروب السجناء عن طريق حفر الأنفاق.

وبسبب هذه الإخفاقات المتكررة شعر فيلدهندلر بعجزه عن قيادة حركة المقاومة السرية فى معسكر صوبيبور، مما جعله يبحث عن قائد آخر يحل محله تمثل فى شخصية سجين يهودى هولندى اسمه جوزيف جاكوبز Joseph Jacobs الذى زُجَّ به فى معسكر صوبيبور فى ٢١من مايو ١٩٤٣، يقول بعض الشهود: إن جاكوبز كان صحفيًا وإنه حارب ضمن الكتيبة الدولية فى الحرب الأهلية الإسبانية عام ١٩٣٦، واضطلع جاكوبز بالتعاون مع أصدقائه الهولنديين وحركة المقاومة السرية بمهمة تنظيم الثورة ضد إدارة معسكر صوبيبور وطبقًا للخطة الجديدة التى اتضحت معالمها فى أغسطس ١٩٤٣ يقوم الثوار بمساعدة أفراد الحرس الأوكرانى المتعاونين معهم بدخول مخزن السلاح فى فترة ما بعد الظهر منتهزين وجود رجال الوحدة الخاصة فى قاعة الطعام. وبعد استيلاء الثوار على السلاح يقتحمون البوابة الأساسية ويهربون إلى الغابات، ولكن هذه الخطة أيضًا فشلت مثلما فشلت الخطط السابقة؛ بسبب تبليغ أحد الأوكرانيين القيادة النازية بها، وانتهى الأمر بالقبض على جاكوبز والتحقيق معه، ورغم التعذيب الذى تعرض له ظل جاكوبز صامداً ورفض الإفصاح عن زملائه، فقام النازيون بضربه وضرب اثنين وسبعين يهوديًا هولنديًا معه بالرصاص (انظر شهادة أدا ليختمان).

وتذكر إحدى الروايات أن أحد السجناء المشتركين فى المؤامرة انتابه الذعر فأفشى سرها إلى أحد الحراس الأوكرانيين.

غير أن هذا الفشل المتكرر لم يفت فى عضد الثوار، ففى النصف الأول من شهر سبتمبر ١٩٤٣ اقترح ستة كابوهات برئاسة موشى ستورم Moshe Sturm (المسمى أحيانًا موسى الحاكم)، خطة أخرى للهرب لم يستطع الباحثون معرفة أى شىء عن تفاصيلها، ولكن رجلاً فى برلين أفشى سر هذه الخطة فتم القبض على الكابوهات الستة، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم أمام بقية السجناء، وكافأ النازيون الواشى بتعيينه رئيس كابوهات بدلاً من موشى ستورم، ولكن السجناء الكارهين له دسوا له السم وقتلوه، ولكن هناك رواية مختلفة عن ظروف قتله تقول: إن بعض السجناء بقيادة الكابو بوزيزكا Pozyezka ألقوا جوالاً على رأس الواشى وضربوه حتى الموت، وقبل وفاته أحضر له الضابط الألمانى فونزل القهوة والخبز من مطبخ وحدة البوليس الخاصة، ولهذا سرت شائعة بأن فونزل هو الذى قام بقتله؛ لأنه تلقى منه فى الماضى هدايا ثمينة فخشى أن يفشى الرجل سره ويفضحه أمام رؤسائه.

ولا يعرف الدارسون سوى النذر اليسير عما يحدث داخل معسكر صوبيبور رقم (٣)، وعلى عكس ما كان الحال عليه فى معسكر تريبلنيكا لم تكن هناك فى صوبيبور أية صلة تربط المقاومة السرية بأطراف خارجة عنها أو بأية جهات أخرى داخل المعسكر، وفى صيف عام ١٩٤٣ كان السجناء فى معسكر (٣) دون عمل، ولم يصل آنذاك إلى صوبيبور سوى عدد محدود من الأفواج، الأمر الذى عمق الإحساس لديهم بأنهم هالكون لا محالة، وأزكى هذا بدوره، روح المقاومة ضد النازية وحفزهم على محاولة الهرب.

وقررت إحدى مجموعات المقاومة فى المعسكر رقم (٣) حفر نفق للهروب يبدأ فى ثكنة المعيشة، أسفل الأسوار وحقول الألغام، وبطبيعة الحال اقتضى هذا العمل المعقد تنظيمًا دقيقًا وقيادة بارعة وسرية بالغة، واشترك فى حفر هذا النفق معظم السجناء الذين يعيشون فى هذه الثكنة، ولكن إدارة معسكر صوبيبور اكتشفت هذا النفق فى منتصف سبتمبر عام ١٩٤٣ قبل إنجازه، وكعقاب رادع للمارقين قام النازيون بضرب ١٥٠ سجينًا بالرصاص غالبيتهم فى المعسكر رقم (٣)، وقام بتنفيذ هذه الإعدامات

بالجملة القائد النازى كيرت بولندر Kurt Bolender ويصف توفيا بلات Tovoa Blatt طريقة انتقال المعسكر رقم (٣) إلى سائر سجناء المعسكر، يقول توفيا فى هذا الشأن: -

"كان من المفروض علينا أن نعود إلى العمل (منذ سماعنا لنداء طابور الظهر)، ولكننا ظللنا واقفين فى ميدان النداء على الطابور، كان هناك شىء غريب يحدث، فقد اصطف خلف الأسوار المحيطة بالميدان أفراد الحرس الأوكرانى وهم يحملون البنادق ويتأهبون لإطلاق النار، وظهرت المدافع الرشاشة من أبراج المراقبة، وفى حوالى الساعة الثالثة والنصف سمعنا صوت الرصاص ينطلق من المعسكر رقم (٣). وكان أول شىء يخطر على بالنا أنهم يقومون بتصفية الجحيم المتمثل فى المعسكر رقم (٣) وفى ذلك المساء أحضروا ملابس العمال فى المعسكر رقم (٣) لفرزها. وأخبرنا الألمان أن سجناء الجحيم (أى المعسكر رقم ٣) أرادوا الهرب ولذلك أطلق النار عليهم جميعًا، وتم إرسال بعض السجناء من معسكرنا إلى المعسكر رقم (٣).

والغريب فى الأمر كما سبق أن ذكرنا أن هذه الإخفاقات المتكررة لم تفت فى عضد المقاومة السرية التى علمتها التجارب درسًا قاسيًا مفاده أنه لا جدوى فى الاعتماد على الحرس الأوكرانى فى مساعدتهم على الهرب، ولكنه يتعين عليهم الاعتماد الكامل على أنفسهم.

نقطة تحول فى حركة المقاومة السرية

يمثل وصول الفوج المكون من ألفى يهودى من مينسك والمشتمل على مائة سجين حربى سوفيتى يوم ٢٣ من سبتمبر ١٩٤٣ نقطة تحول من نشاط المقاومة السرية فى معسكر صوبيبور، وانتقى النازيون ثمانين سجينًا من هذا الفوج فى بناء المعسكر رقم (٤) ومعظم الذين وقع عليهم الاختيار من سجناء الحرب ومن بينهم الملازم الكسندر أوساشا Sasha وبيشرسكى Pechersky كان بيشرسكى البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا متزوجًا وله ابنة وظل حتى نشوب الحرب العالمية الثانية يعيش فى مدينة

روستوى على نهر الدون. وكان يشغل وظيفة أمين مكتبة. وقام الجيش الأحمر باستدعائه عندما قامت ألمانيا النازية بغزو الاتحاد السوفيتى وإرساله إلى جهة القتال فى أكتوبر ١٩٤١، ثم أسره الألمان بالقرب من مدينة فيازما Viazma وزجوا به فى معسكر أسرى الحرب؛ حيث أصيب بعدوى التيفوس. وفى مايو ١٩٤٢ حاول ببيشرسكى الهرب، ولكن الألمان ألقوا القبض عليه، ولكنهم لحسن الحظ لم يضربوه بالنار على الفور مثلما فعلوا بزملائه حين أمسكوا بهم، واكتفى النازيون بإرساله إلى معسكر للعقوبات فى بوريسوف Borisov حيث نزعوا عنه ملابسه ليكتشفوا أن عملية ختان أجريت له وأنه يهودى، فتم إرساله إلى معسكر عمل تابع لوحدة البوليس الخاصة أقيم فى شارع شيروكا Sheroka فى مينسك. وكان هذا المعسكر يأوى نحو مائة سجين حرب يهودى، فضلاً عن بضعة مئات من اليهود القادمين من جيتو منيسك، وعدد من غير اليهود المجرمين، وفى هذا المعسكر تعرف ببيشرسكى على نجار يهودى بولندى اسمه شلومو ليتمان Shlomo Leitman قادم من جيتو مينسك، ثم أُرسل ببيشرسكى من هذا المعسكر إلى معسكر صوبيبور.

وكان وصول مجموعة متضامنة ومتماسكة من سجناء الحرب ممن خاضوا تجربة القتال، وكان لهم شرف الانتماء إلى الجيش الأحمر سببًا فى رفع الروح المعنوية لدى السجناء فى معسكر صوبيبور، والجدير بالذكر أن ببيشرسكى لفت أنظار زملائه السجناء إليه بمسلكه وشجاعته عندما وقعت الحادثة التالية يوم ٢٦ من سبتمبر (١٩٤٢) والتى أوردها ببيشرسكى على النحو التالى:

"كان يومًا عاديًا تلقى فيه السجناء نحو خمس وعشرين جلدة عقابًا لهم على ما ارتكبوه من انتهاكات، وكدت أصبح واحداً منهم، وفيما يلى ما حدث؛ انصرف أربعون من سجنائنا إلى قطع أشجار الغابة، كانوا جياعًا وناحلين ومنهكين لدرجة أنهم كانوا يجدون مشقة بالغة فى رفع فئوسهم لاجتثاث جذوع الشجر، وكان القائد فرنزل يستحثهم على بذل المزيد من الجهد، وفى هدوء سار فرنزل صوب أحد اليهود الهولنديين ليجلده بسوطه، ولاحظ فرنزل أنى توقفت عن العمل فى قطع جذوع الأشجار

فنادى عليّ، ثم دفع اليهودى الهولندى ونحاه جانباً وخاطبنى بلغة روسية ركيكة قائلاً: "أيها الجندى الروسى، أنت غير راضٍ عن طريقتى فى معاقبة هذا الأبله؟ سوف أعطيك خمس دقائق فقط؛ كى تقوم باقتلاع هذا الجذع، فإذا نجحت فى ذلك فسوف أعيد إليك علبة سجائرك، وإذا تأخرت في اقتلاعه ولو لثانية واحدة فسوف أجلدك خمسًا وعشرين جلدة، ثم أعطانى إشارة البدء، وشحذت كل قوتى وكل ما يعتمل فى صدرى من غل وكراهية لاقتلاع الجذع مرة تلو الأخرى حتى تمكنت من تفتيته... فمنحنى فونزل علبة السجائر وسمعته يقول: إن قطع جذع الشجرة لم يستغرق أكثر من أربع دقائق ونصف..... غير أن قلبى لم يطاوعنى لقبولها من يد ذلك الوغد، فشكرته قائلاً: إننى لا أدخن ثم استمررت فى عملى وابتعد عنى فرنزل فى هدوء ليعود خلال نحو عشرين دقيقة ويقدم لى نصف رول من الخبز وقطعة من المارجارين قائلاً: (خذ هذا منى أيها الجندى الروسى). ولكنى رفضت قائلاً: (شكرًا لك فالجراية التى يصرفها لى المعسكر تكفينى). وبطبيعة الحال لم تخف على الألمان لهجة السخرية التى تضمنتها إجابتى.... ورأيته يشدد قبضته على السوط الذى يمسك به فى يده، ولكنه منع نفسه من ضربى به، ثم التفت فجأة وغادر الفناء.

كانت عزة نفس بيشرسكى شيئًا غير معتاد فى المعسكر وسرعان ما ذاعت قصته بين السجناء، وأصبح موضع إجلالهم، وكان من الطبيعى أن يتقبله سجناء الحرب كزعيم لهم بسبب رتبته العسكرية العالية ومسلكه وصفاته الشخصية المميزة، وكان هناك فى معسكر صوبيبور ضابط آخر غير بيشرسكى جاء من مينسك، وعلى الرغم من أن رتبته العسكرية كانت أعلى من رتبة بيشرسكى فإن إصابته بالاكتئاب جعلته عاجزًا عن تولى زمام المبادرة وأمور القيادة، فلا غرو إذا رأينا السجناء النشطاء يقبلون على زعامة بيشرسكى وتوقعوا منه أن يرسم لهم طريق الهرب والخلاص من معسكر الموت فى صوبيبور.

وفى ٢٧ من سبتمبر (١٩٤٢) أى بعد مضى أربعة أيام على وصول بيشرسكى إلى معسكر صوبيبور، وبينما جماعة كبيرة من سجناء الحرب منصرفة إلى بناء المعسكر رقم (٤) اقترب منه اثنان من أصدقائه، وفى ذلك الوقت كان أحد أفواج اليهود

قد وصل إلى المعسكر، وتعالت صرخات نساء وأطفال هذا الفوج أثناء اقتيادهم إلى غرف الغاز، يقول بيشرسكى فى هذا الشأن: "جاءنى شلومو ليتمان Shlomo Leitman وبوريس تسبولسكى Boris Tsibulsky وهما يرتعشان، ويكسو الشحوب وجهيهما. قال لى تسبولسكى: (باساشا علينا أن نهرب من هذا المكان فالغابة لا تبعد عنا أكثر من نحو مائتى متر فقط والألمان مشغولون فى الوقت الحالى، ويمكننا الإجهاز على الحراس عند السور بفئوسنا). فأجبته: (ربما تنجح فى الهرب، ولكن ماذا سيكون مصير الآخرين؟ سوف يعدمونهم جميعًا فى الحال، وإذا كانت الخطة تقتضى منا الهرب فعلينا أن نهرب جميعًا)..... وقال تسبولسكى: (ولكن يجب علينا ألا نتأخر فى الهرب أطول من اللازم بسبب اقتراب فصل الشتاء؛ لأن الأقدام تترك أثرًا فى الثلج يمكن اقتفاؤه، وبوجه عام إن البقاء فى الغابات فى فصل الشتاء أصعب من أى فصل آخر).

وبعد انقضاء يومين (أى من يوم ٢٩ من سبتمبر ١٩٤٣) بينما كان ثمانون سجينًا يعملون فى المعسكر رقم (٤) جاء إلى بيشرسكى عدد من سجناء الحرب؛ لحثه على الهرب معهم، ولكنه نجح فى إقناعهم أن الهرب دون استعدادات وترتيبات سوف يمنى بالفشل، فضلاً عن أن قلة عددهم لن تمكنهم من قتل الحراس، وأن مشكلة عبور حقول الألغام سوف تظل قائمة إلى جانب مشكلة تفادى مطاردة الألمان لهم فى وضح النهار، ثم إن النازيين سوف ينتقمون من السجناء الفارين بضرب زملائهم بالرصاص، واستطاع بيشرسكى إقناعهم بضرورة الترتيب وعمل الاستعدادات اللازمة حتى تُكَلَّلَ خطة الهرب بالنجاح.

كان شلومو ليتمان وبوريس تسبولسكى وألكسندر شوبابيف Alexander Shubayev الملقب بكاليمالى Kalimali القادم من مدينة باكو أعز أصدقاء بيشرسكى. ولهذا اطمأن إليهم وناقشهم فى أفضل سبل الهروب من المعسكر، واستطاع بيشرسكى كما أسلفنا أن يلفت أنظار فيلدهندلر إليه، وكان فيلدهندلر آنذاك يبحث عن زعيم كفؤ قادر على تنظيم عملية هرب السجناء الجماعى (وهو ما أخفق فيه مرارًا وتكرارًا) فوجد ضالته المنشودة فى شخص بيشرسكى، وفى يوم ٢٨ من سبتمبر وفى وقت الغداء على وجه

التحديد طلب فيلدهندلر من شلومو ليتمان إحضار صديقه بيشرسكى إلى ثكنة النساء لإجراء مشاورات معه فى المساء، وكانت ثكنة النساء تستخدم كمكان لالتقاء الثوار وتبادل الأحاديث والآراء بينهم، وحضر بيشرسكى وليتمان فى الموعد المحدد، ولكن فيلدهندلر تغيب عن الحضور وانتهزت النساء فرصة وجود بيشرسكى بينهن فسألنه عن الحرب والمقاومة والجيش السوفيتى، تحدث بيشرسكى باللغة الروسية وتولى ليتمان ترجمة إجاباته، وسألته إحدى النساء: لما لم تشن المقاومة هجومًا لتحرير السجناء فى معسكر صوبيبور؟ فأجابها بيشرسكى بأن المقاومة تضطلع بالمهام الخاصة بها، ثم أضاف (ينبغى على المرء الاعتماد على نفسه): والجدير بالذكر أن فيلدهندلر كما أسلفنا لم يحضر هذا الاجتماع؛ بسبب تواجد كابو مشكوك فى أمره يدعى بوزيزكا Pozyczka ولهذا تأجل اللقاء بين فيلدهندلر وبيشرسكى إلى اليوم التالى الموافق ٢٩ من سبتمبر (١٩٤٣). وأطلع فيلدهندلر زميله بيشرسكى على أخبار المقاومة السرية فى معسكر صوبيبور طالبًا منه إعداد خطة لهرب السجناء الجماعى من هذا المعسكر، غير أن بيشرسكى الذى لم يكن على معرفة سابقة بفيلدهندلر توخى الحكمة والحذر فى ردوده فلم يقبل اقتراح فيلدهندلر ولم يرفضه؛ بل ترك باب المحادثات بينهما مواربًا وسجل بيشرسكى وقائع لقائه بليون فيلدهندلر الذى أخطأ فى اسمه وأسماه باروخ Barich، وفيما يلى ما سطره بيشرسكى عن هذا الاجتماع:

"قابلت باروخ (ليون) فى المساء، بدأ باروخ بقوله: إن ما قلته فى معسكر النساء فى تلك الليلة عن ضرورة اعتماد المرء على ذاته ترك أثرًا عميقًا فى النساء اللواتى استوعبن مغزى كلماتك. ورأيت على مقربة منى رجلاً طويل القامة فيه من العظم أكثر مما فيه من اللحم واقفًا يبدو على الناظر إليه وكأنه يغلق عينيه على الدوام وأضاف (باروخ) عندما أحس أننى ربما أكون قد لاحظت وجوده، قائلاً: (إنه الكابو بوزيزكا وهو مخلوق شرير ويجب الاحتراس منه). فأجبت بقولى: (ليس هناك سبب يدعونى إلى الحذر منه لأننى لا أنوى أن أفعل أى شىء يخالف ما يأمروننى به). فرد باروخ (ليون) علىَّ قائلاً: (إننى أفهم السبب الذى يجعلك تجيب علىَّ بهذه الطريقة الحذرة. ولهذا يجب أن يكون هناك حديث بيننا .... إننى أعرف أنك تدبر شيئًا فى الخفاء، ولكن هل تمهلت

للتفكير فيما قد يحدث لنا جميعًا لو أنك حاولت الهرب؟ إن الألمان لا يستطيعون البوح بسر معسكر الإبادة وإذاعته وسوف يقومون فورًا بالإجهاز علينا عن بكرة أبينا، وبمجرد اكتشافهم إمكانية هرب السجناء من المعسكر وهذا أمر جلى). سألته: (قل لى: هل لك مدة طويلة فى هذا المعسكر؟) فأجاب: (ما يقرب من عام). واسترسلت قائلاً: (وهكذا أرى أنك تعتقد أن الألمان لن يقتلوك. وإنى أعتقد مثلك أنهم لن يفعلوا هذا. ما الذى جعلك تظن أننى أخطط للهرب؟) وأمسك ليون باروخ بذراعى قائلاً لى: (لا تهرب، انتظر برهة، أنت مندهش؛ لأننا لم نحاول الهرب حتى الآن، ولهذا سوف أخبرك لقد فكرنا فى الهرب غير مرة. ولكننا لم نعرف كيف نهرب، أنت رجل سوفيتى ورجل عسكرى. تسلم مقاليد الزعامة وأرشدنا إلى ما يتعين علينا عمله وسوف نفعله، إننى أفهم سبب شكوكك فنحن نكاد لا نعرف بعضنا البعض، ومع ذلك فإنه يجب علينا أن نتحدث فى هذا الأمر، وباسم مجموعة بأكملها جئت لأخبرك أنه يجب علينا أن نضع ثقتنا فيك فتسلم زمام الأمور وتصرف).

"نظرت إليه وهو واقف أمام عينى كان طويل القامة دون ترهل وصاحب وجه ذكى وصريح، وأحسست بالحب نحوه وقلت له مخاطبًا إياه: (على أية حال أشكرك لأنك حذرتنى من بوزيزكا؛ حيث إنك مكثت مدة طويلة فى هذا المعسكر، وربما تعرف الطريقة التى زرعت بها الألغام فى الحقل الواقع خلف السور؟ ومدى كثافة هذه الألغام ونظام زرعها)".

"واتضح لى من كلامه أن سجناء المعسكر قاموا بحفر الحفر لوضع الألغام فيها، وأمدنا باروخ بمعلومات على جانب من الأهمية عن حقول الألغام، ورتبنا الاتصالات التى سوف تجرى بيننا فى المستقبل عن طريق شلومو ليتمان" ولم يذكر لنا بيشرسكى وجود أية اتصالات أو تطور فى العلاقات بينه وبين فيلدهندلر قرابة تسعة أيام تقع بين ٢٩ من سبتمبر و٧ من أكتوبر ١٩٤٣ ولكنه حدثنا عن نشأة صداقة وطيدة بينه وبين لوكا، وهى فتاة هولندية فى الثامنة عشر من عمرها كان يلقاها ويحضر معها الأمسيات المنعقدة فى ثكنة النساء، ورغم ذلك فقد استمرت العلاقات بين بيشرسكى

وفيلدهندلر قائمة، وكان رجل الاتصال بينهما هو شلومو ليتمان الذى كان موضع ثقة كلا الرجلين، والذى أدَّى دورًا فى تبديد شكوك بيشرسكى تجاه فيلدهندلر، وأثمرت الاتصالات بين الرجلين توحيد الزعامة فى صفوف حركة المقاومة فى معسكر صوبيبور تحت اسم لجنة المقاومة السرية التى تزعمها بيشرسكى وأصبح فيلدهندلر نائبًا عنه، وتكونت هذه اللجنة من يانيك Yanek النجار وجوزيف الترزى وجاكوب صانع الأحذية ومونيك Monick زعيم الشباب، فضلاً عن أن تسبولسكى وشوبابيت وليتمان كانوا يمثلون سجناء الحرب فى هذه اللجنة.

ولا شك أن توحيد صفوف المقاومة فى صوبيبور وانتقال الزعامة من فيلدهندلر إلى بيشرسكى كان عاملاً حاسمًا فى تقويتها، فقد نقلت مجموعة فيلدهندلر إلى المقاربة، تجربتها السابقة فى المعسكر ومعرفتها الدقيقة بأحواله، وفى حين أن مجموعة بيشرسكى كانت لها دراية بالجوانب القتالية والعسكرية وأيضًا دراية بفن الزعامة، وكانت زيارات بيشرسكى لثكنة النساء فرصة لاجتماعه بأعضاء لجنة المقاومة السرية، ويصف لنا سيميون روز نفلد Semion Rosenfeld الإجراءات الأمنية التى اتخذتها المقاومة فى صوبيبور لإخفاء نشاطها: "اعتادت مجموعة بيشرسكى فى الأمسيات الالتقاء فى ثكنة النساء، وكلفتنى اللجنة وساشاكوبتشين Sasha Kuptshin ومعنا ثلاثة آخرون بتأمين هذه الاجتماعات، وأثناء انشغال اللجنة بالتشاور وإجراء المباحثات كنا نقوم بتقديم ألعابنا ورقصاتنا وغنائنا الجماعى لصرف انتباه السجناء الآخرين عن نشاط المقاومة. وكنا فى الوقت نفسه نأخذ حذرنا فإذا اقترب شخص مشكوك فى أمره من الثكنة قمنا بتحذير اللجنة السرية، ولم تدر السجينات أن مصيرهن وحريتهن تحددا فى تلك الليلة.

ومن خلال حديثه مع فيلدهندلر ومن ملاحظاته الخاصة استطاع بيشرسكى الحصول على معلومات تتعلق بالهروب الجماعى، كما حصل على معلومات من معسكر صوبيبور وموقعه وإجراءات الأمن والأسوار وحقول الألغام والحياة الروتينية فيه، وأيضًا عرف بيشرسكى نجاحات وإخفاقات محاولات الهرب السابقة واكتشاف نفق محفور مؤخرًا فى المعسكر رقم (٣).

وبناء على المعلومات التى توفرت لدى بيشرسكى خطط لحفر نفق آخر يصلح للهرب الجماعى من المعسكر (غير أن البعض ينسب خطة حفر هذا النفق إلى ليتمان وليس إلى بيشرسكى) وقام بيشرسكى بتكليف بوريس تسبولسكى بوصفه عامل منجم سابق فى دونباس Donbas بالإشراف على هذا النفق الجديد؛ بحيث يبدأ من ورشة النجارة المقامة فى أقرب ثكنة إلى سور المعسكر، وبحيث يمتد تحت الأسوار وحقول الألغام، وهى مسافة تمتد إلى نحو ٣٥ متراً، وطبقًا للخطة كان من المفروض أن يصل ارتفاع وعرض النفق إلى ٧٥ × ٧٥ سنتيمتراً، وأيضاً كان من المفترض أن يصل عمقه تحت سطح الأرض إلى ٨٠ سنتيمتراً حتى لا يلامس الحفر المزروعة بالألغام، وأيضاً كان من المفترض ألا يتجاوز الحفر هذا العمق؛ خشية الاصطدام بالمياه الجوفية فى باطن الأرض، وتطلب هذا استخراج نحو ٢٠ متراً مكعباً من التراب، وتعين إخفاء جزء من هذا التراب عن الأنظار تحت أرضية الورشة وفى بعض الأماكن الأخرى، وكذلك تطلبت الخطة ممارسة أعمال الحفر معظم الوقت أثناء الليل، وخلال ساعات النهار أحيانًا، وتكونت وردية الحفر من أربعة أشخاص ينصرف اثنان منهما إلى أعمال الحفر فى حين يتخلص الاثنان الآخران من التراب الناجم عنه، وأيضاً اقتضت أعمال الحفر من القائمين به البقاء فى ورشة النجارة طوال الليل، وبلغ عدد السجناء المشتركين فى أعمال الحفر نحو خمسة عشر سجينًا بعضهم من اليهود البولنديين، واستمرت عمليات الحفر بيسر لأيام قلائل، ولكن الأمطار الغزيرة هبطت على المعسكر يومى ٨، ٩ من أكتوبر فأغرقت النفق بأكمله، وعندما دخله تسبولسكى فى ليلة ٩ من أكتوبر وجده مدمراً تدميراً كاملاً، الأمر الذى أدى إلى التخلص من خطة الهرب عن طريق النفق وإلى التفكير فى إيجاد خطة هروب بديلة.

كان بيشرسكى يدرك الصعوبات التى تكتنف خطة الهرب عبر النفق منذ البداية من قبل هطول الأمطار التى دمرته، صحيح أنه لم ينتبه إلى احتمال فشل الخطة؛ بسبب هطول الأمطار بدليل أنه سبق أن أسر إلى فيلدهندلر وليتمان بقوله: "ما عيوب الخطة؟ أخشى أن الفترة من الحادية عشر مساء حتى ابتلاج الفجر لا تكفى ستمائة سجين للزحف على بطونهم (داخل النفق) لمسافة ٣٥ متراً والمشكلة ليست فى طول هذه

الأمتار الخمسة والثلاثين؛ حيث إن المهم هو الابتعاد عن مخرج النفق بقدر المستطاع دون لفت أنظار أحد، ويجب علينا أن نتوقع أن عراكًا قد ينشب بين السجناء بسبب التدافع أثناء محاولة الهرب نتيجة التنافس على أسبقية الهروب.

ولهذا فكر بيشرسكى فى خطة بديلة تعتمد على الإجهاز على رجال وحدة البوليس الخاصة؛ ليتمكن السجناء من الهرب، ولهذا الغرض كلف فيلدهندلر المقاومة بصنع نحو سبعين سكينًا حادًا فى الورش؛ لتوزيعها على أعضائها، وقال بيشرسكى لفيلدهندلر دفاعًا عن فكرته: إن هذا سوف يمكن المقاومة من حمل سلاح تدافع به عن نفسها حتى فى حالة فشل خطة الهرب المقترحة، وأيضًا طلب بيشرسكى من فيلدهندلر أن يبحث عن وسيلة لنقله مع ليتمان فى المعسكر رقم (٤) نظرًا إلى أنه كان يحتل أقصى موقع فى صوبيبور؛ وذلك للعمل فى ورشة النجارة التابعة للمعسكر رقم (١) الذى يحتل مركزًا وسطًا فى المعسكر يسهل عليهما وضع عملية الهروب فى المعسكر موضع التنفيذ، واتخاذ الإجراءات والاستعدادات المناسبة، وفى اليوم التالى الموافق ٨ من أكتوبر (١٩٤٣) تقدم بانيك رئيس ورشة النجارة وعضو اللجنة السرية للمقاومة إلى رجل الوحدة الخاصة المسئول بطلب لتعيين ثلاثة نجارين إضافيين، ووافقت إدارة المعسكر على الطلب فاختار فيلدهندلر أثناء طابور الصباح ثلاثة سجناء من بينهم بيشرسكى وليتمان.

وفى عيد الغفران المعروف عند اليهود بيوم كبور الموافق ٩ من أكتوبر سمحت سلطات المعسكر للسجناء بجمع اليهود للصلاة فى إحدى الثكنات، واستغلت لجنة المقاومة السرية هذه المناسبة الدينية لمناقشة الخطط المزمع تنفيذها، فقد بات من الواضح فشل خطة الهرب عن طريق حفر نفق تحت الأسلاك والأسوار، ومن ثم لم يعد أمام السجناء غير خطة الهرب عن طريق مباغتة الحرس والإجهاز عليهم. ولهذا أصبح من الضرورى، أن تتولى المقاومة تكوين خلايا سرية من المقاتلين والقادرين على استخدام السلاح والفئوس والجاروف؛ تمهيدًا لقيام الثورة، وبطبيعة الحال تعين على بيشرسكى أن يحصل من فيلدهندلر على معلومات تفصيلية خاصة بالروتين اليومى لحياة الألمان وتحركاتهم فى المعسكر وعملهم ومواعيد تفتيشهم على المعسكر واحتمالات استدعائهم للورش... إلخ، وأخبره فيلدهندلر أن رجال الوحدة الخاصة سوف يقومون

بقضاء إجازاتهم فى ألمانيا، وأضاف أنه عرف ذلك؛ لأنهم جاءوا قبل سفرهم لزيارة محلات الترزية والجواهرجية والمحلات والمخازن؛ كى يطلبوا من السجناء إعداد ملابس لهم وشراء الهدايا لعائلاتهم، وأيضًا أطلعه فيلدهندلر على معلومات مهمة؛ مفادها أن سلطات المعسكر لم تسلم الذخيرة الحية لغير الأوكرانيين المكلفين بالحراسة دون بقية الأوكرانيين خوفًا من هروب بعض الأوكرانيين المزودين بالسلاح، فقد رأى النازيون أنه يصعب على الأوكرانى الذى يحمل السلاح دون ذخيرة حية أن يحاول الهرب أو حتى أن ينضم إلى صفوف المقاومة.

وبناء على المعلومات التى جمعها بيشرسكى وعلى محادثاته المستفيضة فى الليل مع ليتمان أثناء رقادهما جنبًا إلى جنب بدأت خطة الهرب عن طريق استخدام العنف تتبلور، وتلخصت فى قيام أعضاء المقاومة بقتل رجال الوحدة الخاصة فى وقت وجيز أثناء تفرقهم فى مواقع العمل المختلفة، أو عند استدعائهم لأية أعذار منتحلة إلى الورش.

ورغم ذلك فقد ظلت خطة الهرب عن طريق قتل الحراس تواجه العديد من الصعوبات أولها تواجد أعضاء المقاومة من سجناء الحرب من أصحاب الخبرة القتالية فى الورش والمخازن المختلفة الأمر الذى يقف عائقًا أمام قتل حراسها من رجال الوحدة الخاصة، أما العقبة الأخرى فتلخصت فى كيفية تنظيم ستمائة سجين ممن لا يعرفون شيئًا عن قيام الثورة وخطة الهروب الجماعى إثر اندلاعها، فضلاً عن ظهور عقبات غير متوقعة تتعلق بالكابوهات الذين انضموا إلى حركة المقاومة السرية.

وفى يوم العاشر من أكتوبر ١٩٤٣ دعى بيشرسكى وليتمان إلى سماع بعض التسجيلات الغنائية على ركوردر (مسجل) أحضره الحرس الأوكرانى لإصلاحه، وكان أحد الأشخاص قد عثر على عدة تسجيلات سوفيتية ضمن المتعلقات الشخصية التى خلفها وراءهم بعض السجناء الضحايا فى المعسكر رقم (٢). وكان الكابو بوزيزكا أحد هؤلاء المستمعين لهذه الشرائط كما كان أحد المشتركين فى الأحاديث المتبادلة، وفى وقت لاحق ذهب بعض السجناء ومن بينهم بوزيزكا وبيشرسكى إلى محل الحدادة المتخصص فى صنع الأقفال، وهناك انتهز بوزيركا فرصته السانحة للحديث مع

بيشرسكى وطلب منه أن يضمه وزيبيك Czepic إلى خطة الهروب من المعسكر ونصحه ألا يضع ثقته فى الكابو شميدت، قال الكابو بوزيزكا مخاطبًا بيشرسكى:

"إنك لست بحاجة إلى أن تخبرنى بأى شيء فأنا أعرف كل شيء.. أنت نفسك لا تتحدث عن هذا الأمر مع أى إنسان، فالذى يتولى الكلام نيابة عنك هو ذلك الشخص الذكى الضئيل الحجم الذى أعتقد أنه اسمه شلومو، فأنتما تنامان بجوار أحدكما الآخر، ومن ثم تتوفر لديكما الفرصة لتقليب الأمور ومناقشتها. إنى أعرف ذلك ولكنى لا أبلغ عنكما وليست لدى النية للتبليغ عنكما... وأقترح عليك إشراكى فى خطتك لأننا إذا عملنا معًا فسوف يكون إنجازنا أكثر يسرًا وكفاءة، فنحن بحكم وظيفتنا ككابوهات نتمتع خلال فترات العمل بالقدرة على التحرك من مكان إلى مكان فى كل المعسكرات باستثناء المعسكر رقم (٣)، ويحق لنا أن نتحدث مع أى شخص دون أن نثير أية شكوك حولنا. ففكر فى مدى الفائدة التى يمكننا تقديمها لك، ولعلك تتساءل عن السبب الذى يدعونى إلى عرض هذا عليك. السبب بسيط للغاية، وهو أننى لا أؤمن بالألمان. إن (الألمانى) فرنزل يفرش لنا الطريق بالورود والوعود المعسولة، صحيح أننا نتمتع ببعض الامتيازات، ولكن عندما يحين وقت تصفية المعسكر فسوف نشارككم المصير نفسه وسوف يقتلوننا، وهذا واضح".

ولم يجب بيشرسكى جوابًا محددًا؛ إذ إنه لم يؤكد أو ينفى وجود جماعة للمقاومة السرية أو وجود خطة للهرب، وأصبح فى حيرة من أمره فهو يدرك الفوائد التى سوف تعود عليه بضم الكابوهات إلى صفوف المقاومة وأهمية الدور الذى يستطيعون أن يؤدوه فى إعداد وتنفيذ خطة الهرب، ولكنه يعرف فى الوقت نفسه أنهم غير جديرين بالثقة، ولهذا قرر أن يناقش الموضوع برمته مع الأعضاء الآخرين فى لجنة المقاومة السرية.

كان الوقت يمر بسرعة، كما كان الشتاء على الأبواب، وأيضًا كانت الثلوج تسقط فى شهر نوفمبر، الأمر الذى يجعل الهرب متعذرًا لسهولة اختفاء الأثر الذى يتركه الهاربون على الثلوج، ولهذا لم يكن هناك مناص من اتخاذ قرار الثورة قبل نهاية

أكتوبر، أي خلال أسبوعين فقط، وأدرك بيشرسكي من خلال حديث مع الكابو بوزيزكا أن خطة الهروب الجماعية من معسكر صوبيبور لم تعد خافية؛ بل أصبحت أمرًا معلومًا لدى السجناء، الأمر الذي هدد نجاحها بالأخطار الجسيمة، ولهذا قرر بيشرسكي أن يحزم أمره ويتخذ قراره على الفور.

الثورة تقوم يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣

كان يوم ١٤ من أكتوبر يومًا مشمسًا وساطعًا من أيام فصل الخريف. بدأ هذا اليوم كعادته بداية روتينية بطابور النداء في الصباح. وتفرق السجناء وانصرفوا إلى أعمالهم، وعلى أية حال، كان التوتر يشيع في الجو، وأحس الكثيرون أن شيئًا غير عادي يحدث في ذلك اليوم، فالعين المدققة لاحظت أن بعض السجناء كانوا يلبسون أفضل ملابسهم وأحسن أحذيتهم. وأخرج العاملون بقرب نشوب الثورة أموالهم ومقتنياتهم الثمينة من مخبئها لزيادة فرصهم في النجاة في حالة هروبهم من المعسكر؛ بل إن لجنة المقاومة السرية طلبت من أعضائها الحصول على كل ما هو ثمين في الورش والمخازن لحفظه مع السجناء الجديرين بالثقة.

وظل بيشرسكي في موقعه القيادي داخل ورشة النجارة منذ الصباح. ومن خلال النافذة شاهد منظر ميدان المعسكر رقم (١) الجميل، وكان برفقته أسير حرب آخر اسمه سيميون روزنفلد، وتكونت الفرقة الأساسية للمقاومة من نحو عشرين فردًا انصرفوا إلى ترتيب الأسرة الخشبية في الثكنة القريبة، وقد قام بيشرسكي وليتمان وباتيك بأنفسهم باختيارهم للإجهاز على رجال الوحدة الخاصة حتى يتمكنوا من الهرب من المعسكر، وأيضًا ضمت هذه المجموعة كلاً من بوريس تسبولسكي وألكسندر شوبابيف وأركادي فاسبابير Arkady Vaispaier، وألت قيادة الثورة اسمًا وفعلاً إلى بيشرسكي، وقام بعض الشباب القادر على حرية الحركة بين المعسكرين رقم (١)، (٢) بهمزة الوصل التي تربط بين قطبي الثورة وهما بيشرسكي وفيلدهندلر، وكذلك أسندت إلى باتيك مهمة تنسيق استدعاء رجال الوحدة الخاصة في المعسكر رقم (١). وطبقًا

للخطة الموضوعة كان من المفترض أن تتم هذه الاستعدادات من الساعة الرابعة حتى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وفى الساعة العاشرة صباحًا عقد بيشرسكى وبانيك وليتمان اجتماعًا قصيرًا أبلغ فيع بانيك زميليه أنه قام باستدعاء رجال الوحدة الخاصة إلى الورش، وكان من المخطط أن يحضر جوزيف وليتمان نائب قومندان المعسكر إلى محل الترزى فى الساعة الرابعة بعد الظهر لعمل مقاس بزة جديدة. وكذلك كان من المخطط أن يستدعى جوتنجر Goettinger قومندان المعسكر رقم (٣) إلى محل صنع الأحذية، فى حين كان المخطط استدعاء فرتزل إلى ورشة النجارة بين الساعة الرابعة والرابعة والنصف ليرى الفترينة الجديدة التى صنعت خصوصًا له وأيضًا طلب المعدون للثورة رجال الوحدة الخاصة الحضور فيما بعد على فترات تتراوح بين الخمس عشرة والثلاثين دقيقة.

وكان بيشرسكى راضيًا عن سلامة ترتيبات الثورة وطلب من ليتمان أن يرسل إليه الفرقة القتالية التابعة للمقاومة فرادى؛ لتكليفهم بتنفيذ الأعمال المسندة إليهم. وكان شوبابينق Shubayev أول الحاضرين، فأخبره بيشرسكى أنه مكلف بالذهاب فى الثالثة صباحًا مع سجين اسمه سينيا Senia إلى محل الترزى مدججين بالسلاح للقيام بقتل الألمان الذين يحضرون إلى هذا المحل. وعندما وصل تسبولسكى سرح له ببيشرسكى أن مهمته هى الأهم وهى تتلخص فى أن الكابو بوزيزكا سوف يصحبه وبرفقته اثنان آخران من سجناء الحرب إلى فيلدهنلر فى المعسكر رقم (٢) للإجهاز على الألمان الموجودين فى هذا المعسكر. وشدد بيشرسكى على أن يتولى تسبولسكى البدء فى تنفيذ العملية برمتها؛ حيث إن قتل أول رجل لوحدة البوليس الخاصة سوف يثير حماس السجناء ويلهب حميتهم، وأوضح بيشرسكى لتسبولسكى أن فشله فى قتل أول ألمانى معناه إبادة الألمان لجميع السجناء.

ثم جاء دور أركادى فانسبابير فطلب منه بيشرسكى أن يأخذ موقعه فى ورشة صناعة الأحذية للإجهاز على الألمان الثلاثة الذين استدعوا إلى هذه الورشة وتم تكليف

ناخوم بلوتنكيى Nachum Poltnicky وألكسى فاتيسن Alexy Vaitsen بقيادة مجموعة من أعضاء المقاومة السرية لترأس طوابير السجناء أثناء سيرهم من موقع النداء الليلى عليهم باتجاه بوابة المعسكر إبان المرحلة الأخيرة فى الثورة، وكذلك كلفت هذه المجموعة بالاستيلاء على مخزن سلاح رجال الوحدة الخاصة وتوزيع محتوياته على أعضاء المقاومة السرية لمحاربة حراس المعسكر وتمكين السجناء العزل من الهروب إلى الغابة. وأيضًا تم تكليف اثنين من سجناء الحرب هما جفيم ليتينوف Jefim Litwinov وبوريس تابارنسكى Boris Tobarinsky بالمسئولية عن فرقة المقاومة القتالية المكلفة بقطع سور الأسلاك الشائكة القريبة من بيت قومندان المعسكر فى حالة استحالة هروب السجناء من البوابة واضطرارهم إلى الهرب عن طريق السور.

وبحلول الظهيرة كانت المقاومة قد أصدرت جميع تعليماتها، وحانت ساعة الصفر، وبدا كل شيء معدًا، ولكن تطورًا غير متوقع حدث بعد الظهيرة، ففى الساعة الثانية بعد الظهر حضر الضابط والتر- ريبا Walter - Ryba إلى المعسكر رقم (١) ليقتاد الكابو بوزيزكا ومعه ثلاثة سجناء آخرين. كان ريبا يحمل مدفعًا رشاشًا على غير عادة رجال الوحدة الخاصة الذين يقتصر تسلحهم على المسدسات، وأثار هذا شكوك بيشرسكى فى أن الألمان بدءوا يحسون بأن شيئا بات يجرى فى المعسكر وراء ظهورهم، وربط بيشرسكى مخاوف الألمان وشكوكهم بزيارة فرنزل لورشة النجارة فى وقت الظهيرة، ولفت نظر بيشرسكى أن بانيك يلبس ثيابًا جديدة، الأمر الذى جعل فرنزل يسأله ساخرًا إذا كان يتأهب لحضور حفلة زواجه، ثم غادر فرنزل المكان دون أن يسأل المزيد من الأسئلة، وبطبيعة الحال مَثَّل حجز بوزيزكا خطورة بالغة على خطة الثورة، حيث إن بوزيزكا كان المسئول عن اصطحاب فرقة المقاومة القتالية التى يرأسها تسبولسكى إلى المعسكر رقم (٢)، وبدأ الانزعاج الشديد يعترى بيشرسكى فى توتر شديد حتى جاء إليه الكابو زيبيك Czepik ليخبره أن بوزيزكا والسجناء الآخرين اقتيدوا إلى المعسكر رقم (٤) لجمع كومة من الخشب، وهدأ هذا فى روع بيشرسكى ولكن بقيت أمامه مشكلة: من سيقود الآن الفرقة القتالية التابعة لتسبولسكى إلى المعسكر رقم (٢).

وطلب بيشرسكى من زيبيك اصطحاب تسبولسكى ورجاله إلى المعسكر رقم (٢) فأجابه زيبيك بأن هناك عوائق تحول دون مغادرته المعسكر رقم (١) واقترح تأجيل موعد الثورة إلى اليوم التالى. ولكن بيشرسكى رفض التأجيل؛ لأن التأجيل سوف يهدد خطة الثورة تهديداً عظيماً، ولا غرو فقد كان كثير من السجناء يعرفون خطة الثورة وزعماءها وأن أمرها قد يتسرب إلى الألمان فى أية لحظة، ولهذا أصر بيشرسكى على قيام الثورة فى موعدها وأمر زيبيك أن يأخذ تسبولسكى ورجاله إلى المعسكر رقم (٢) منتحلاً أية أعذار يراها مناسبة، وفى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة دخل زيبيك الثكنة؛ حيث كان ليتمان يعمل، واصطحب تسبولسكى ورجلين آخرين إلى المعسكر رقم (٢). وعند وصولهم إلى هذا المعسكر أصدر إليه فيلدهندلر التعليمات النهائية.

بدأت الثورة فى هدوء بالإجهاز على رجال الوحدة الخاصة المسئولين عن المعسكر فى نحو الثالثة والنصف بعد الظهر. وتنطوى الشهادات التى أدلاها سجناء معسكر صوبيبور الناجون من الموت على العديد من التناقضات حول من قتل من وحول مواقع القتل، وكذلك حول الترتيب الزمنى لأحداث الثورة، واعتمد فيلدهندلر المسئول عن الإجهاز على رجال الوحدة الخاصة فى المعسكر رقم (٢) على طمعهم فى الاستيلاء لأنفسهم ولعائلاتهم على ما يرغبون فيه من مقتنيات السجناء الضحايا المحفوظة فى المستودعات؛ بل إنهم كانوا أحياناً يكلفون سجناءهم بالذهاب إلى المخازن للبحث لهم عن بعض الأشياء الثمينة وإبلاغهم بها؛ كى يذهبوا بأنفسهم للاستيلاء عليها وطبقاً للخطة التى رسمها فيلدهندلر تعين على تسبولسكى وفريقه الاختباء فى مواقع خفية فى المخزن، ثم استدراج رجال الوحدة الخاصة الطامعين فى نهب المخازن واحداً تلو الآخر بحجة قياس جاكتة جديدة مصنوعة من الجلد.

كان أول من تم استدراجه إلى مخازن الملابس هو الضابط جوزيف وولف Josef Wulf الذى لم يشك فى شىء، رأى وولف بعض السجناء يضعون الملابس فى صناديق، واقترب واحد منهم وقدم إليه جاكتة جديدة فى حين وقف سجين آخر وراء وولف لمساعدته فى قياسها، وفى تلك اللحظة خرج تسبولسكى وسجين آخر من مخبئهما

خلف أحد الصناديق وانهالا بالفأس على رأسه فخرّ صريعًا على الأرض دون أن تصدر عنه أنة، ثم قام قاتلاه بجر جثته لوضعه في صندوق لتغطيه الملابس وقاما بتغطية بقع الدم على الأرض بالرمال، واستولى تسبولسكى على مسدس وولف، وبذلك تحدد الموقف نهائيًا ولم يعد هناك ثمة رجعة، وحتى لا يتنبه رجال الوحدة الخاصة إلى ما حدث وخوفًا من أن يتسرب إليهم النبأ أصدر فيلدهندلر تعليمات إلى السجناء بعدم مغادرة ثكناتهم، وتم تعيين أحد أفراد المقاومة السرية لحراسة مدخل المخزن.

وأيضًا تم تعيين سجين آخر يدعى توفيا بلات Tuvia Blatt كان على علم بأمر الثورة حارسًا على مدخل المعسكر رقم (٢). وكان السجناء في العادة يحرسون هذا المدخل لمنع زملائهم من التجوال بحرية، فضلاً عن نقل الملابس والبضائع الأخرى منه إلى المعسكر رقم (١)، وفي ذلك الوقت كان يهودى هولندى يتولى حراسة مدخل البوابة، وتعين على توفيا بلات منع هذا اليهودى الهولندى من معرفة ما يدور داخل المخزن المجاور ومن دق جرس الإنذار.

وبعد مضى دقائق قلائل على قتل وولف تصادف أن مر بالقرب من المخازن الألمانى كيرت بيكمان Kurt Bechman المسئول عن مكاتب المبنى الإدارى الموجود فى المعسكر رقم (٢) فتقدم منه أحد أفراد المقاومة وسأله إذا كان يريد الحصول على جاكتة جلد على مقاسه تمامًا، كما طلب منه زيارة المخزن ليجربها على جسمه، وتردد رجل الوحدة الخاصة برهة، ولكن العرض سرعان ما أغراه بالتوجه إلى المخزن، ولكن ما لبث أن عدل عن ذلك فالتفت إلى الوراء واتجه إلى مكتبه بدلاً من المخزن كما كان ينوى.

وقام فيلدهندلر بإرسال درسكر Drescher الذى كان يتحرك بحرية بين المعسكر رقم (١) والمعسكر رقم (٢) لتبليغ بيشرسكى وحضر درسكر إلى ورشة النجارة ليبلغ بيشرسكى باعتقال وولف وفشل محاولة قتل بيكمان، واقتربت الساعة من الرابعة بعد الظهر وانتظر بيشرسكى سماع هذا التقرير قبل البدء فى اتخاذ أى إجراء فى المعسكر رقم (١) وأخبر درسكر بالعودة إلى فيلدهندلر وتبليغه التصرف فى موضوع قتل بيكمان على النحو الذى يراه، متمنيًا له التوفيق والسداد.

بدأت عمليات المقاومة حسب الخطة الموضوعة فى الساعة الرابعة بعد الظهر، وفى تمام هذه الساعة امتطى نييمان مهرته للحضور إلى المعسكر رقم (١) وتوقف أمام المخبز، ثم ترجل تاركًا مهرته فى رعاية أحد السجناء ودخل محل الترزى. وفى تلك اللحظة اقترب منه شوبابيف من الخلف وباغت نييمان بضربة فأس على أم رأسه، فمات نييمان على الفور، فقام رجال المقاومة بجر جثته إلى حجرة خلفية وزجوا بها تحت أحد الأسرّة، كما أزالوا بقع الدم من أرضية الفرقة ثم تم نقلها إلى إصطبلات الخيل حتى لا يشك أحد فى اختفاء نييمان.

وجرى شوبابيف إلى ورشة النجارة ليسلم مسدس نييمان إلى بيشرسكى فتقابل الرجلان المنتميان إلى المقاومة السرية واحتضنا بالقبلات بعضهما البعض وقام بيشرسكى بشكر شوبابيف قائلاً: "حتى إذا أراد الواحد منا الرجوع عما بدأه فسوف يستحيل عليه ذلك، "وعاد شوبابيف إلى محل الترزى؛ حيث كان مقررًا وصول بعض رجال الوحدة الخاصة الآخرين إليه.

وبعد رحيل شوبابيف حضرت لوكا صديقة بيشرسكى إلى ورشة النجارة فأخبرها بما حدث وطلب منها الاستعداد للهرب فى غضون نصف ساعة بعد تغيير ملابسها ولبس ملابس الرجال، ورغم شدة قربها إلى قلب بيشرسكى فإنه لم يكشف لها عن خطة الثورة إلا فى آخر دقيقة قبيل نشوبها، واندهشت لوكا عندما عرفت أنباء الثورة وعبرت عن مخاوفها من نتائجها. وعانقت لوكا بيشرسكى وانفجرت باكية ثم مضت إلى حال سبيلها.

وأخذت وتيرة القضاء على رجال الوحدة الخاصة تتصاعد. وحضر إلى ورشة صنع الأحذية الضابط جوتنجر Goettunger المسئول عن المعسكر رقم (٢) فأعطاه جاكوب مدير الورشة وعضو لجنة المقامة السرية زوجًا من الأحذية ذات الرقبة وطلب منه أن يقيسها. وأيضًا طلب الضابط جوتنجر إلى جاكوب صنع زوج من الشباشب لزوجته يأخذه معه عند سفره إلى ألمانيا فى خلال خمسة أيام، وبينما جوتنجر منهمك مع مدير ورشة الأحذية تسلل أركادى فايبابير Arkady Vaispapier من الخلف ليهشم

بفأس رأس جوتيجر وكذلك تم قتل جريشوتز Greischutz قائد الحرس الأوكرانى فى محل الترزى، ورغم أنه لم يكن من أفراد وحدة البوليس الخاصة فقد اعتاد زيارة محل الترزى لاستغلال الترزية اليهود، يقول السجين يهودا ليرز Yehuda Lerner فى شهادته:

"كلفت بالإجهاز على جريشوتز المسئول عن الحرس الأوكرانى، وكنت سعيداً بالفرصة التى سمحت لى بقتل ألمانى. وأعددنا الفئوس التى قمنا بسنها فى ورشة الحدادة، واحتللنا مواضعنا قبل ذلك بساعة، وفى الساعة الرابعة جلسنا فى الغرف ننتظر، وطبقًا للخطة حضرنا فى الموعد ودخلنا الغرفة التى يشغلها الترزية القائمون بخدمة الألمان. وبعد انقضاء خمس دقائق دخل الرجل الألمانى الذى كان صديقى فى انتظاره، قال الرجل الألمانى: إنه يأمل أن يكون الترزى قد أعد له معطفه الشتوى، وتصادف أن هذا الألمانى كان أقرب إلىّ أكثر من قربه من صديقى. كنت جالسًا أحيك زرارًا فى جاكتة حارس أوكرانى، واقتربت من رجل الوحدة الخاصة من الخلف وضربته بالفأس ضربة شجت رأسه إلى نصفين، ووضعنا الجثة تحت المائدة التى يستخدمها الترزية فى عملهم.

وبعد وقت قصير قتلت المقاومة الأوكرانى كلات Klat، واستمرت عملية القتل فى المعسكر رقم (٢). وأيضًا حضر إلى المخزن اثنان من رجال الوحدة الخاصة أحدهما يدعى ستوبل Steuble وهناك تم الإجهاز عليهما، وفى ذلك الجزء من المعسكر لم يبق فى منزل حارس الغابة سوى بيكمان Bechman كان الوقت يمر بسرعة، واقتربت ساعة النداء على الطابور، وقرر فيلدهندلر عدم الانتظار أكثر من هذا، وقررت المقاومة قتل بيكمان فى مكتبه إذا لم يحضر إلى المخزن. ولهذا أرسل فيلدهندلر الأخو الأصغر للكابو بوزيزكا Pozycka واثنين من أعضاء المقاومة لقتل بيكمان، وقام أخو بوزيزكا بالطرق على باب المكتب، وطلب من بيكمان السماح له بالدخول؛ ليناقش معه بعض المشاكل الخاصة بالمخزن. ولأن بيمكان كان يعرف بوزيزكا سمح له بالدخول. ولكن الدهشة البالغة اعترته حين رأى اثنين من اليهود يدخلان عليه مع بوزيزكا ولكن سبق

السيف العزل فقد أمسكوه وطعنوه بالخناجر حتى الموت. وظلت جثة بيكمان خلف مكتبه؛ حيث إنه لم يكن هناك أى وقت لإخفائها.

وتم تكليف فيلدهندلر بقطع أسلاك التليفون التى تربط المبنى الإدارى بالمعسكر الخارجى، إلى جانب تكليفه بفصل الكهرباء عن المعسكر، وقام بهذا العمل كهربائى قادم من تشيكو سلوفاكيا، وبمقتله فرغت المقاومة من عملية الاغتيالات فى المعسكر رقم (٢). وحتى يحتفظ بسرية هذه الاغتيالات منع فيلدهندلر ورجاله أيًا من السجناء من مغادرة المخزن أو منطقة المعسكر رقم (٢). وانتظر سماع البوق آتيًا من برج حارس الغابة إيذانًا بانتهاء العمل والنداء الليلى على الطابور.

وفى الساعة الخامسة إلا ربع بعد الظهر عاد تسبولسكى Tsibulsky إلى المعسكر رقم (١) وهو فى شدة الاضطراب ليبلغ بيشرسكى أن جميع رجال الوحدة الخاصة الأربعة الموجودين فى المعسكر رقم (٢) قد تم الإجهاز عليهم كما تم قطع أسلاك التليفونات وفصل الكهرباء نهائيًا عن المعسكر.

ثم عاد الكابو بوزيزكا الموجود فى المعسكر رقم (٤) برفقة السجناء المكلفين بقطع أخشاب الشجر متجهًا إلى ورشة النجارة وتبعه فردريتش جوليستيك Friedrich Goulstich، والتفت ليتمان إلى جوليستيك وطلب منه الحضور إلى الثكنة؛ لأنه يحتاج إلى أخذ رأيه بخصوص العمل، وذهب جوليستيك إلى الثكنة يتبعه الكابو شميدت تحسبًا لاحتياج جوليستيك إليه. ولكن بيشرسكى الذى كان يراقب الموقف عن كثب من ورشة النجارة جرى نحو بوزيزكا ليخبره بمنع شميدت من دخول الثكنة. وتأبط بوزيزكا ذراع شميدت وأبلغه بما يحدث ونصحه بالبقاء فى الخارج إذا أراد أن يبقى حيًا يرزق. وفى الوقت نفسه انهال ليتمان على جولستيك بالفأس حتى فاضت روحه. وحوالى الساعة الخامسة قام أحد الثوار واسمه شلومو زمازنر Shlomo Szmajber بمساعدة رجلين بالاستيلاء على ست غدارات من ثكنات الأوكرانيين أخفوها فى بطانية داخل ماسورة. ولم يكن هناك أى أوكرانى أو ألمانى بالقرب من المكان، وسار شلومو زمازنر باتجاه المطبخ عن طريق بداية المعسكر رقم (٢) حيث سلم الغدارات إلى أعضاء المقاومة

السرية واحتفظ لنفسة بغدارة، كما أحضر طلقات الرصاص معه ونما إلى علم بيشرسكى أن صانع الأقفال إنجل Engel أجهز على والتر ريبا عندما حضر ريبا إليه أثناء عمله فى الجراج، ولكن قتله لم يكن ضمن خطة المقاومة السرية؛ إذ إن إنجل قتله من تلقاء نفسه، الأمر الذى جعل بيشرسكى ينزعج ويخشى فى اكتشاف جثة والتر ريبا فى الجراج المجاور لمساكن رجال الوحدة الخاصة والأوكرانيين.

ولم تستغرق الثورة فى معسكر صوبيبور أكثر من ساعة ونصف أى من الساعة الثالثة والنصف حتى الساعة الخامسة بعد الظهر وفقًا لما هو مخطط لها، ونجحت الثورة فى القضاء على معظم رجال الوحدة الخاصة ومن بينهم ثلاثة شخصيات مرموقة هو بييهان نائب قومندان المعسكر وجرسشوتز Greischutz قائد الحرس الأوكرانى وجوتنجر قومندان المعسكر رقم (٣).

وتسلح السجناء الثوار بالمسدسات التى استولوا عليها من رجال الوحدة الخاصة المقتولين والغدارات التى أحضرها سزمازنر. وحتى تلك اللحظة لم يكتشف أو يشتبه الحراس الأوكرانيون التابعون فى أبراج المراقبة التى مكنتهم من كشف أرجاء المعسكر فى حدوث أى شىء غير عادى أو يثير الشك، وبمقتل قيادات المعسكر، باستثناء فرنزل الذى ظل حيًا - أصبح الألمان الأوكرانيون فى المعسكر دون قيادة، ويرجع السبب فى نجاة فرنزل من القتل إلى أنه استدعى للحضور إلى ورشة النجارة لتفقد الدولاب الجديد الذى صنع خصيصًا له حيث كان سيميون روزنفيلد فى انتظاره للفتك به، ولكنه لم يحضر، يقول روزنفلد فى شهادته: -

"فى يوم نشوب الثورة استدعانى بيشرسكى وكلفنى بقتل فرنزل عند حضوره إلى ورشة النجارة نحو الرابعة أو الرابعة والنصف لاستلام دولاب جديد، وأعددت نفسى تمامًا لتنفيذ هذه المهمة وقمت بسن الفأس واخترت المكان المناسب لتسديد الضربة القاضية إليه، ولكن الوغد لم يحضر، وإنى حتى يومنا الراهن آسف على ذلك".

"وفى الساعة الخامسة بعد الظهر عندما حان وقت النداء على الطابور واجه بيشرسكى معضلة محيرة وهى هل ننتظر حتى يقتل فرنزل، وهو آخر رجال الوحدة

الخاصة القادر على تنظيم صفوف الأوكرانيين للهجوم على السجناء أو نقوم بتنفيذ خطة الهرب على الفور تاركين فرنزل على قيد الحياة ".

غير أنه أصبح من الصعب تهدئة التوتر الشديد الذى سيطر على السجناء، وخاصة بعد أن علم معظمهم بأمر عمليات القتل التى حدثت فى المعسكر. وكان الكابو بوزيزكا يرافق بيشرسكى، كما كان باستطاعته دق الجرس الذى يعلن إنهاء العمل واستدعاء السجناء للتجمع والاصطفاف فى طابور النداء، وقام ليتمان بحث بيشرسكى على عدم الانتظار لحين التخلص من فونزل؛ بل بضرورة التنفيذ الفورى للمرحلة التالية من الثورة التى تتلخص فى استدعاء السجناء إلى طابور النداء وتكوين مسيرة تتجه إلى بوابة المعسكر.

وتجاوزت الساعة الخامسة بعد الظهر وقرر بيشرسكى عدم الانتظار وأرسل ليتمان إلى فيلدهندلر فى المعسكر رقم (٢) رسولاً لتبليغه بهذا القرار. وطلب بيشرسكى من بوزيزكا تنفيذ ذلك الجزء من الخطة المنوط به تنفيذها وصعد يهودا Yehuda الحلاق برج الغابة ونفخ فى البوق إيذانًا بتوقف عمال المعسكرات عن العمل والانخراط فى طابور النداء.

أصدر فيلدهندلر أمره باصطفاف السجناء فى طابور فى المعسكر رقم (٢). ولكن كان من العسير جمعهم فى طابور منتظم؛ بسبب التوتر المسيطر عليهم، ولكن بدءوا يسيرون ببطء فى اتجاه المعسكر رقم (١)، ويصف لنا هذه المسيرة دوف فريبرج Dov Fraiberg السجين فى معسكر (٢) بقوله: -

"عندما سرنا إلى المعسكر رقم (١) ارتفعت عقائرنا بأغنية ألمانية حتى لا تثير أية شكوك حولنا ... وذهبنا إلى هناك بعد وصول كل المجموعات الأخرى. وحدث اضطراب عظيم، فقد ظهر بعض السجناء اليهود وهم يحملون الغدارات، والمسدسات... واعتلى صبى يهودى برجًا للحراسة فى الغابة ونفخ فى البوق لاستدعاء طابور النداء".

ويصف لنا بيشرسكي ما حدث في المعسكر رقم (١) بقوله: -

"جاء الناس زرافات من كل حدب وصوب، لقد قمنا فيما سبق باختيار سبعين رجلاً معظمهم من سجناء الحرب السوفيت المكلفين بمهمة الهجوم على مخازن السلاح والذخيرة، ولهذا كانوا في صدارة الطابور، غير أن جميع الآخرين ممن شكوا في أن شيئًا ما يدبر في الخفاء اكتشفوا ما حدث في اللحظة الأخيرة، وأخذوا في التدافع إلى الأمام؛ خشية التخلي عنهم وتخلفهم عن الركب، ثم وصلنا إلى بوابة المعسكر رقم (١) على هذا النحو غير المنظم".

واقترب قومندان ألماني في نهر الفولجا المجاور صائحًا.... يا أولاد الكلب ألم تسمعوا الصفارة ؟ فلماذا إذن تتدافعون كالمواشي. انتظموا في الطابور وقفوا كل ثلاثة منكم في صف..

" وكما لو كان هناك أمر صادر بذلك ظهرت فجأة عدة هراوات من تحت المعاطف وانهالت على رأسه".

"وفي تلك اللحظة تقدم الطابور القادم من المعسكر رقم (٢) صوبنا. وبدأت نسوة كثيرات يصرخن من هول المفاجأة. وكاد أحد السجناء أن يقع مغشيًا عليه، في حين أخذ سجين آخر يجري كالأعمى دون أن يكون له اتجاه معين، وفي ظل هذه الظروف يستحيل على الناس الانخراط في طابور منتظم".

"وصحت بصوت عال: "يا رفاقي سيروا إلى الأمام، وردد نفس النداء شخص يقف على يميني: (سيروا إلى الأمام)".

"وتردد هذا النداء كالرعد في معسكر الموت موحدًا جبهة اليهود القادمين من روسيا وبولندا وهولندا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا، وتجمع ستمائة سجين يتلظون من العذاب والألم ليتحركوا إلى الأمام وهم يهتفون في سرور وبشر للحياة والحرية".

وطبقًا للخطة كان من المفترض أن تدخل مخزن السلاح مجموعة من السجناء بقيادة كل من ناهوم بلوتنيكي Nachum Plotnicky للاستيلاء على ما فيه من سلاح

ونجح الثوار فى اقتحام هذا المخزن، وفيما يلى شهادة فيرنر ديبوا Werner Dubois المسئول عن مخزن السلاح:

"بعد ظهر اليوم الذى قامت فيه الثورة كنت فى مخزن السلاح برفقة عدد من الحراس الأوكرانيين. كان الباب مفتوحاً فرأيت مجموعة من السجناء اليهود يحملون الفئوس ويقتربون من مخزن السلاح. وظننت أنها مجموعة عمل عادية وسارت هذه المجموعة المكونة من خمسة أو ستة أشخاص بجوار مخزن السلاح فالتفوا حولى واقتحموا الحجرة وضربونى بفئوسهم وكسرت ضربة الفأس جمجمتى كما أن ضربات الفأس الأخرى أصابتنى بجروح، ورغم ذلك فقد نجحت فى تخليص نفسى والهروب خارج مخزن السلاح، وبعد أن جريت نحو عشرين متراً أصابتنى رصاصة فى رئتى وفقدت الوعى. وأعطانى بعض الأوكرانيين شراب الفودكا فاستعدت وعيى. وعندئذ علمت بنبأ اندلاع الثورة.

ويصف لنا موردخاى جولد فارب Mordechai Goldfarb الذى كان يرافق المجموعة المهاجمة ما حدث فى مخزن السلاح.

"جرى أربعة منا إلى مخزن السلاح. وكان هناك أحد رجال وحدة البوليس الخاصة أراد أن يطلق الرصاص علينا، غير أن بوريس قذفه بالرمل فى عينيه، فتمكنا من مهاجمته وقتله، وانتزعنا بعض الغدارات وجرينا نحو السور ".

وقبل انطلاق صوت البوق معلناً نهاية العمل عادت شاحنة مليئة بالمؤن والشراب يقودها إيريك بوور متجهاً بها نحو بيت حارس الغابة، وعند اقترابه من المعسكر رقم (١) التقى بوور بسجينين هما جاكوب بسكويز Jakub Biskubicz وشخصاً يدعى دافيد كانا يصلحان بوابة المعسكر رقم (١)، فأمرهما باللحاق بالشاحنة لتفريغ حمولتها، وتوقفت الشاحنة أمام منزل حارس الغابة فى المعسكر رقم (٢) يقول بيسكويز فى شهادته:-

"أثناء قيامنا بتفريغ أول صندوق من الشاحنة رأينا رجلاً ألمانياً فى منزل حارس الغابة فطعناه فى ظهره. وبينما نحن مشغولين بتفريغ الصندوق الثانى جاء أحد

الأوكرانيين جريا ونادى بوور: (لقد مات رجل ألمانى). وفى بادئ الأمر لم يفهم بوور معنى هذه العبارة. ولكن دافيد الذى سمع النبأ أخذ يجرى فى اتجاه المعسكر رقم (١)، وأطلق بوور الرصاص عليه مرتين ثم جرى خلفه فوجدت نفسى بمفردى، وبعدئذ سمعت صيحة فزع من المعسكر رقم (١) كما سمعت صوت إطلاق النار ".

"وعند هذه النقطة انتهى الجانب الهادئ من الثورة، وذلك بعد أن شاهد الحراس مقتل قائد الحرس الأوكرانى فى العراء بالقرب من بداية المعسكر رقم (١) وعند مهاجمة مخزن السلاح كان بعض الأوكرانيين حاضرين. فضلاً عن أنهم رأوا إصابة فرنر ديبوا بجروح بالغة وانهمرت نيران الأسلحة الأوتوماتيكية من أحد أبراج المراقبة على السجناء الذين حاولوا الهرب، وكان السجناء قد نجحوا فى اقتحام البوابة وقتل الحارس الأوكرانى المعين لحراسة البوابة. ولكن السجناء لم يتمكنوا من الهرب من خلال البوابة الرئيسية؛ بسبب الرصاص الذى أطلقه فرنزل وبعض الحراس، وانطلق السجناء نحو الأسوار وحقول الألغام عندئذ فقد بيشرسكى وزعماء الثورة الآخرين سيطرتهم على أحداث الثورة وتحركات جمهور السجناء الذين كانوا يجرون فى كل اتجاه. وكانت الساعة نحو الخامسة والربع ظهراً.

وعندما أدرك السجناء، فى المعسكر رقم (١) الذين يشكلون السواد الأعظم عجزهم عن الهرب عن طريق البوابة الرئيسية؛ بسبب إطلاق النار عليهم جروا باتجاه الأسوار وحقول الألغام فى جنوب وجنوب غرب المعسكر، وبطبيعة الحال انفجرت هذه الألغام عندما وطئتها أقدام الهاربين، الأمر الذى جعل هروب من تلاهم آمناً. (انظر شهادة أدا ليختمان).

ويعتبر جوزيف وولف أخو فرانز وولف- أول من تمت تصفيته فى مخزن المعسكر رقم (٢) وتصادف وجود شقيقه فرانز وولف فى هذا المخزن فى الوقت نفسه، وعند بدء إطلاق النار كان فرانز برفقة مجموعة من النساء اليهوديات العاملات فى حديقة المعسكر رقم (١).

وبعد بداية إطلاق النار قام اثنان على أقل تقدير من رجال الوحدة الخاصة هما فرنزل وببوور ونحو اثنى عشر حارسًا أوكرانيًا بإطلاق الرصاص من مدافعهم الرشاشة وغداراتهم ومسدساتهم على السجناء الهاربين، وكانت أكثر النيران كثافة تلك التى انطلقت من برجين من أبراج المراقبة في الجانب الجنوبى من المعسكر. ومن هذه الأبراج استطاع الأوكرانيون إحكام سيطرتهم على النيران الموجهة ضدالمعسكر رقم (١) والمعسكر الأمامى والأسوار الجنوبية وبوابة المعسكر وعلى جميع مخارج الهروب، وتبادلت المقاومة السرية المسلحة معهم إطلاق النار لتمكين السجناء من الهرب، يقول بيشرسكى فى وصف هذه المرحلة:

"فتح الحراس فى أبراج المراقبة نيران رشاشاتهم الكثيفة على السجناء الهاربين، وانضم إليهم حراس آخرون بالقرب من أسوار الأسلاك الشائكة، وصوب بانيك النجار النار على حرس برج المقاومة، ثم سكت صوت المدفع الرشاش، فقام الحداد هنريك Henrick باستخدام الرشاش الذى نجح فى الاستيلاء عليه لإسكات النيران القادمة من برج المراقبة الثانى، ولكن هذا الرشاش ظل يعمل بدون انقطاع. وحاول رجال الوحدة الخاصة الباقون أن يقطعوا على جمهرة السجناء طريقهم باستخدام نيران البنادق الآلية، ولهذا اتجه مجموع السجناء الأساسى صوب أسوار المعسكر رقم (١). وجرى البعض منهم مباشرة إلى حقول الألغام، وطبقًا للخطة تعين قذف الحجارة والعوارض الخشبية على الألغام لتفجيرها، ولكن هذا لم يحدث نتيجة الفوضى الضاربة أطنابها، ولقى كثير من السجناء حتفهم فى هذه الحقول الملغومة، ولكن موتهم جعل طريق الهرب أمام زملائهم أكثر أمنًا، وقامت مجموعة خاصة بقطع أسلاك السور الشائكة القريبة من بيت قومندان المعسكر، وعندما مررت بهذا البيت وجدت فرنزل راقدًا خلف بيت آخر ويطلق النار من مدفعه الرشاش، فصوبت مسدسى إليه مرتين ولكن فشلت فى إصابته. ولكن لم أتوقف عن إطلاق النار، وحاولت مجموعة كبيرة من السجناء بقيادة ليتمان عبور أسوار الأسلاك الشائكة القريبة من البوابة الرئيسية، فقام الحرس فى برج المراقبة بإطلاق النار على مجموعة ليتمان، وكنت فى أواخر الذين غادروا المعسكر.

وكـان الافـتـراض الذى ذهب إليـه بيـشـرسكى بخلو الحـقل الواقع خلف منزل قومندان المعسكر فى الألغام صحيحًا. فقد استطاع بيشرسكى ورفاقه من السجناء عبور الغابة دون أن تطأ أقدامهم أى ألغام أو متفجرات.

ونجحت المرحلة الأولى باستثناء فرنزل الذى فشلت المقاومة فى الإجهاز عليه. ولكن المرحلة الثانية من الثورة التى تلخصت فى التجمع فى طوابير النداء والاشتراك فى مسيرة نحو البوابة أخفقت ولم تسر وفق الخطة المرسومة، ويرجع سبب إخفاق المرحلة الثانية من الثورة إلى بقاء النازى فرنزل على قيد الحياة كما يرجع إلى قتل المقاومة لقيصر Kaiser بالقرب من بوابة المعسكر رقم (١) ورؤية الحرس الأوكرانى لهذه الواقعة وعلى أية حال كان الثوار يأخذون فى حسبانهم مثل هذه الانتكاسات ومن ثم رسموا خطة هرب بديلة عن طريق الأسوار وحقول الألغام. غير أن هذه الخطة البديلة كانت تفتقر إلى الوضوح، ولهذا أفقدت المقاومة سيطرتها على السجناء حين بدأ إطلاق النار عليهم فجروا فى اضطراب عظيم فى كافة الاتجاهات. ورغم ذلك فقد نجح نحو نصف السجناء البالغ عددهم ثلاثمائة ممن كانوا فى المعسكر الرئيسى فى عبور الأسوار وحقول الألغام فى الغابات.

ملاحقة الهاربين من صوبيبور

ظلت الفوضى تسود معسكر صوبيبور حتى الهزيع الأخير فى ليلة ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ وبسبب هبوط الظلام على المعسكر وانقطاع التيار الكهربائى على يد الثوار كان من العسير على البقية الباقية من رجال الوحدة الخاصة السيطرة على المعسكر وإعادة النظام إليه، ولم يقف فى وجه الثورة أو يقاومها غير اثنين فقط من رجال الوحدة الخاصة الباقين على قيد الحياة هما فرنزل وبوور، وكما أسلفنا أصيب الألمانى ديبوا بجرح، فى حين اختبأ زميلاه فرانز وولف وويلى ويندلاند Willi Wendland، واستغرق كل من فرنزل وبوور نحو ثلاث ساعات فى تنظيم الحرس الأوكرانى واحتجاز السجناء الذين بقوا فى المعسكر ووضعهم تحت حراسة مشددة، ولكن بعض السجناء رفض

الاستسلام واستمر فى مقاومة السلطات النازية، وكان عدد منهم مسلحًا بالفئوس والبنادق، وبحثت فلول إدارة المعسكر عن المقتولين من رجال وحدة البوليس الخاصة، ومرت ساعات طوال حتى أمكن اكتشاف جثثهم واستعادتها.

وحاول الألمان الباقون على قيد الحياة فى معسكر صوبيبور الاتصال بقوات الأمن المرابطة فى ضواحى صوبيبور والاستعانة بهم فى حفظ النظام ومطاردة الهاربين، ولم ينجح فرنزل وبوور فى استعادة الاتصالات الهاتفية بالعالم الخارجى وطلب النجدة إلا قرابة الساعة الثامنة مساء.

وصلت الاستغاثة رجال وحدة البوليس الخاصة ووحدة الجيش المرابطة من مدينة تشيلم (على بعد أربعين كيلو مترًا من جنوب صوبيبور) ولكنهم كانوا من الناحية الإدارية تابعين لمدينة تشيلم وليس لصوبيبور، وكانت أولى من وصل إلى معسكر صوبيبور وحدة صغيرة تابعة لشرطة الحدود المسئولة من مراقبة الحدود الفاصلة بين الحكومة العامة (بولندا) وقومسارية الرايخ فى أوكرانيا، وتكونت هذه الوحدة من سبعة رجال بوحدة البوليس الخاصة تحت قيادة الضابط أدالبرت بند Adalbert Bend، وتمكنت هذه الوحدة الصغيرة بمساعدة الحرس الأوكرانى فى معسكر صوبيبور فى التغلب على فلول المقاومة فى هذه المعسكر واستعادة السيطرة عليه. ويقول بندا فى تقريره المؤرخ فى ١٧ من مارس ١٩٤٤، والذى وردت به أخطاء.

"قام قومندان العمليات الذى أرسلته قومسارية شرطة الحدود بتمشيط المعسكرات الفرعية داخل معسكر صوبيبور، وكذلك قام السجناء المحاصرون داخل المعسكر عدة مرات بإطلاق الرصاص على رجالنا فى ليلة ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣، وفى الساعات الأولى من صبيحة ٦ من أكتوبر من العام نفسه (والصحيح أنها ليلة ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ والساعات الباكرة من ١٥ من أكتوبر)، وفى أثناء عملية تمشيط المعسكر قاوم السجناء وأطلقوا الأعيرة النارية، فرد عليها أمراء الوحدة الصغيرة القادمة فى تشيلم وأصابوا عددًا كبيرًا من السجناء".

وفيما يلى شهادة جاكوب بسكويز الذى لم ينجح فى الهرب من المعسكر وبقى فى المعسكر رقم (٢) حتى ساعة متأخرة من الليل: -

"استطاع كل السجناء الهرب، وبقيت بمفردى وقفزت فوق سور ارتفاعه متران ووصلت إلى مخزن البضائع وهبط الظلام الذى يحل مبكرًا فى شهر أكتوبر، ولهذا لم تصبنى الطلقة الموجهة إلى. وبقيت حتى منتصف الليل راقدًا على الأرض وسمعت صرخات وصيحات آتية فى شتى الاتجاهات، وفى منتصف الليل سمعت طلقات نارية بالقرب منى وأصوات تتحدث بالألمانية تقول: (لا يوجد أحد هنا). وغادروا المكان... ووصلت إلى المعسكر رقم (٤) ورأيت باب أحد أبراج المراقبة مفتوحًا، ولم أجد أحدًا حولى فصعدت سلالم البرج، وقفزت خارجه فوق السور والألغام، وسقطت على شريط السكة الحديد وهربت فى الغابة".

كان بيسكويز محظوظًا فى حين كان زملاؤه الباقون فى المعسكر عاثرى الحظ، فقد تمكن الألمان من القبض على مائة وخمسين منهم وحبسهم فى ثكنة تحت حراسة أوكرانية مشددة، وفى منتصف الليل وصلت بالقطار إلى صوبيبور أولى التعزيزات العسكرية وهى سرية من خيالة الوحدة الخاصة والشرطة المرابطة فى تشيلم، ويشهد قائد هذه السرية وضابط شرطة الأمن إيخ وولبراندت Erich Wulbrandt بما يلى:

"عند عودتى إلى تشيلم بعد انتهائى فى التصدى للمقاومة فى إقليم لوبلن تلقيت أمرًا بالذهاب فورًا إلى صوبيبور، وتبين لى نشوب ثورة فى معسكر اليهود فى صوبيبور، كما تبين من الأمر الصادر أن حراس هذا المعسكر كانوا لا يزالون يواجهون الخطر، ولهذا تولى ضابط الأمن وقائد الخيالة فى السرية رقم (٣) المأجور إيجرت Eggert بنفسه قيادة وحدتنا، وخشى الألمان أن يشن اليهود الذين تمكنوا من الهرب هجومًا على المعسكر لتحرير من تبقى فيه من السجناء وللحيلولة دون وقوع ذلك ومن أجل حماية الألمان فى المعسكر توجهت سريتنا تحت قيادتى وقيادة الماجور إيجرت إلى مسرح العمليات... وعند وصولنا بالقطار إلى محطة صوبيبور وقبل دخولنا بوابة المعسكر أبلغنا اثنان بوحدة البوليس الخاصة (هما فرنزل وبوور) بما حدث.. وعندها

وجدنا جثث الألمان المقتولين من رجال الوحدة الخاصة، وقد رأيت هذه الجثث بعيني، وأعتقد أن عددها في الحجرة كان ثلاثة عشر.. وطبقًا لما وصلنا إليه من تقديرات في ذلك الوقت نجح نصف السجناء في الهرب وتحفظنا على اليهود الباقين في ثكناتهم، وأنيط بالأوكرانيين مهمة العمل في أبراج المراقبة.... وفي الصباح تم نقل جثث السجناء اليهود الذين أطلق الأوكرانيون عليهم النار داخل المعسكر أثناء اندلاع الثورة ووضوعها على رصيف سكة حديد المعسكر".

وأيضًا وصلت استغاثة معسكر صوبيبور إلى كتيبة الأمن رقم ٦٨٩ التابعة للجيش الألماني المرابط في تشيلم، وكانت هذه الكتيبة تخضع للقائد العسكري في إقليم لوبلين العميد هيلمر موسر Hilmer Moser يقول قائد هذه الكتيبة الماجور هانز فاجنر Hans Wagner في شهادته : "قام نائب قومندان معسكر صوبيبور بالقيادة العليا في الساعة التاسعة في يوم ١٤ من من أكتوبر بطلب مساعدة مسلحة عاجلة، وتلقى الاستغاثة الملازم الأول بالكتيبة فيرتز Wiertz وأبلغ نائب القومندان أن السجناء استولوا على أسلحة المعسكر وأن اثني عشر ضابطًا وجنديًا من بين التسعة والعشرين ألمانيًا التابعين لوحدة البوليس الخاصة كانوا يقضون إجازاتهم في ألمانيا وأن الثوار اليهود قاموا بقتل اثني عشر من بين السبعة عشر الباقين، وطبقًا لهذا التقرير تعاون بعض الحراس الأوكرانيين مع الثوار، ولكن أغلبيتهم ظلوا على ولائهم للألمان فقد قاموا بقيادة الألمان الباقين على قيد الحياة بالتصدي اليائس للسجناء المتمردين الذين هرب معظمهم إلى الغابات.... ورفضت تقديم أية مساعدة مسلحة؛ لأنني تحت كل الظروف لم أرغب في أن تكون لي أية صلة بهذا المعسكر وتنظيمه. وبعد مضي خمس عشرة دقيقة اتصل بي قائد تشيلم العسكري وهو برتبة ماجور في الجيش الألماني وأمر لي أن أرسل إلى معسكر صوبيبور معونة مسلحة على الفور، ولكني رفضت للمرة الثانية تقديم المساعدة، ويجدر بي أن أذكر أن قائد المنظمة العسكرية في كراكو (الجنرال هاينيك Haenicke قائد القوات العسكرية في الحكومة العامة) أصدر أمرًا عامًا بأنه يجب على الجيش الألماني والبوليس والوحدة الخاصة تقديم المساعدة إلى بعضها البعض في أوقات الطوارئ حتى إذا لم يكن هناك أمر محدد بذلك، وفي مثل هذه

الظروف يحق للقومندان العسكرى المحلى بل يجب عليه إصدار الأوامر واستخدام وحدات الجيش الموجودة فى منظمة العمليات التابعة له".

"وبعد أن رفضت التدخل لجأ قومندان تشيلم العسكرى إلى رئيسنا المشترك وهو قومندان إقليم لوبلن العسكرى الجنرال موسر، وبعد مرور خمس عشرة دقيقة اتصل بى هذا الجنرال فعبرت له عن اعتراضى على تقديم المساعدة، ولم يأمرنى بالانصياع له، ولكنه قال: إنه سوف يأخذ رأى قومندان المنطقة العسكرية فى كراكو؛ كى يتأكد منه كيف يتصرف الجيش فى مثل هذه الحالات، وبعد مرور نحو ربع ساعة أبلغنى الجنرال موسر تليفونيًا أن الجنرال هاينيك Haenicke قائد المنطقة العسكرية قال: إننا لا نملك الامتناع عن مساعدة رجال الوحدة الخاصة الذين يقاتلون المتمردين، وأمرنى بقيادة كتيبتى بكل ما نملك من قوة وعتاد وتقديم يد العون لهم، وعندئذ لم يكن بمقدورى الرفض، ولهذا أسندت إلى الكابتن وولف Wulf قائد الكتيبة الرابعة قيادة سرية تتكون من ثمانين رجلاً وليس مائة رجل وصلت إلى معسكر صوبيبور فى الصباح الباكر فى يوم ١٥ من أكتوبر (١٩٤٣) ولكن بحلول هذا الوقت كانت سلطات المعسكر قد نجحت فى إخماد الثورة بإمكانياتها الذاتية بالاستعانة بالحرس الأوكرانى بوجه خاص، وتمكن معظم السجناء اليهود من الهرب، أما القلة الباقية المكونة من بضع مئات السجناء فقد تمت محاصرتها".

وفى صوبيبور كان لمقتل أحد عشر فردًا من أفراد وحدة البوليس الخاصة واثنين أو ثلاثة من الحراس الأوكرانيين وإصابة الكثيرين منهم بجروح دوى هائل لدى السلطات الألمانية فى الحكومة العامة (بولندا)، وتم تبليغ السلطات العليا فى برلين بهذا الأمر الجلل، فهى المرة الأولى التى ينجح فيها السجناء بالقيام بثورة تنتهى بقتل هذا العدد الكبير من رجال الوحدة الخاصة.

سرعان ما وصلت إلى معسكر صوبيبور بعد ظهر يوم ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣ مجموعة من كبار المسئولين بوحدة البوليس الخاصة برئاسة جاكوب سبورنبرج Jacob Sporrenberg رئيس جهاز الشرطة ووحدة البوليس الخاصة فى مقاطعة لوبلن وقد حل

سبورنبرج محل جلوبكنيك بعد سفره فى إدارة المعسكر، وبعد وصولهم إلى صوبيبور تلقوا تقارير من فرنزل وقومندان الوحدات الذين انصرفوا إلى ملاحقة الهاربين، ثم قاموا فيما بعد بفحص جثث القتلى من أفراد وحدة البوليس الخاصة وأصدر سبورنبرج أمرًا بإعدام جميع السجناء اليهود الباقين فى المعسكر والبالغ عددهم ما لا يقل عن ١٥٠ سجينًا.

وكان هناك سجناء فى المعسكر رقم (٣) لم يعرفوا شيئًا عن اشتعال الثورة إلا بعد سماعهم طلقات الأعيرة النازية، وقامت السلطات بقتلهم ولكن الدارسين لا يعرفون إذا كانوا ضمن المائة وخمسين قتيلاً أم لا، وقام الحرس الأوكرانى، بقيادة رجال وحدة البوليس الخاصة بإطلاق النار على كل السجناء الموجودين فى ذلك اليوم فى المعسكر رقم (٣) فى صوبيبور، وقد حدث إطلاق النار المشار إليه فى وقت متأخر من بعد ظهر يوم ١٥ من أكتوبر انتقامًا من جانب السلطات النازية لقتل رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكرانى.

بدأ البحث عن السجناء الهاربين من معسكر صوبيبور فى صباح يوم ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣، واشتملت القوات الألمانية على فرقة أمن القوات المسلحة رقم ٦٨٩ وعلى الكتيبة الأولى من خيالة وحدة البوليس الخاصة ووحدات شرطة الحدود والحرس الأوكرانى فى صوبيبور، ثم انضمت إليها يوم ١٦ من أكتوبر فى البحث عن السجناء اليهود الهاربين السرية الثانية من خيالة الوحدة الخاصة والشرطة التى كانت تعمل فى قطاع نهر البوج، وتراوح مجموع هذه القوات بين أربعمائة وخمسمائة جندى وعامل بوحدة البوليس الخاصة، وأيضًا تم التنبيه على وحدات البوليس المحلية بالاشتراك فى البحث عن الهاربين فى الأماكن المجاورة وطبقًا للخطة الموضوعة قامت السرية الثانية لخيالة وحدة البوليس الخاصة والشرطة ووحدات شرطة الحدود بإغلاق الكبارى ومناطق العبور على نهر البوج الواقع شرق صوبيبور بهدف منع السجناء الهاربين من عبور النهر والانضمام إلى صفوف المقاومة السوفيتية النشيطة هناك، وأيضًا قامت القوات الأخرى بتطويق المنطقة بأسرها من الشمال والغرب والجنوب وبتمشيط الغابات. وأسهم

سلاح الطيران ببعض طائراته فى تحديد مكان السجناء الهاربين وإرشاد القوات الألمانية الأرضية إلى مكانهم.

ونظراً لأن البحث عن الهاربين لم يبدأ إلا فى صبيحة ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣ فقد أعطاهم هذا فسحة فى الوقت للابتعاد قدر الإمكان عن معسكر صوبيبور والاختفاء فى أقرب غابة، وبعد هروب السجناء من مختلف الاتجاهات التقى بعضهم ببعض وكونوا جماعات يصل عدد المنضمين إليها إلى عشرات الهاربين، غير أنهم كانوا يجهلون طوبوغرافية المكان والاتجاه الصحيح الذى ينبغى عليهم السير فيه، وأدى هذا الجهل إلى أنهم كانوا أحياناً يسيرون لمسافات طويلة ثم يكتشفون فى نهاية المطاف أنهم لم يبارحوا مكانهم وأنهم لا يزالون على مقربة من المعسكر.

واستمرت عملية البحث عن السجناء الهاربين أربعة أيام تبدأ فى صبيحة يوم ١٥ من أكتوبر حتى مساء يوم ١٨ من أكتوبر (١٩٤٣)، وفى الفترة من ١٩ إلى ٢١ من أكتوبر استمرت سريتا الخيالة المكونتان من وحدة البوليس الخاصة والشرطة إلى جانب فيصل تابع لشرطة الأمن فى لوبلن فى تمشيط غابات دوبزنو- هانسك Dubecz-no- Hansk غرب صوبيبور وشمال تشيلم. واصطدم السجناء الهاربون بعقبة رئيسية تتلخص فى كيفية تحاشى القوات الألمانية والخروج الآمن من المنطقة التى تقوم القوات الألمانية بتمشيطها ويصف لنا بيشرسكى هروب مجموعة السجناء التى كان يتولى قيادتها.

"ظللنا بعض الوقت نسمع أصوات طلقات البنادق والأسلحة الأوتوماتيكية، وساعدنا هذا فى تحديد اتجاهنا، فقد أدركنا أن المعسكر كان يقع خلفنا، بالتدريج أخذ صوت الطلقات يخفت ثم ما لبث أن اختفى تماماً".

كان الظلام قد خيم عندما جاءنا من جديد صوت الطلقات من الناحية اليمنى بعيداً وخافتاً.

"واقترحت مواصلة السير طيلة الليل فى طابور منفرد الواحد منا وراء الآخر، وسرت فى مقدمة الطابور وسار تسبولسكى خلفى فى حين سار أركادى فايسبابير فى

المؤخرة، وامتنعنا عن التدخين والكلام وعن الجرى والاستباق نحو مقدمة الطابور، وإذا عنَّ للرجل فى المقدمة الرقاد تعين على الجميع وراءه أن يحذوا حذوه. وأيضًا إذا انطلق صاروخ تعين على الجميع الرقاد على الفور وكذلك تعين علينا ألا نجرع أو نضطرب مهما حدث".

"وخرجنا من الغابة وسرنا نحو ثلاثة كيلو مترات فى حقل مكشوف ولكن اعترضت طريقنا قناة يبلغ اتساعها نحو خمسة أو ستة أمتار. كانت القناة عميقة ويستحيل علينا الخوض فيها، ولهذا مشينا بجوار ضفة القناة وفجأة لاحظت وجود مجموعة من الناس على بعد نحو خمسين مترًا. فرقدنا جميعًا على الأرض وكلفت أركادى، بمهمة البحث والاستقصاء عن هويتهم. وفى البداية زحف أركادى على بطنه ثم هب واقفًا وجرى صوب هذه المجموعة ثم عاد بعد دقائق قليلة ليقول : (ساشا إنهم سجناء مثلنا. لقد وجدوا جذوع شجر على الشاطئ فاستخدموها فى العبور إلى الضفة المقابلة من القناة، وكان كاليمالى شوباييف Kalimali Shubayev واحدًا منهم وتمكنا جميعًا فى عبور القناة عن طريق هذه الجذوع الخشبية".

"لم يكن لدى شوباييف أية أخبار عن لوكا.... وأضاف أركادى أنه رأى شلومو ليتمان الذى أصيب بالجروح قبل تمكنه من الفرار إلى الغابة، وظل شلومو يجرى نحو ثلاثة كيلو مترات قبل أن تخور قواه، وتوسل إلينا أن نريحه ونضربه بالرصاص، ويا لها من أخبار فظيعة ومؤلمة أن تهرب من المعسكر وتسير فى الطريق إلى الحرية لنجد أنفسنا راقدين على الأرض عاجزين".

"ثم ارتفع عدد مجموعتنا إلى ٥٧ شخصًا. وبعدنا عن المكان بخمسة كيلو مترات وسمعنا هدير قطار يمر، وامتدت أمامنا رقعة من الأرض واسعة يغطيها عدد قليل من الشجيرات، توقفنا عن السير، - وكان الوقت قرب انبلاج الفجر - كى نفكر فى المكان الذى نقضى فيه النهار، وكانت الغابات غير كثيفة ويسهل تمشيطها فى كافة الاتجاهات".

"وتحدثت فى الأمر مع كل من تسيبولسكى، وشوباييف وقررنا أن أفضل شىء يمكننا عمله هو أن نتناثر ونبعثر أنفسنا حول الشجيرات؛ نظرًا لأن المكان كان مكشوفًا

ولا يبعد عن خط السكة الحديد. ولهذا لن يخطر على بال أحد أن يبحث عنا هناك ولكن تعين علينا أن نخفى أنفسنا جيداً ونرقد دون أية حركة أو صوت، ولكن قبل أن نحتمى وراء الشجيرات أرسلت عدداً قليلاً من الهاربين لتمشيط المكان بعناية لمسافة فى جميع الاتجاهات، وفى خلال النهار حلقت الطائرات فوق رءوسنا وكان بعضها على ارتفاع منخفض من الشجيرات التى اختبأنا وراءها وانبطحنا ملتصقين التصاقًا كاملاً بالأرض وغطينا أنفسنا بفروع الشجر، ولم يتحرك أحد منا حتى هبوط الظلام، وهكذا قضينا يومنا الأول بعد حصولنا على الحرية. حدث ذلك يوم ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣".

"وانسدلت ستائر الليل، ولاحظت أثناء نهوضنا من أماكننا اقتراب شخصين منا وهما يتحركان بحذر، فاستنتجنا أنهما من السجناء الهاربين، واتضح لنا أنهما سارا حتى وصلا إلى نهر البوج، وأنهما عادا من هناك، فسألناهما عن السبب الذى دعاهما إلى عدم عبور هذا النهر، فأجابا بأنهما دخلا قرية صغيرة لا تبعد عن النهر، ليعرفا من سكانها أن الألمان قد وصلا إلى ضفة النهر أثناء فترة الليل، وأن كل المعابر أصبحت تحت قبضتهم المشددة".

سرنا فى طابور الواحد منا وراء الآخر بالنظام نفسه الذى اتبعناه بالأمس، كنت أسير ومعى تسبولسكى فى المقدمة، وكان شوباييف وأركادى يسيران فى المؤخرة، وبعد السير لمسافة خمسة كيلو مترات تقريباً دخلنا الغابة وتوقفنا لم تكن هناك أية جدوى من الاستمرار فى السير فى مجموعة كبيرة؛ لأن هذا قمين أن يلفت النظر إلينا. فضلاً عن استحالة تزويد هذا العدد الغفير بالطعام، ولهذا قسمنا أنفسنا إلى مجموعات صغيرة تسير كل منها فى الاتجاه الذى تشاؤه".

وكانت مجموعتى تتكون من تسعة رجال وتضم شوباييف وبوريس تسبولسكى وأركادى فايسبابير وميشيل إيزكوفيتش Itzkowitch وسيميون مازوركييف Simon Mazurkiew. وتوجهنا إلى الشرق نسترشد بنجوم القطب الجنوبى فى معرفة الطريق، وكانت نجوم الليل كثيرة، وكان هدفنا الأول، عبور نهر البوج، وحتى نتمكن من عبوره تعين علينا اختيار المكان والوقت المناسبين، واستطعنا الحصول على الطعام من القرى الصغيرة المهجورة، فضلاً عن الحصول منهم على المعلومات والإرشادات

الحيوية، حذرونا من السير فى أماكن معينة ونصحونا بالانتظار فى بعض الأماكن قبل مواصلة مسيرتنا ..... حيث إن الألمان كانوا يمشطون كل المنطقة؛ بحثًا عن الهاربين واتجهنا شطر قرى ستافكى Stawki الصغيرة التى تبعد نحو كيلو متر ونصف من نهر البوج".

غير أنْ رحيل بيشرسكى ورفاقه بمعزل عن بقية السجناء الهاربين الخمسين، أثار مخاوفهم خاصة؛ لأنهم أخذوا معهم معظم الأسلحة التى استولوا عليها. وشعر السجناء الخمسون أن بيشرسكى ورفاقه خذلوهم وتركوهم بلا قيادة، يقول توفيا بلات Tovia Blatt إن بيشرسكى لم يخبرهم بأنه سوف يتركهم بل قال لهم: إنه ذاهب لاستطلاع المنطقة وأنه سوف يعود إليهم فى الحال، وهو ما تؤكده بعض الشهادات الأخرى.

ويروى لنا يهودى بولندى يدعى شلومو ألستر Shlomo Alster مصير بقية اليهود بعد أن تركهم بيشرسكى ورفاقه :

"تركنا رفاق ساشا وابتعدوا عنا، وبقينا دون قائد، فماذا عسانا أن نفعل، تركنا دون سلاح ودون زعيم يقودنا؟ وكان معنا يهود فرنسيون وهولنديون وتشيكوسلوفاكيون. ولم يكن بمقدورهم أن يعرفوا طريقهم دون معرفة اللغة والأماكن المحيطة بهم. ومثلما فعلنا قاموا بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات صغيرة اتجهت إلى طريق يعج برجال الوحدة الخاصة، فألقى القبض عليهم جميعًا وهم أحياء، وأيضًا قبض السكان المحليون عليهم الواحد تلو الآخر واقتادوهم إلى صوبيبور حيث تمت إبادتهم".

"وبقينا نحن اليهود البولنديين مجموعة صغيرة العدد. فماذا عسانا أن نفعل؟ كان البقاء فى الغابة مصدر خطر؛ حيث كان بإمكان الألمان أو السكان المحليين الإمساك بنا. وتعين علينا الابتعاد عن هذا المكان وعن صوبيبور قدر ما نسطيع، ولكن الأمر لم يكن بمثل هذه البساطة، فإلى أين نذهب؟ كنت جائعًا وكانت ملابسنا ممزقة وقررت العودة إلى مسقط رأسى فى تشيلم فربما وجدت هناك فرصة للنجاة بحياتى. ولم أر أمامى بديلاً آخر".

كان الافتراض الذى ذهب إليه بيشرسكى أنه يكاد يستحيل على مجموعة مكونة من تسعة وخمسين شخصًا أن تجد لها مكانًا للاختباء افتراضًا سليمًا . حتى وحدات المقاومة المدججة بالسلاح من العارفين بالمنطقة جيدًا انقسموا إلى وحدات صغيرة عندما واجهوا عمليات التمشيط التى قامت بها القوات الألمانية الأكبر حجمًا. ولهذا كان بيشرسكى على حق من الناحية العسكرية عندما قام بتقسيم الهاربين إلى مجموعات صغيرة. وعلى أية حال كان بالإمكان تقسيم الأسلحة القليلة الموجودة بحوزتهم وتوزيعها على كل المجموعات، فالسلاح قد ينفع مجموعة بأكملها فى الحصول على الطعام كما ينفع أحيانًا فى ردع السكان المحليين المتعاونين مع الألمان.

ونجح يشرسكى ومجموعة فى عبور نهر البوج ليلة ١٩ / ٢٠ من أكتوبر ١٩٤٣، وبعض مضى ثلاثة أيام قابلوا أفرادًا من المقاومة السوفيتية فى منطقة برست ليتوفسك Brest-Litovsk فانضموا إليها.

ونجح فيلدهندلر ومجموعة من السجناء فى الاختباء فى الغابة خلال الأيام التى قامت فيها القوات المسلحة بتمشيط كل المنطقة. وأيضًا نجحت بعض المجموعات الأخرى المكونة من يهود بولندا فى تحاشى الوحدات الألمانية الباحثة عن الهاربين.

ويعتبر نجاح السجناء اليهود فى الهرب رغم انتشار القوات الأرضية الكبيرة التى استخدمها الألمان بمساعدة استطلاعات سلاح الطيران فى عملية ملاحقة الهاربين إنجازًا عظيمًا. وأسهمت عوامل أخرى عديدة فى تمكين السجناء من الهرب؛ ومنها أن البحث عنهم بدأ فى ساعات الصباح، الأمر الذى أتاح للكثيرين منهم فرصة الهرب والتسلل بعيدًا عن المعسكر، وإلى جانب ذلك كانت كثافة بعض مناطق الغابة عائقًا أمام الطائرات الاستطلاعية الباحثة عن الهاربين. أضف إلى ذلك أن الألمان أخطئوا؛ حيث افترضوا أن معظم السجناء الهاربين سوف يتجهون شرقًا نحو نهر البوج مما جعلهم يضعون قوات عسكرية كبيرة عند نقاط عبور هذا النهر، والواقع أن معظم الهاربين وخاصة اليهود البولنديين توجهوا إلى مناطق الحكومة العامة (بولندا). ومن

قرابة الثلاثمائة يهودى الهاربين من صوبيبور ألقى القبض على نحو مائة منهم تم ضربهم بالرصاص خلال الأربعة أيام التى أعقبت الثورة، فى حين نجا الآخرون من عمليات المطاردة، وفى التقرير الشهرى الذى قدمته سرية الخيالة الأولى التابعة لوحدة البوليس الخاصة التى اشتركت فى مطاردة السجناء الهاربين وردت الفقرة التالية : -

"فى الفترة من ١٤ من أكتوبر حتى ١٨ من أكتوبر اشتركت السرية فى العمليات التى أجريت ضد اليهود فى معسكر صوبيبور (الواقع على بعد أربعين كيلو متراً شمال شرق تشيلم). ومن اليهود الهاربين البالغ عددهم ثلاثمائة هارباً تم إعدام نحو مائة منهم بمساعدة الجيش الألمانى وشرطة الحدود".

وفى الفترة من ١٩ إلى ٢١ من أكتوبر ١٩٤٣ ألقى القبض على عدد أخر محدود من السجناء الهاربين.

وبالنظر إلى تعاظم القوات الألمانية المستخدمة فى عمليات التمشيط بمؤازرة الطائرات يمكن القول: إن هذه العمليات اختفت بشكل ما، فهى لم تنجح إلا فى القبض على ثلث السجناء الهاربين؛ حيث إن الباقين تمكنوا من الهرب.

تقييم الثورة ونتائجها

كانت المقاومة فى معسكر صوبيبور - شأنها فى ذلك شأن المقاومة فى معسكر تريبلينكا - تعمل فى ظروف صعبة للغاية، فمعسكراته صغيرة ويسهل مراقبتها ولا توفر مكاناً للاختباء، فلا غرو إذا رأينا سلطات المعسكر تحكم قبضتها على السجناء، ورغم هذا فقد نجح قادة المقاومة السرية فى تنظيم جماعة سرية أخفت نشاطها إلى الحرص الشديد الذى توخته القيادة فى اختيار أعضاء التنظيم، فضلاً عن حرصها البالغ فى إخفاء نشاطها عن العيون المتلصصة.

كانت المقاومة السرية فى معسكر صوبيبور تعمل باستقلال تام عن نظيرتها فى معسكر تريبلينكا، ورغم عدم وجود أى اتصال ببعضها البعض فقد جمعت بين المقاومة فى كل من صوبيبور وتريبلينكا أوجه شبه فيما يتعلق بالتنظيم والخطط والنشاط، واللافت للنظر أن قيادة المقاومة فى كلٍ من المعسكرين جاءت فى صفوة السجناء والكابوهات ورؤساء الورش ورؤساء العمال؛ بل إن حجم المقاومة فى كلٍ من المعسكرين كان متقاربًا ولم يزد عن خمسين إلى ستين عضوًا.

وأيضًا كابدت المقاومة السرية فى معسكر صوبيبور وتريبلينكا الفواجع والنكسات- ففى صوبيبور فقد جوزيف جاكوبز Joseph Jacobs واثنين وسبعين من أقرانه اليهود الهولندين حياتهم، كما أن اكتشاف النفق المحفور فى المعسكر رقم (٣) فى صوبيبور أثار حفيظة الألمان الذين أطلقوا الرصاص على مائة وخمسين منهم بدافع التشفى والانتقام. ورغم هذا فإن جذوة المقاومة لم تنطفئ.

وأيضًا سعت المقاومة فى كل من المعسكرين إلى الحصول على مساعدة الحرس الأوكرانى لها، واتجهت جهود المقاومة فى تريبلينكا أساسًا إلى شراء السلاح، فى حين أنها فى صوبيبور حاولت الاتصال بأنصارها للحصول على السلاح. والجدير بالذكر أن بعض الأوكرانيين الذين كان قادة المقاومة فى صوبيبور على اتصال بهم وعدوهم بتقديم المساعدة إليهم نظير مبالغ مالية ضخمة وأشياء ثمينة، ولكن الأوكرانيين خذلوهم وحنثوا بمعظم هذه الوعود باستثناء حالة واحدة تتمثل فى قيام حارسين أوكرانيين بالهرب مع خمسة سجناء يهود فى منطقة الإبادة فى معسكر صوبيبور، غير أن السجناء اليهود فى حالات كثيرة تعرضوا لغدر وغش وخيانة الأوكرانيين لهم مثلما حدث مع السجين جاكوبز Jacobs فى صوبيبور، وفى كلا المعسكرين (تريبلينكا وصوبيبور) اقتنعت المقاومة فى نهاية الأمر أن الحرس الأوكرانى لن يمدهم بالسلاح. حتى الأمل فى أن ينتهز بعض الأوكرانيين فرصة اندلاع الثورة للانضمام إلى صفوف المقاومة لم يتحقق، فقد ظل معظمهم مواليًا للألمان ومتعاونًا معهم على قمع اليهود المتمردين، وكان ولاؤهم للألمان أشد ما يكون وضوحًا فى صوبيبور؛ حيث قام عدد كبير

من الحراس الأوكرانيين بإخماد الثورة فى حين لم يزد عدد أفراد الوحدة الخاصة الذين تصدوا لثوار صوبيبور عن اثنين فقط.

وفى معسكر تريبلينكا اشتملت حركة المقاومة السرية على سجناء ينتمون إلى قطاعى هذا المعسكر المنفصلين وهما المعسكر السفلى ومنطقة الإبادة، وكان زيولا بلوخ Ziola Bloch قطباً من أقطاب المقاومة فى المعسكر السفلى وقد سهل له نقله إلى منطقة الإبادة تنظيم صفوف هذه المقاومة، وأيضاً أسهم فى تنظيمها وإقامة الاتصالات بينها وبين المحيط الخارجى وتنسيق أنشطتها السماح لعامل البناء فيرنيك Wirnik بحرية التنقل بين قطاعى المعسكر؛ ولهذا نشبت الثورة فى تريبلينكا فى كلا القطاعين فى الوقت نفسه واتبعت الخطة نفسها، ويجدر بالذكر أن السجناء الهاربين فى كلا القطاعين تقابلوا واختلطوا ببعضهم البعض على الطريق الذى سلكوه أثناء الهروب، ولكن الوضع فى معسكر صوبيبور كان مختلفاً؛ حيث إنه لم تكن هناك فرصة الاتصال بين قطاعى هذا المعسكر، ولذلك اضطرت المقاومة فيهما إلى العمل بمعزل عن بعضهما البعض، ولا تتوفر لدى الدارسين أية معلومات عن المقاومة فى المعسكر رقم (٣) المعروف بمنطقة الإبادة، باستثناء المعلومة الخاصة برسم خطة لتهريب السجناء الجماعى عن طريق نفق اقتضى حفره الكتمان والسرية، وبالنظر إلى عدم وجود حيلة بين المقاومة فى قطاعى المعسكر لم يحدث أى تنسيق بينهما لهرب سجنائها عبر المعسكر رقم (٣) كما كان مخططاً فى النصف الثانى من شهر سبتمبر ١٩٤٣ وعقب اندلاع الثورة فى المعسكر الرئيسى بعد مضى أسابيع قليلة تم ضرب كل السجناء الذى حاولوا الهرب بالنار وذلك بعد يوم واحد من اندلاع الثورة.

وتوخت خطة الثورة فى معسكرى تريبلينكا وصوبيبور توقيت البدء بعد الظهر لانتهاز فرصة تناثر السجناء وانشغال رجال وحدة البوليس الخاصة فى أماكن عملهم. وكان من المفترض أن يستغل الهاربون ظلام الليل حتى لا يكتشف هروبهم، وحتى يمكنهم الابتعاد بقدر الإمكان عن أرض المعسكر. وفى معسكر تريبلينكا كان هدف المرحلة الأولى فى الثورة هو الاستيلاء على الأسلحة الموجودة فى المخازن، كما أن

المرحلة الثانية من الثورة استهدفت الهجوم على رجال الوحدة الخاصة للاستيلاء على المعسكر. أما فى معسكر صوبيبور استهدفت المرحلة الأولى من الثورة التخلص من رجال الوحدة الخاصة أولاً واللوذ بالهرب ثانيًا. ولم تهدف خطة الثورة فى صوبيبور إلى تدميره مثلما كان الهدف فى معسكر تريبلينكا. ومعنى هذا أن خطة الثورة فى معسكر صوبيبور كانت أقل طموحًا، ومن ثم كانت فرص نجاحها أكبر أيضًا وقد تم تنفيذ خطة الثورة فى معسكر صوبيبور بطريقة أكثر سلامة من الناحية العسكرية من خطة الثورة فى معسكر تريبلينكا. ويرجع هذا إلى أن يشرسكى وزملاءه من سجناء الحرب سبق لهم أن تلقوا تدريبًا عسكريًا وخاضوا غمار الأعمال القتالية. وفى ثورة تريبلينكا لم يقيض لأحد فى زعمائها مثل جالفسكى Galewski وكورلا ند Korland وزيالو بلوغ البقاء بعد نشوب الثورة على قيد الحياة، فقد هلكوا جميعًا أثناء اشتعالها وأثناء المطاردات التى أعقبتها، فى حين أن اثنين فى قادة الثورة فى صوبيبور وهما بيشرسكى وفيلدهندلر كتبت لهما الحياة.

وسعى ستانجل العامل آنذاك فى معسكر تريبلينكا ورئيساه فى معسكر لوبلن (فيرث وجلوبكنيك) إلى التهوين فى شأن ثورة تريبلينكا فضلاً عن أنهم أحاطوا هرب السجناء اليهود من معسكر تريبلينكا بالسرية. وذهب ستانجل إلى أنه تم خلال ساعات قليلة القبض على جميع السجناء الهاربين من هذا المعسكر، وهو قول يجانبه الصواب فقد ظل هاربًا حينذاك نحو ثلاثمائة أو أربعمائة سجين، والغريب أن التقارير الرسمية الألمانية تغفل ذكر أى شىء عن هروب السجناء الجماعى من معسكر تريبلينكا، والذى سهل الاحتفاظ بسر الثورة فى معسكر تريبلينكا أن سجناءه لم يقتلوا إبان اشتعالها أيًا من الألمان، كما أنهم لم يجرحوا سوى ألمانى واحد، فقتل رجل واحد فى وحدة البوليس لا يمكن أبدًا أن يمر مر الكرام، ولا بد من تصعيده إلى أعلى سلطة فى برلين.

أما فى معسكر صوبيبور فقد تعذر التكتم وإخفاء الخبر؛ لأن سلطة هذا المعسكر استغاثت بقيادتها فى الحكومة العامة (بولندا) والجدير بالذكر أن شرطة إقليم لوبلن سطرت يوم ١٥ من أكتوبر ١٩٤٣ – أى فى اليوم التالى للثورة – تقريرًا عما حدث فى ثورة معسكر صوبيبور، علمًا بأن هذه الثورة وردت فى التقارير الصادرة عن سرية

الخيالة التابعة للشرطة ورجال الوحدة الخاصة، فضلاً عن أن هتلر أرسل من برلين مندوبين على أعلى مستوى لحضور جنازة رجال الوحدة الخاصة الذين أجهز عليهم ثوار صوبيبور.

ولكن ثورة السجناء في معسكرى تريبلينكا وصوبيبور لم تكن السبب الذى دفع السلطات النازية إلى إغلاق معسكرى الموت، أو وقف إبادة السجناء؛ حيث إن سلطات وحدة البوليس الخاصة كانت قد اتخذت قراراً بإغلاق هذه المعسكرين قبل اندلاع الثورة فيهما، ولكن كانت ثورة تريبلينكا والحق يقال سبباً في الإسراع بإغلاق هذا المعسكر وتوقف قتل السجناء فيه.

وأيضاً كانت ثورة صوبيبور سبباً في تغيير خطط هذا المعسكر. فقد كانت الفقرة الأساسية لدى السلطات الألمانية تحويله إلى معسكر لمعالجة وتدوير الأسلحة السوفيتية التى استولت عليها القوات النازية من الجيش الأحمر. ولكن تقرر مؤخراً تدمير معسكر صوبيبور وهدمه بالكامل.

وكان عدد السجناء في معسكر تريبلينكا يوم ٢ من أغسطس ١٩٤٣ ثمانمائة وخمسين سجيناً لم يحاول الهرب منهم مائة سجين؛ بسبب هزالهم وأسقامهم، وقد تمت إبادة هؤلاء المائة، فضلاً عن إبادة نصف القائمين بالثورة داخل المعسكر أو بالقرب من أسواره، وأفلح في الهروب في تريبلينكا نحو نصفهم الآخر الذين تراوح عددهم بين ٣٥٠ و ٤٠٠ سجين، وتمكن الألمان في ليلة الثورة في ٢ من أغسطس ١٩٤٣ من القبض على مائتى سجين في تريبلينكا وقتلهم. واستطاع عدد يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ سجين في الإفلات من المطاردة، ورغم ذلك فإن معظمهم توفوا قبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها. وعلى أية حال لم يزد عدد الباقين على قيد الحياة في سجناء تريبلينكا في نهاية الحرب عن سبعين سجيناً، أما في معسكر صوبيبور فقد كان فيه يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ (وهو يوم اندلاع الثورة) ما يقرب من ستمائة شخص إلى جانب ما بين ثمانين ومائة سجين في المعسكر رقم (٣). وتم القبض داخل المعسكر على

نحو خمسين سجينًا متمردًا يشملون زملاءهم فى المعسكر رقم (٣)، وتمت إبادتهم عن بكرة أبيهم فى اليوم التالى. وكذلك تم قتل ما بين ٢٢٠ و ٢٧٠ سجينًا خلال فترة الثورة داخل المعسكر أو بالقرب من الأسوار وحقول الألغام. وخلال البحث عن الفارين أمكن القبض على مائة من السجناء الثلاثمائة الهاربين وتم ضربهم بالرصاص، وبين المائتى سجينًا الذين نجحوا فى الهرب فى المطاردة توفي منهم ما بين ١٣٠ و ١٥٠ شخصًا منذ تلك الفترة حتى وقت تحرير المعسكر، وبقي على قيد الحياة ما بين خمسين وسبعين شخصًا، ولا يزيد عدد السجناء الناجين من الموت فى معسكرى صوبيبور وتريبلينكا على نحو ١٢٠ أو ١٣٠ سجينًا.

ولعب هؤلاء الناجون دورًا بالغ الأهمية من الناحية التاريخية فإليهم يرجع الفضل فى توثيق الجرائم النازية البشعة التى سعى النظام النازى ما وسعه السعى إلى محوها. وقد ظهرت أولى الكتيبات التى تروي فواجع معسكرى تريبلينكا وصوبيبور فى وقت باكر عام ١٩٤٤، فبينما كان المناضل فيبرنك Wiernik منخرطًا فى المقاومة السرية فى وارسو نشر كتيبًا بعنوان: "سنة فى معسكر تريبلينكا"، وفى مايو ١٩٤٤ نجح عضو فى المقاومة البولندية فى تهريب هذه المخطوطة إلى إنجلترا وبنهاية عام ١٩٤٤ رأت هذه المخطوطة طريقها إلى النشر فى كل من الولايات المتحدة وفلسطين، وهذا الكتاب الصغير يعتبر أول شهادة ضد الجرائم النازية فى معسكرى تريبلينكا وصوبيبور ترى طريقها إلى النشر، ثم توالت بعد ذلك شهادات الناجين من الموت عن هذين المعسكرين فى كثير من الكتب والمقالات واليوميات. وأيضًا أدلى شهود العيان من سجناء معسكرى تريبلينكا وصوبيبور بشهاداتهم الدافعة أمام محاكم جرائم الحرب. وهى شهادات استند إليها المؤرخون والباحثون فى توثيق الجرائم النازية.

جدول ترحيل أفواج السجناء إلى معسكر صوبيبور من منطقة لوبلن

المقاطعة	المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
بولاوى Pulawy	أوبول Opole	٥ من مايو ١٩٤٢	٢٠٠٠
		١٢ من مايو ١٩٤٢	٢٠٠٠
	Pulawy	مايو	٢٥٠٠
	ديبلن إيرينا Deblin - Irena	٦ من مايو	٢٥٠٠
	ريكى Ryki	٧ من مايو	٣٠٠٠
	جوزفوف Josefow	٧ من مايو	١٢٧٠
	كونسكوفولا Konskowola	٨ من مايو	١٥٨٠
	بارانوف Baranov	٨ من مايو	١٥٠٠
	ماركوزوف Markuszow	٩ من مايو	١٥٠٠
	ميشوف Michow	١٠ من مايو	٢٥٠٠
	ليسوبيكى Lysobyki	مايو	٥٠٠
زاموسك	كوماروف Komarow	٣ من مايو	٢٠٠٠
Zamosc	زاموسك	١٥ من مايو	٥٠٠
كرانسنيستاف	توروبين Turobin	١٢ من مايو	٢٧٥٠
Krasnystaw	زولكيفكا Zolkiewka	١٢ – ١٥ من مايو	١٠٠٠
	جوررزكوف Gorzkow	١٣ – ١٤ من مايو	٢٠٠٠
	كراسنيستاف Krasnystaw	١٤ – ١٥ من مايو	٣٤٠٠
	إزبيكا Izbica	١٥ من مايو	٤٠٠
		٢٢ – ٣٠ من أكتوبر	٥٠٠٠
		٢ من نوفمبر	١٧٥٠
		يناير ١٩٤٣	٧٥٠
		أبريل ١٩٤٣	٢٠٠
	كرانسيزين Krasniczyn	٦ من يونيه ١٩٤٢	٨٠٠

المقاطعة	المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
تشيلم Chelm	تشيلم	٢١ - ٢٣ من مايو ١٩٤٢	٤٣٠٠
		نهاية يونيه	٣٠٠
		٢٧ / ٢٨ من أكتوبر	٣,٣٠٠
		٦ من نوفمبر	؟؟
	سيدلزيز Siedliszcze	١٨ من مايو	٦٣٠
	فلودافا Wlodava	٢٢ من أكتوبر	٥٠٠
		٢٣ من مايو	١٢٠٠
		٢٤ من أكتوبر	٥٠٠٠
		٣٠ من أكتوبر	٥٠٠
		٣٠ من أبريل ١٩٤٣	٢٠٠٠
	ريبوفييك Reyowiec	١٠ من أكتوبر ١٩٤٢	٢٤٠٠
	فسلوفيس Woissolowice	من أكتوبر	١٢٠٠
	دوبزنا Dubeczna	ديسمبر	٦٥٠
	سيزكوف Czycow		
	كزفوفيرزبا Kszy wowierzba		
	أولشوفييك Olchowiec	من أكتوبر – نوفمبر	٣٠٠٠ – ٤٠٠٠
	بافلوف Powlow		
	ساوين Sawin		
	سفرزى Swierzey		
	أوهرسك Uhrusk		
هروبزوف Hurbieszow	هروبزوف Hurbieszow	١ من يونيه	٣٠٤٩

المقاطعة	المدينة	تاريخ الترحيل	عدد المرحلين
		٧ – ٩ من يونيه	٥٠٠
	بلز Belz	٢ من يونيه	٢٠٠٠
	دوبنيكا Dubienka	٢ من يونيه	١٠٠٠
	جرابوفيك Grabowiec	٨ من يونيه	٢٦٧٠
	أوكانى Uchanie	١٠ من يونيه	١٢٠٠
			١٦٥٠
		١٠ من يونيه	٣٠٠٠
بيالا بود لاسكى Biala - Podlaski	لوبارتوف Lubartow	١١ من أكتوبر	٣٠٠٠
لوبلين Lublin	ليزنا Leczna	٢٣ من أكتوبر	٣٠٠٠
		٢٩ أبريل ١٩٤٣	٢٠٠
	ماجوانيك Majdanek	يوليه ١٩٤٢	٥٠٠٠

يقول بعض الدارسين: إنه تم ترحيل مائة ألف يهودى من مقاطعة لوبلين إلى معسكر صوبيبور، ولكن دارسين آخرين يقدرون عددهم بما يزيد على ذلك نتيجة فرار أو طرد آلاف اليهود من بولندا بعد أن ضمتها ألمانيا إلى أراضيها، وأيضًا يقدر بعض الباحثين عدد اليهود القادمين من مقاطعة لوبلين وتمت إبادتهم فى صوبيبور بنحو ١٣٠ ألف إلى ١٤٠ ألف يهودى.

(ب) مقاطعة جاليسيا Galicia

تم ترحيل سجناء يهود يتراوح عددهم بين خمسة عشر ألفًا وخمسة وعشرين ألفًا من جيتولينوف Luov وجيتوهات أخرى إلى معسكر صوبيبور فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٢ حتى يونيو ١٩٤٣ بعد إغلاق معسكر بلزيك.

الفصل الثانى

سوف نعرض فى هذا الفصل للمقدمة التى سطرتها ناجية من الموت فى معسكر صوبيبور تدعى ميريام نوفيتش Miriam Novitch وهى مقدمة لكتاب وثائقى بالغ الأهمية يحمل عنوان:"معسكر صوبيبور : الشهادة والثورة" ويتضمن هذا الكتاب شهادات لنحو ثلاثين سجينًا وسجينة يهوديين كتب لهم القدر النجاة من الموت فى معسكر صوبيبور، وسوف أضم في نهاية الكتاب الراهن هذه الشهادات الوثائقية التى سبق أن أشرنا إلى جانب منها وخاصة شهادة بيشرسكى. تقول ميريام نوفيتش: إن معسكر اعتقال صوبيبور يقع فى شرق بولندا، كما أنه يقع شرقى معسكر اعتقال لوبلين Lublin شأنه فى ذلك شأن قرينة معسكر بلزيك Belzec، فى حين يقع معسكر تريبلينكا Treblinka إلى الشمال من معسكر لوبلين، وقد بدأ النازيون فى تشييد معسكر صوبيبور فى نهاية شهر فبراير أو بداية شهر مارس ١٩٤٢. وأسندت إلى كريستيان ويرت Christian Wirth الضابط النازى المعروف بسفك الدماء وأحد أوائل المشرفين على تنفيذ البرنامج النازى المعروف بالقتل الرحيم الهادف إلى التخلص من الملتاثين وأصحاب العاهات العقلية، وفيما بعد قام النازيون بإبقاء فريق من سجنائهم على قيد الحياة لتكليفهم بتوسيع معسكر صوبيبور وتحسين بعض خدماته. وفى أبريل ١٩٤٣ شرع هؤلاء السجناء فى بناء كازينو للترفيه عن رجال الوحدة الخاصة ودار عرض سينمائية للترفيه عن الحراس المرحلين من أوكرانيا، وتولى إدارة الشق التقنى من العمل فى تلك المرحلة مقاولون فى القطاع الخاص، كما تولى إدارة المعسكر والإشراف على عمليات البناء القومندان ستانجل Stangl الذى وصل إلى صوبيبور يوم ٢٨ من أبريل ١٩٤٢، واحتوى معسكر صوبيبور على خمس غرف للغاز تبلغ مساحة كل منها خمسين مترًا وتتسع لما

يقرب من ألف شخص وكان الضحايا يدخلون غرف الغاز من الباب الغربى وتنقل جثثهم من الباب الشرقى قبل شحنها بالقطار لإلقائها ودفنها فى قبور جماعية ثم القيام بحرقها فى وقت لاحق.

وتكونت الدفعة الأولى من ضحايا معسكر صوبيبور من مجموعة من اليهود يبلغ عددها ١٥٠ شخصاً جاءوا فى قرية صغيرة مجاورة اسمها فلودافا Wlodawa ثم لحق بهم آلاف آخرون قادمون من كل فى هروبيسزوف Hrubieszow وكراسنيستاف Kras-nystaw وميليك Mielec ومدن أخرى تابعة للمنطقة، ويذكر السجناء الناجون من الموت أن أغلبية المرحلين كانوا من البولنديين، وأن النازيين كانوا يضربونهم ضرباً مبرحاً عند هبوطهم فى القطار على عكس السجناء المرحلين من البلاد الغربية الذين خفى عليهم مصيرهم التعس حتى لحظة دخولهم غرف الغاز، وقد درج النازيون على قتل اليهود بغاز مونوكسيد الكاربون Carbon Monoxide فى معسكرات البولندين داخل أراضى الرايخ الألمانى وبغاز زيكلون ب Zyklon B فى معسكر أوشفيتز البولندى الشهير، ونستدل من شهادات الناجين من الموت فى معسكرات الاعتقال على نجاح الثورة التى قام بها السجناء اليهود فى معسكر صوبيبور وتريبلينكا، والجدير بالذكر أن اسم قائد التمرد فى معسكر صوبيبور هو الملازم ساشا بيشرسكى Sashka Pechersky وقد أحاط السجناء اليهود تمردهم الناجح فى ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ بسرية تامة.

ويقدر أبرز الباحثين عدد ضحايا الجرائم النازية بالأعداد التالية : ستمائة ألف فى معسكر بلزيك و ٢٥٠ ألف فى معسكر صوبيبور وثمانمائة ألف فى معسكر تريبلينكا، ولا شك أن تماثل شهادات الناجين من الموت فى معسكر صوبيبور يدعم مصداقيتها.

فى ١ من سبتمبر ١٩٣٩ قامت ألمانيا باجتياح بولندا. وفى ٢٢ من يونيه ١٩٤١ شنت هجوماً كاسحاً على روسيا. وكان كثير من اليهود يعيشون فى كلا البلدين. ولا يعرف المؤرخون على وجه التحديد تاريخ أول أمر أصدره النازيون بانتهاج سياسة الإبادة الجماعية لليهود أو سياسة الحل النهائى. ولكن من المفترض أن تنفيذ هذه

السياسة بدأ فى ربيع عام ١٩٤١ وذلك قبل اجتياح القوات الألمانية لروسيا الذى يتزامن مع إنشاء النظام النازى لما يعرف بفرق الموت الخاصة. وعند محاكمته فى أورشليم ذكر إيخمان أن تاريخ انتهاج النازيين لسياسة الحل النهائى أى الإبادة النهائية لليهود يرجع إلى سبتمبر ١٩٣٩ .

أكد إروين لاهاوزن Erwin Lahousen - الجنرال المسئول عن محاربة التجسس ضد ألمانيا - أثناء محاكمته فى نورمبرج أن قرار هتلر بإبادة اليهود يرجع إلى سبتمبر ١٩٣٩ وأضاف أن الفوهرر أبلغ المقربين إليه بقراره، ولكن التفاصيل الخاصة بتنفيذ خطة الإبادة لم تكن جاهزة. وقد كشف هيدرتش عن ذلك فى اجتماع عقد فى ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٩ أى بعد اندلاع الحرب بأربعة أسابيع. وفى ٢١ من سبتمبر ١٩٣٩ كان هيدرتش الأثير إلى قلب هتلر قد بعث برسالة عاجلة تتضمن آراءه ونصائحه بخصوص الإبادة الجماعية لليهود، وأثناء محاكمة إيخمان أظهرت له هيئة المحكمة هذه الرسالة، كما أظهرت له التقرير الذى أسفر عن الاجتماع النازى المنعقد فى ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٩ .

وتضمنت هاتان الوثيقتان عبارة "الحل النهائى" ولكن هذا القرار ظل طى الكتمان، والجدير بالذكر أن إيخمان حضر الاجتماع المنعقد فى ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٩ وبعد اطلاع المحكمة له على الوثيقتين اعترف قائلاً : "ظن بعد قراءة هاتين الوثيقتين أن هتلر لم يصدر قراراً بإبادة اليهود مع بداية الحرب بين ألمانيا وروسيا" ولكن فكرة هذه الإبادة كانت قد اختمرت فى ذهنه آنذاك كما نستدل فى إعلان المرسومين التاليين :

١ - يتعين ترحيل اليهود البولنديين إلى المدن الكبيرة.

٢ - يتعين ترحيل يهود ألمانيا إلى بولندا.

والجدير بالذكر أن عدداً من المشتركين فى الاجتماع المنعقد يوم ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٩ لعب دوراً نشيطاً وفاعلاً فى إبادة السجناء فى معسكرات الاعتقال بالغاز السام، واعترف الجنرال أوتو أوهنلدورف Otto Ohlendorf بوحدة البوليس الخاصة بقتل ٩٠ ألف يهودى، كما أن الكولونيل جوزيف والتر روف Joseph Walter Rauff كان

خبيراً فى غرف الغاز. إلى جانب الجرائم التى اقترفها ضد اليهود كل من الجنرال آرثر ينبى Arthur Nebe والكولونيل دامزوج Damzog رئيس الجستابوف وارتيجو Warthe-gau حيث أقيم أول معسكر موت فى شلمنو Chelmno، بالإضافة إلى الجنرال برونو ستريكنباخ Brune Streckenbach رئيس جهاز الشرطة السابق والجنرال إيرخ نومان Erich Naumann. ناهيك عن إيخمان الملطخة يداه بجرائم الإبادة.

وبعد أن احتل هتلر الأراضى البولندية وقع مرسوماً بإنشاء ما يسمى بالحكومة العامة التى شملت مقاطعات كراكو Crakow ورادوم Rasom ووارسو ولوبلين وجاليسيا Galicia. وتم تعيين الدكتور هانز فرانك Hans Frank حاكماً عاماً عليها، وتعيين جوزيف بوهلر Joseph مساعداً لهما. وقد عرف الاثنان بضراوة عدائهما للسامية، وبلغ عدد سكان بولندا المحتلة عشرين مليون نسمة بينهم مليونان ونصف من اليهود. وفى ٢٣من نوفمبر ١٩٣٩ ألزم النازيون جميع اليهود بلبس نجمة داود السداسية، كما ألزموا جميع المنشئات اليهودية بالإعلان عن يهوديتها، ثم صدر مرسومان أحدهما فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ والآخر فى ١ من مارس ١٩٤٠ بتجميد أرصدة اليهود فى المصارف والبنوك، ثم صدر قانون فى ١٦ من ديسمبر ١٩٣٩ بمنع اليهود من تشغيل غير اليهود وبحرمانهم من تلقى أية إعانات اجتماعية. وفى ٢٤ من يناير ١٩٤٠ صدر أمر بإعلان اليهود عن ممتلكاتهم، ثم حظر عليهم ابتداء من ٢٦ من يناير ١٩٤٠ السفر بالقطارات، وأيضاً تم تجنيد اليهود الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشر والستين كعمالة إجبارية، ثم صدر مرسوم بتاريخ ١٣ من سبتمبر ١٩٤٠ وآخر فى ٢٩ من أغسطس من العام نفسه وثالث فى ١٥ من أكتوبر ١٩٤١ يحظر على اليهود تغير محل إقامتهم حتى لا يتعرضون لعقوبة الإعدام.

وفى مايو ١٩٤٠ عهد النازيون لأربع مدارس للشرطة بقتل اليهود وأعداء النظام النازى، وقام عدو السامية روزنبرج Rosenberg وعصابته بإذاعة كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" المنسوب زورا إلى اليهود والذى شجع قيصر روسيا أعداء السامية على تأليفه بهدف تنفير الناس من بنى إسرائيل وتشكيكهم فى نواياهم وخططهم.

وابتداء من ٢٢ من يونيه ١٩٤١ انضمت وحدة البوليس الخاصة إلى صفوف الجيش بهدف قتل مئات الألوف من الأبرياء فى الحفرات والحقول والغابات. وهناك شهادات منشورة لشهود ألمان من بينها شهادة جريب Graebe عن إبادة اليهود فى مدينة دوبنو Dubno. وكان الإجهاز على اليهود فى الأراضى الروسية المحتلة يتم فى الغابات والوديان السحيقة، وفى يناير ١٩٤٢ انعقد مؤتمر وانسى Wannsee ليقرر إبادة أحد عشر مليون يهودى. وأثناء محاكمته فى إسرائيل شهد إيخمان بأن لم تعد المشكلة إقرار مبدأ قتل اليهود، فهذا أمر مفروغ منه؛ بل كانت كيفية إبادتهم عن بكرة أبيهم.

ويجدر بالذكر أنه صدر من ألمانيا النازية يوم ١٥ من سبتمبر ١٩٣٥ مرسوم يقضى بعدم جواز زواج الألمانى أو الألمانية من اليهودية أو اليهودى، وكما نعرف شن النازيون هجوماً عاتياً عقب قيام اليهودى هرزل جرينزبان Herszel Grybszpen باغتيال الدبلوماسى الألمانى إرنست فون روث Ernst Von Roth وعقب التوصيات التى تقدم بها هيدريش الصديق الأثير إلى قلب هتلر إلى المؤتمر المنعقد فى ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٩ فقرر ترحيل جميع يهود بولندا إلى المدن الكبيرة وإجلاء اليهود الألمان إلى بولندا، وأيضاً تقرر حبسهم فى المناطق القريبة من محطات السكة الحديد حتى يسهل ترحيلهم إلى معسكرات الموت، وهكذا تم الزج بنصف مليون يهودى من معسكر اعتقال فى وارسو التى أصبحت نقطة تجمع ليس فقط لليهود القادمين من المناطق القريبة؛ بل أيضاً لليهود القادمين من ألمانيا. وتم ترحيل اليهود من ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا إلى المدن البولندية، وفى ربيع عام ١٩٤٢ كان هؤلاء اليهود المرحلون ضمن أول الضحايا فى معسكر اعتقال صوبيبور وبلزيك وتربيلينكا.

وفى ٣١ من يوليه ١٩٤١ كتب النازى المعروف جورنج إلى هيدريش يقول :

"ولمساعدتك على إتمام المهمة التى كلفتك بها وبناء على المرسوم الصادر فى ٢١من يناير ١٩٣٩ والخاص بحل المشكلة اليهودية عن طريق التهجير والترحيل بأفضل طريقة ممكنة حسب الأحوال والظروف، فإنى أعهد إليك بتنفيذ جميع الترتيبات

اللازمة سواء كانت تنظيمية أو جوهرية أو مالية بهدف الوصول إلى حل نهائى للمشكلة اليهودية فى المناطق الأوروبية الخاضعة للنفوذ الألمانى.

"كما أنى أكلفك بموافاتى على الفور بخطة كاملة تبين التدابير التمهيدية والتنظيمية والجوهرية والمالية اللازمة لتنفيذ خطة الحل النهائى للمشكلة اليهودية".

وعقب الأوامر التى أصدرها جورنج شرع هيدريش فى بناء معسكرات الموت. وبعد قيام الوطنيين فى ٥ من يونيه عام ١٩٤٢ باغتيال هيدريتش بدأ النازيون يطلقون على إبادة اليهود ومصادرة ممتلكاتهم اسم عملية رينهارد Rienhard أو عملية إينساتز Einstaz. والجدير بالذكر أن هملر أشرف بنفسه على هذه العملية، كما أنه زار معسكر اعتقال صوبيبور ومعسكرات الموت الأخرى ووقع على بعض الأوامر الخاصة بالترحيل التى أسماها على سبيل التمويه إعادة التوطين، وكانت الشرطة فى الحكومة العامة (أى بولندا) يتلقون أوامرهم من وحدة البوليس الخاصة الألمانية التى تأتمر بأمر هملر، علمًا بأن فردريتش كروجر Friedrich Kruger تقلد قيادة وحدة البوليس الخاصة فى الفترة من من أكتوبر ١٩٣٩ حتى نوفمبر ١٩٤٣، ثم حل محله فيما بعد ويلهلم كوب Wilhelm Koppe فى الفترة من نوفمبر ١٩٤٣ حتى يناير ١٩٤٥. واتخذ كلاهما من كراكو مقرًا لقيادتها، وأيضًا كانت شرطة الأمن المعروفة اختصارًا باسم Bdo خاضعة لوحدة البوليس الخاصة.

وحتى تتمكن وحدة البوليس الخاصة من إحكام سيطرتها على حكومة بولندا العامة قامت بتقسيم بولندا إلى خمس مناطق هى كما سبق أن ذكرنا وارسو وداووم وكراكو وجاليشيا ولوبلين. ولكن بعد استكمال معسكرات الموت حل سيكرنر Sechrner محل شويندلر Schwendler الذى ثبت عدم كفاءته، تم تولى زمام الأمور الجنرال بوتشر Bottecher الذى حل محل الجنرال كاتزمان Katzmann الرجل العنيف الذى حكم جاليشيا التى تسكنها جالية يهودية كبيرة، وكلف النازيون الجنرال الدكتور فون سامرن فرانكنيج Von Sammern Frnakengg إدارة جيتو وارسو حتى استمر فيها فى فترة التهجير الجماعى لليهود وإبان الثورة التى اندلعت فى أبريل ١٩٤٣. وبينما القواد

الثلاثة شونيدلر وويجاند Wiegend وأوبرج Oberg يستعدون لمغادرة بولندا ظل فيها أوديلو جلوبكنيك Odile Glonoenik قائداً بوحدة البوليس الخاصة وتولى عملية إبادة اليهود، وأنشأ قطاعا خاصاً لتنفيذ الحل النهائى بتوجيه من هيرمان هوفل Hermann Hoefle. وأيضاً كان الضابط كريستيان ويرث يخضع لإمرة هوفل ويشرف على إنشاء معكسرات الاعتقال والتفتيش على معسكرات بلزيك وصوبيبور وتريبلينكا وكان لقبه الرسمى "مفتش القيادة الخاصة بعملية رينهارد". وأطلق عليه مرءوسوه كريستيان المتوحش بسبب شهوته للقتل وسفك الدماء. وأيضاً تولى القائد جوزيف أوبرهاوزر Jo-seph Oberhouser إدارة معسكر بلزيك وبعد انتهاء الحرب قدم إلى المحاكمة فى ألمانيا الشرقية بتهمة نشاطه فى تنفيذ برنامج القتل الرحيم، ولكنه نجا من الملاحقة القضائية ومن اتهامه باقتراف جرائم من معسكر بلزيك؛ بسبب وفاة الشهود الذين يمكنهم الشهادة ضدة علماً بأن جلوبنيك كان على صلة بهملر وكارل وولف Karl Wolf ويعمل معهما على نحو مباشر.

كان العاملون فى عملية رينهارد والمكلفون بأعمال التشييد والبناء ينتمون أساساً إلى فريق القتل الرحيم الذى اضطلع بإنشاء ثلاثة معسكرات موت شهيرة هى بيلزيك وصوبيبور وتريبلينكا.

بدأ القتل الرحيم فى ألمانيا النازية مع بداية الحرب العالمية الثانية بهدف التخلص من الأشخاص غير الصالحين للحياة وأصحاب العاهات الذهنية والجسدية الميئوس من شفائها حتى وإن كانوا من الألمان. وعندما بدأ النازيون فى تطبيق سياسة القتل الرحيم ظنوا مخطئين أن عامة الألمان سوف يسكتون على ذلك ويرتضونه ولكنهم سرعان ما اكتشفوا سخط الرأى العام الألمانى عليهم.

كان هنريش هملر قائد جهاز وحدة البوليس الخاصة رئيس برنامج القتل الرحيم وساعده فى ذلك فيليب بوهلر Philip Bouhler رئيس المستشارية وكارل براند Karl Brand طبيب هتلر الخاص. علماً بأن محكمة أمريكية حكمت على براند بالإعدام نفذت هذا الحكم فيه عام ١٩٤٨. وقد تحمس لوضع برنامج القتل الرحيم موضع التنفيذ عدد

من أساتذة الجامعات فى مقدمتهم هيد Heyde ونيتشه Nietsche وفاننستيل -Pfannen stiel وكرانتز Krantz وآخرون كثيرون، وفى أبريل ١٩٤٠ نشر كرانتز مقالاً قدر فيه عدد الألمان الواجب استئصالهم بمليون شخص. فلا غرو إذا رأينا منتجي الأفلام آنذاك يبرزون الفوائد الجمة التى سوف تعود على ألمانيا إذا تخلصت من هذه العناصر غير المنتجة. وطبقًا لما يذهب إليه منتجو هذه الأفلام كانت نسبة اليهود المعاقين ذهنيًا مرتفعة للغاية.

ولكن هؤلاء الأساتذة المتحمسين لبرنامج القتل الرحيم لم يذهبوا إلى معسكر صوبيبور، فقد التحق بالعمل فيه تلاميذهم الذين اقترفوا جرائمهم البشعة عن اقتناع وبضمير حى.

وأيضًا أرسل النظام النازى مبعوثه إروين لامبرت Erwin Lambert إلى بولندا، وهو نفس النجار القادم من مدينة شتوتجارت والذى أنشأ غرف الغاز المستخدمة فى القتل الرحيم فى هادامار Hadamar وهارتيم Hartheim وسوننشتين Sonnenstein ثم أوفد فيما بعد إلى تريستا بإيطاليا عام ١٩٤٣. وللتمويه تعمد هذا الرجل إخفاء غرف الغاز لتظهر للناظر إليها كدشات استحمام عادية، كما أنه أحكم بناءها وعزلها لمنع تسرب غاز كربون المونوكسيد منها. وأيضًا أرسل النظام النازى إلى بولندا ممرضين محترفين يعملون فى مؤسسات القتل الرحيم وخبراء فى هذا النوع من القتل، فضلاً عن إنشاء المحارق اللازمة.

وفى العادة كان المعاقون ذهنيًا لا يدركون بئس المصير الذى ينتظرهم وخاصة لأن النازيين أعطوهم العقاقير المنومة أو حقن المورفين المخدرة. وللخداع والتمويه كان يقال لسجناء معسكر صوبيبور المزمع الإجهاز عليهم : "سوف تأخذون دشا لتطهير أجسادكم لتجنب إصابتكم بالأوبئة قبل بدء رحلتكم الطويلة إلى أوكرانيا" "وإذا فشلت هذه الكلمات فى إدخال الطمأنينة فى نفوس الضحايا انهال النازيون عليهم ضربًا بالعصى والسياط حسب الشهادة التى أدلى بها السجين الهارب جانكيتيل فيبرنيك Jankiel Wiernik فى أول محاكمة عقدت للتحقيق فى الجرائم التى اقترفت فى معسكر دوسلدورف فى عام ١٩٦٥".

أنشئت أول مؤسسة للقتل الرحيم في سجن مهجور في بلدة براندنبرج Brander-burg في بروسيا، تلتها مؤسسات أخرى في كل من جرافينيك Grafeneek ومونستيجن Mustigen ورتيـنبـرج Wurttemberg في سـوننشـتين بالقرب من بيرمـا Pirma في ساكسونيا وفي هادامار Hadmar الواقعة في منطقة ليمبورج Limburg في هيسين Hessen، وفي بيرمبرج ج. سال Bermburg / Saale في تورنجيا Thuringia فضلا عن قلعة هارتاريم Hartheim القريبة من لنز Linz في النمسا والجدير بالذكر أن قائد معسكر صوبيبور فرانز ستانجل وخلفه فرانز رخيليترFranz Rich Paitner جاءوا من قلعة هارتهاريم.

وليس هناك من يعرف العدد الدقيق لضحايا القتل الرحيم، ولكن الدارسين يقدرون عددهم بسبعمائة ألف، وطبقًا لما يقوله القومندان ستانجل بلغ عدد الضحايا القتلى ١٣ ألف مريض، والجدير بالذكر أن ستانجل ذكر هذا الرقم أثناء محاكمته في دوسلدورف في ٢ من مايو ١٩٧٠.

وتحت ضغط الاعتراض على القتل الرحيم داخل ألمانيا النازية، وخاصة من جانب الكنيسة البروتستانتية اضطر زعماؤها إلى تأجيل تنفيذ برنامج القتل الرحيم بالجملة وبشكل جماعي إلى فترة ما بعد الحرب، ولكن فيكتور براك Victor Brach قال: إن تنفيذ القتل الرحيم في المعوقين ذهنيًا داخل ألمانيا النازية لم يتوقف طوال فترة الحرب العالمية الثانية، وقد اعترف الفونس كلاين Alfons Klein أثناء تقديمه للمحاكمة في عام ١٩٤٦ أن ثلاثة آلاف ممن يستحيل شفاؤهم من أمراضهم العقلية تم قتلهم بالغاز في فترة الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥).

وبعد إعفاء أصحاب الخبرة من العاملين في برنامج القتل الرحيم وضعت كتائب T4 تحت تصرف القائد جلوبوكنيك Globocnik للاضطلاع بعملية رينهارد للقتل الرحيم. وفي أول محاكمة عقدت في معسكر تريبلينكا استعرضت المحكمة خطابًا كان جلوبوكنيك قد سطره في ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٣ وذكر فيه أن ٩٢ متخصصًا في القتل الرحيم في مكاتب T4 كانوا تحت إمرته.

وفى خريف عام ١٩٤١ وربيع عام ١٩٤٢ أرسل النظام النازى خبراء القتل الرحيم إلى معسكر ترافنيكى Trawniki بالقرب من لوبلين فى بولندا؛ حيث تلقوا تدريبات عسكرية وتم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات عهد إليها ببناء ثلاثة معسكرات موت هى معسكر بلزيك الواقع بالقرب من توماروف - لوبلسكى Tomaszow Lubelski جنوب لوبلين ومعسكر صوبيبور بالقرب من القرية التى تحمل هذا الاسم وتبعد ثمانية كيلو مترات من فلودافا Wlodawa شرقى لوبلين ومعسكر تريبلينكا الواقع على شريط السكة الحديد بين وارسو وبيالستوك Bialystok جنوب شرق أوستروف مازوفيكى Ostwow-Mazowiecki بالقرب من مالكينيا Malkinia والجدير بالذكر أن برنامج القتل الرحيم كان سرًا من أسرار الدولة النازية أقسم المشاركون فيه على الحفاظ على سريته وعدم إفشائه، وأيضًا كانت عملية رينهارد سرًا من أسرار الدولة، فإذا حدث أن أيًا من العاملين فيه لم يقسم على الحفاظ على سريته فى برلين تعين عليه أن يفعل ذلك فى ترافينيكى كما تعين عليه التوقيع على التعهد التالى : -" يتعين على أى عضو فى فريق معسكرات الموت القسم بأنه تلقى تعليمات فى هوفل Hoefle قائد مكتب عملية رينهارد الرئيس بعدم الإفشاء شفاهة أو كتابة لأية معلومات تتعلق بتوطين اليهود.. وأيضًا كان من المؤكد أن العقاب الصارم سوف ينزل بأى شخص تسول له نفسه إفشاء هذا السر، كما أنه كان محظورًا التقاط أية صور فوتوغرافية للمعسكر.

بدأ إنشاء معسكر صوبيبور فى نهاية فبراير أو أوائل مارس ١٩٤٢ واضطلع بالعمل المبدئى أحد قادة ترافينيكى تحت إشراف كريستيان ويرث بمساعدة طبيب وصيدلى، وفيما بعد أضيف إلى المعسكر كازينو للضباط وسينما للحرس الأوكرانى، وقد قام مهندسون معماريون ببناء المعسكر بمساعدة عمالة السخرة البولندية واليهودية. وفى يوم ٢٨ من أبريل ١٩٤٢ وصل القومندان فرانز ستانجل إلى صوبيبور جالبًا معه مواد البناء ومبلغًا ضخمًا من المال لشراء أية مواد أخرى لازمة، ومنذ ذلك الوقت أصبح ستانجل المشرف على جميع أعمال البناء فى هذا المعسكر.

بلغت مساحة كل غرفة جديدة فى معسكر صوبيبور عشرة أمتار مربعة. وكان لها بابان أحدهما شرقى والآخر غربى، وكان الضحايا يدخلون من الباب الغربى فى حين أخرجت جثث الموتى من الباب الشرقى لنقلها فى أكوام فوق شاحنات تأخذها إلى

المحارق أو المقابر الجماعية. وفي البداية كان الموتى يدفنون في قبور مساحتها ٣٠ × ١٥ مترًا بارتفاع يصل إلى أربعة أو خمسة أمتار. غير أن هذا الوضع تغير ابتداء من شتاء عام ١٩٤٢ حيث أصبحوا يحرقون في محارق واسعة مفتوحة. وكان المعسكر محاطًا بالأسلاك الشائكة وحزامًا من الألغام وحفرة مليئة بالماء. والجدير بالذكر أن صوبيبور كان المعسكر الوحيد الذي وضعت حوله الألغام.

بلغ عدد أول ضحايا معسكر بلزيك ثلاثين ألف يهودي عاشوا في مدينة لوبلين في حين كان أول ضحايا معسكر صوبيبور ١٥٠ يهوديًا تم ترحيلهم من فلودافا ثم تبعهم آلاف اليهود من هروبسيروف Hrubieszow ومييلك Mielec وكراسنيستاف Krasnystaw، وتم الإجهاز على هؤلاء الضحايا عن طريق غرف الغاز أو طلقات الرصاص.

ويبدو أن الضابط ريتشارد توملا Rivchard THomall كان أول قومندان يعين في صوبيبور، ويبدو أيضًا أن مصيره كان مجهولاً، ومن المعتقد أنه توفي عام ١٩٥٧، وقد ورد اسمه في المحاكمة التي عقدت في معسكر ماجندانيك Magdonek (لوبلين) ثم خلفه فرانز ستانجل الذي وصل إلى صوبيبور يوم ٢٨ من أبريل ١٩٤٢ حيث بقي فيه لمدة ثلاثة أشهر. وكانت عائلته تعيش بالقرب من هذا المعسكر في منزل أنيق بجوار بحيرة في قرية صوبيبور، ثم عين قومندانًا على معسكر تريبلينكا حيث ظل فيه حتى اندلعت الثورة فيه في ٢ من أغسطس ١٩٤٣، وأخيرًا أرسل إلى إيطاليا، وقد حل محله فرانز ريخلتير Franz Reich Paitner الذي وافته المنية بعد الحرب دون تقديمه إلى المحاكمة.

كان معسكر صوبيبور ينقسم إلى ثلاثة قطاعات في كل منها ضابط مهمته الإشراف على الحرس الأوكراني والسجناء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، وكان الأوكرانيون أنفسهم ينقسمون إلى مجموعات يتكون كل منها من ستة رجال تحت إمرة أوكراني من أصل ألماني، وأيضًا تم تقسيم السجناء إلى مجموعات يتولى الكابوهات الإشراف عليها، وعند وصول فوج من السجناء إلى معسكر صوبيبور كان في انتظاره على رصيف محطة السكة الحديد معظم العاملين بوحدة البوليس الخاصة ويتراوح عددهم من ٥٠ إلى ١٠٠ ألماني ومن ١٥٠ إلى ٢٠٠ أوكراني.

أنشئ معسكر صوبيبور على مساحة تمتد إلى ٥٨ هكتار على شريط سكة حديد تشيلم فلودافا Chelmo - Wlodowa، وكان هذا الشريط على بعد خمسمائة متر من غرف الغاز. وفى نهاية المعسكر كانت هناك منصة (لسان) طولها ٤٠٠ متر قريبة من مساكن إدارة المعسكر. وفى وقت لاحق تم تقوية المعسكر وتحصينه بناء على توجيه من قائده ستانجل.

تكون معسكر صوبيبور من أربعة قطاعات إلى جانب محل إقامة الإدارة وتم عزل هذه القطاعات عن طريق الأسلاك الشائكة، يقول سجناء ناجون من الموت إن القطاع رقم (١) كان مقر السجناء والورش والمطابخ، وفى نهاية هذا القطاع يقع القطاع رقم (٢) الذى تم تخصيصه لخلع ثياب السجناء وتخزين ممتلكاتهم ومتعلقاتهم الشخصية. ويشمل القطاع رقم (٣) غرف الغاز، وكانت كل غرفة منها تسع خمسين شخصًا، وفى عام ١٩٤٢ اتخذ النازيون قرارًا بتوسيع غرف الغاز وكان إوين لامبرت ولورنز هاكنهولت LOrenz Hackenholt يعملان تحت قيادة فريق يتكون من كريستيان ويرث وكيرت جومرسكى Kurt Gomerski بوحدة البوليس الخاصة وإريخ بوور Erich Bauer. وأثناء محاكمته فى صوبيبور اعترف لامبرت وجومرسكى بأن التوسعات التى أجريت على معسكر صوبيور استغرقت ثلاثة أسابيع، وقد تم تجنيد خمسة نجارين أوكرانيين ومجموعة من السجناء لإنجاز العمل، وحتى يتسنى بناء غرف غاز جديدة كان من الضرورى هدم بعض المنازل القديمة لبناء غرف الغاز عليها. وكانت مساحة كل غرفة ٤ × ١٢ مترًا، وتم إعداد خمس غرف يستوعب كل منها بين سبعين وثمانين شخصًا، وهكذا أمكن قتل ٤٠٠ ضحية بالغاز فى المرة الواحدة إذا كان هناك أطفال بينهم.

وعند وصول السجناء الذين يعانون من المرض والأطفال الذين جاءوا دون مرافقة أهلهم اقتيدوا إلى المعسكر رقم (٣) حيث كانت هناك حفرة، وكان هذا القطاع يعرف بالمستشفى ودرج الحراس الأوكرانيون تحت إشراف الألمان على ضرب السجناء

برصاص الرشاشات. وفى البداية كان الضحايا يسيرون على الأقدام إلى المكان الذى يعدمون فيه، ولكن عند إنشاء خط جديد للسكة الحديد عام ١٩٤٢ تم شحن السجناء فى شاحنات مفتوحة ونقلهم إلى المستشفى، يقول الدارسون: إن معدلات الإجهاز على سجناء معسكر صوبيبور فاقت معدلات الإبادة حتى فى معسكر أوشيفتز وهو المعسكر الأكثر ترويعًا فرغم إبادة معظم سجناء أوشنفينز فقد تبقت منهم على قيد الحياة نسبة تتراوح بين ١٠٪ و٢٥٪ من السجناء ألحقتهم إدارة أوشنفينز بالعمل فى المصانع المجاورة، فى حين أن من بقي فى معسكر صوبيبور على قيد الحياة لم يزد على حفنة من الشبان تركت للعمل فى المعسكر نفسه.

وفى صيف عام ١٩٤٣، عندما زادت أفواج السجناء المرحلين من أوروبا الغربية اقتيدت إلى معسكر صوبيبور مجموعات صغيرة من هذه الأفواج كان الإنهاك فى العمل وظروفه المغنية قد بلغ منها كل مبلغ؛ بهدف القضاء عليها وكثيراً ما سافر هملر للتفتيش على معسكرات الاعتقال الواقعة فى بولندا فقد زار معسكر تريبلينكا فى ١٥ من أغسطس ١٩٤٢ كما أنه قام بمرافقة الجنرال كارل وولف Karl Wolf بزيارة وارسو يوم ٩ من يونيه من العام نفسه، وفى ١٢ من فبراير عام ١٩٤٣ زار صوبيبور بمرافقة وفد من كبار الضباط وفى هاجن Hagen أرادت إدارة معسكر صوبيبور الترحيب بزيارة هملر وإظهار حماسها لعملية إبادة السجناء فأصدر قومندان المعسكر أمراً باختيار مائتى امرأة وفتاة يهودية جميلة وأجبرت على خلع ملابسهن فى المعسكر رقم (٢) وأخذن إلى المعسكر رقم (٣) حيث استقبلهن الضابط إرنج بوور (المعروف باسم عامل الحمامات) وقادهن إلى غرف الغاز، واحتفالاً بهذه المناسبة لبس بوور أفضل أزيائه العسكرية، وقام رجال الوحدة الخاصة الآخرون بتلميع أحذيتهم.

كان السجناء يرحلون إلى معسكر صوبيبور فى عربات قطارات البضائع إلى جانب بعض قطارات الركاب القادمة من ألمانيا الشرقية وهولندا وأيضًا تم نقل السجناء الآخرين باللوريات والعربات التى تجرها الدواب والخيول، كما أن بعضهم جاء مشيًا على الأقدام.

وكان كل فوج من السجناء يتكون من عشرين عربة أو شاحنة على أقل تقدير ولكن بعض القوافل التى حضرت إلى معسكرى تريبلينكا وبلزيك اشتملت على ستين عربة نقل، تسع كل عربة منها مائة شخص، وعند وصول القافلة توقفت عند مدخل مقر سكنى إدارة المعسكر التى استقبلت اليهود البولنديين بالضرب، فى حين تلقى السجناء الوافدون من الدول الغربية معاملة أكرم، والجدير بالذكر أن سكك حديد الشرق المعروفة باسم جيدوب Gedob تولت نقل أفواج السجناء إلى كل من صوبيبور وبلزيك وتريبلينكا بتوجيه من الدكتور ألبرت جانزنمولر Ganzenmuller وزير النقل والمواصلات، ومن المعروف أن هذا الوزير تبادل الرسائل مع كارل وولف بشأن الفوجين اليهودين اللذين وصلا يوميًا من وارسو إلى معسكر تريبلينكا واللذين ورد ذكرهما عند محاكمة كارل وولف فى ميونيخ عام ١٩٦٤ وفيما يلى نص الخطاب الذى أرسله وزير النقل جانزنمولر إلى وولف بشأن معسكر صوبيبور.

"سرى".

إلى وولف عضو الحزب البارز :

استكمالاً للحديث التليفونى الذى دار بيننا يوم ١٦ من يوليه ١٩٤٢ فإنى أرفق المعلومات التالية التى كشف عنها مدير خطوط سكك الحديد الشرقية فى كراكو.

كان القطار يغادر وارسو يوميًا متجهًا عن طريق مالكينيا Malkinia إلى تريبلينكا حاملاً على متنه خمسة آلاف يهودى ويهودية، وأيضًا سافر قطار آخر مرتين فى الأسبوع حاملاً خمسة آلاف يهودى ويهودية فى برزميسل Przemysl إلى معسكر بلزيك ولهذا نرى هيئة سكك حديد جديدة على اتصال مستمر مع إدارة الأمن فى كراكو.

بدأت مجازر السجناء تحدث فى معسكر صوبيبور فى أبريل ١٩٤٢ ولكنها توقفت إلى حين؛ بسبب استمرار العمل فى مد خطوط السكك الحديدية وبناء غرف الغاز الجديدة، وكانت عدة تقارير مكتوبة ترسل مع كل فوج من السجناء متجه إلى معسكر صوبيبور؛ بحيث تصل نسخة منه إلى مكتب الرايخ الرئيسى للأمن المعروف اختصاراً

بـ RSHA ومقره برلين – وتصل نسخة أخرى إلى رئيس شرطة الأمن من كراكو ونسخة ثالثة إلى الجنرال جلوبوكنيك رئيس وحدة البوليس الخاصة وشرطة لوبلين.

لم تكتف عملية رينهارد بإبادة الضحايا؛ بل قامت بسلب ونهب متعلقاتهم ولم يكن هذا السلب قاصراً على معسكر دون الآخر، وفيما يلى تفاصيل عن القيمة المادية لهذه المسروقات فى كل من صوبيبور وبلزيك وتريبلينكا، وقد ظهرت وثائق لا تحصى ولا تعد أثناء المحاكمات المنعقدة فى كل من تريبلينكا وصوبيبور، وفى هذه الوثائق مذكرة تحمل توقيع جلوبوكنيك رئيس عملية رينهارد، موجهة إلى هيرمان هوفل Hermann Hoefle رئيس مكتب إدارة لوبلين وإلى المحاسب بوحدة البوليس الخاصة ألوارزيبا Alois Rzepa وتتضمن هذه المذكرة المعلومات التالية عن الأسلاب.

أوراق مالية	٧٣٨٥٢٠٨٠,٧٤	مارك ألمانى
معادن ثمينة	٨٩٧٣٦٥١,٦٠	مارك ألمانى
عملات ذهبية	١٧٣٦٥٥٤,١٢	مارك ألمانى
جواهر وأحجار كريمة	٤٣٦٦٢٤٥٠	ماركًا ألمانيًا
منسوجات	٤٦٠٠٠٠٠	مارك ألمانى
المجموع الكلى	١٧٨٧٤٥٩٦,٥٩	مارك ألمانى

غير أن الجنرال جلوبوكنيك يعطينا أرقامًا مختلفة ففى تقريره المؤرخ فى ٤ من نوفمبر ١٩٤٣ ذكر أن إجمالى المبلغ كان ١٠٠,٠٤٧٩٨٣,٩١ مارك ألمانى مما دفع هملر إلى توجيه خطاب شكر إليه فى ٣٠ من نوفمبر ١٩٤٣ وفى ٥ من يناير ١٩٤٤ عندما كان جلوبوكنيك فى تريستا بإيطاليا بعث إلى رئيسه هملر تقريرًا مفصلاً ذكر فيه أن إجمالى المبلغ كان ١٧٨ مليون مارك ألمانى، وطلب جلوبوكنيك من رئيسه إعطاء مكافأة للعاملين معه على تفانيهم وإخلاصهم، كما اقترح منحهم الصليب الجديد من

الطبقة الأولى والطبقة الثانية، وأوصى خيراً بفرانز ستانجل أول قومندان يعين فى معسكر صوبيبور وثانى قومندان لمعسكر تريبلينكا.

وكانت حصيلة عملية رينهارد من الغنائم تودع فى بنك الرايخ الألمانى ووزارة الاقتصاد، أما الذهب والجواهر فكانت ترسل مباشرة إلى مستشارية القوهرر فى برلين، وكانت ملابس اليهود المقبوض عليهم تذهب بعد انتزاع الشارة الصفراء منها إلى عدة قوسسيات ألمانية.

وطبقاً للمدعيين العموميين فى محاكمتى معسكر تريبلينكا الأولى والثانية وهما سبايز Spies وجنشفترز Gnichwitz ربح هذا المعسكر مكسباً يقدر بمائة مليون مارك ألمانى، كما ربح معسكرا بلزيك وصوبيبور ٧٨ مليون مارك ألمانى، والجدير بالذكر أن رئيس خزانة صوبيبور العامل بوحدة البوليس الخاص واسمه بيكمان Bechmann لقى حتفه فيما بعد أثناء الثورة التى اندلعت فى ١٤ من أكتوبر ١٩٤٢ والتى قضت أيضاً على عشرين آخرين من مقترفى الجرائم ضد السجناء بعد أن ظل معسكر صوبيبور يعمل لمدة ثمانية عشر شهراً امتدت فى أبريل ١٩٤٢ حتى ١٩٤٣ اندلعت فيه ألسنة الثورة التى أعدها وتزعمها ألكسندر أرنوفتش بيكرسكى Alexander Arnovich Pe-chersky المعروف باسم ساشكا Sashka المرحل من منيسك. وأيضاً ساهم فى نجاح هذه الثورة سجين آخر يهودى يدعى ليون فيلدهندلر Leon Felhender الذى عمل والده حبراً فى مدينة زولكيفكا Zolkiewka وفى ٥ من يوليه ١٩٤٣ جال ببال هملر تحويل صوبيبور إلى معسكر اعتقال وتسخيره واستخدامه كمستودع للأسلحة التى تستولى عليها القوات النازية من قوات الحلفاء. ولكن الجنرال أوزوالد بوهل OSwald Phol (رئيس إدارة الخدمات والاقتصاد الذى تخضع له معسكرات الاعتقال لم يرحب بهذه الفكرة كما تستدل فى خطاب المؤرخ فى ١٥ من يوليه ١٩٤٣ :

"تنفيذاً لأمركم الصادر بتحويل معسكر صوبيبور المؤقت فى منطقة لوبلين إلى معسكر اعتقال، تحدثت فى هذا الموضوع مع رجل الوحدة الخاصة جلوبوكنيك، وبالنسبة إلى هدفكم المتمثل فى إنشاء مستودع لحفظ الأسلحة التى تستولى عليها

قواتها من العدو فيمكن تحقيقه دون تحويل صوبيبور إلى معسكر اعتقال ونحن نفضل إبقاء كل شيء على ما كان عليه، رجاء الرد عليّ حيث إن هذا الرد يهمنى مثلما يهم الجنرال جلوبوكنيك".

هايل (يحيا) هتلر

ومنذ يوليه ١٩٤٢ فصاعداً استخدم النازيون سجناء الحرب الروسى فى بناء الثكنات المخصصة لإعادة تدوير السلاح.

وفى ١٤ من أكتوبر نشبت الثورة فى معسكر صوبيبور فى أعقاب الثورة التى اندلعت فى تريبلينكا فى ٢ من أغسطس من العام نفسه؛ بسبب ما لقيه السجناء من عسف واضطهاد على يد النظام النازى، وفى تلك الفترة لم يعد الجنرال جلوبوكنيك رئيساً لجهاز الشرطة ووحدة البوليس الخاصة فى لوبلين؛ حيث إنه تم نقله للعمل فى مدينة تريستا الإيطالية، وقد حل محله الجنرال جاكوب سبورنبرج **Sporienberg** بوحدة البوليس الخاصة الذى عقد العزم على سحق التمرد فى صوبيبور، فطلب العون والمدد من الجيش الألمانى وسلاح طيرانه، وأمر الجنرال سبورنبرج مرءوسيه بالانتقام من المتمردين ومثيرى الشغب. وأطلق رجال وحدة البوليس الخاصة النار على المتمردين الذين حاولوا الهرب فى الغابات المجاورة وأردوهم قتلى. وأعيد بعضهم إلى المعسكر حيث جرى تعذيبهم قبل إعدامهم. ولكن سجينة تدعى إستر راب **Esther Raab** الناجية من الموت حصلت على وصف للمجزرة من امرأة أوكرانية فى تشيلم **Chelm** عام ١٩٤٥، وبعد اندلاع الثورة فى صوبيبور تم تفكيك جميع منشآت هذا المعسكر وتدميرها، ولكن معسكر تريبلينكا استمر فى العمل بعد ثورة ٢ من أغسطس ١٩٤٣ حتى شهر أكتوبر من العام نفسه، وتمت إبادة أفواج صغيرة من السجناء هناك. وتوقف معسكر بلزيك عن العمل فى يونيه أو يوليه عام ١٩٤٣، ولكن هذا التاريخ ليس مؤكداً، علماً بأنه تم الإجهاز على آخر ضحايا بلزيك عن بكرة أبيهم، وقد كلف النازيون ثلاثين سجيناً يهودياً قادمين من معسكر آخر بتنظيف معسكر صوبيبور من آثار التمرد، وفى شهر نوفمبر (١٩٤٣) تم الإجهاز عليهم بالقرب من غابة فى ست مجموعات تكونت كل منها من خمسة سجناء كما تم حرق جثثهم بينهم بعض النساء.

وقد شهد بذلك أمام المحكمة المنعقدة فى هاجن اثنان من رجال الوحدة الخاصة هما جويهرس Juehis وزييرك Zierke اللذان شاهدا بأم عيونهما عمليات الإعدام.

وبعد أن تم تنظيف معسكر صوبيبور، قاموا بحرث الأرض. وغرس أشجار الأناناس. وعندما زارت ميريام نوفيتش Miriam Novitch وزملاؤها معسكر صوبيبور وجدوا مكانه غابة صغيرة تحتل وسطه، وشاهداً يرمز إلى رجل واقف بجوار بقايا طفل تلتهمه النيران.

وبعد ثورة تريبلينكا أبقى النازيون على حياة مائتى سجين بشكل مؤقت، ولكن هذا الرقم سرعان ما انخفض إلى ثلاثين سجينًا، وقد ورد وصف عملية إعدامهم يوم ٤ من نوفمبر ١٩٦٤ خلال أول محاكمة لسفاح نازى اسمه منيز: "اقتيد الثلاثون سجينًا فى مجموعات تتكون كل منها من خمسة سجناء وهم جاثون على الأرض وقد أحنوا رءوسهم وأطلق عليهم الرصاص من مسدسات أوتوماتيكية، وقبل وفاة كل مجموعة تعين عليها إحراق جثث المجموعة السابقة لها".

ومن الناحية الرسمية يمكن القول: إن عملية رينهارد انتهت يوم ١٩ من أكتوبر ١٩٤٣ كما ورد فى الخطاب الذى أرسله جلوبوكنيك إلى هملر. واتباعًا لنصيحة جلوبوكنيك أقيمت مزارع فى مواقع معسكرات الموت. وتلقى المزارعون أجوراً للعناية بها. ولكن خطة جلوبوكنيك لم تتحقق؛ بسبب بدء انهيار ألمانيا النازية فى نهاية خريف ١٩٤٣؛ وخوفًا من اندلاع ثورات جديدة أصدرت وحدة البوليس الخاصة أمرًا بسفك دماء السجناء فى معسكرات ماجدانيك وترافينكى وبونياتوفا Poiatowa الذى زج فيه بالناجين من الموت فى جيتو وارسو، وفى يومى ٣ و ٤ من نوفمبر ١٩٤٣ أجهز النازيون على ١٨ ألف سجين فى ماجدانيك (لوبلين) و ١٤ ألف سجين فى معسكر بونياتوفا وعشرة آلاف سجين فى معسكر ترافنيكى فى عملية عرفت باسم عيد الحصاد، وشجعت الثورة التى اندلعت فى جيتو وارسو والمعسكرات الأخرى على شيوع روح التذمر والتمرد فى هذه المعسكرات الثلاثة، وانتوى سجناء ترافينيكى الهرب إلى الغابات للانضمام إلى صفوف المقاومة بأمر من الثائر زيمستا Zemsta، وتمكنت المقاومة

اليهودية فى وارسو من تهريب قطع السلاح إلى معسكر بويناتوفا، وأيضًا تمكن السجناء من إضرام النار فى ثكناتهم وحرق جميع متعلقاتهم.

وفى ديسمبر ١٩٤٣ أرسل النظام النازى القومندان فرانز ريخليتنر Franz Reich-leitner وبعض رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكرانى برفقة زوجاتهم إلى إيطاليا التى احتلها الحلفاء؛ حيث أقيم فى مدينة تريستا معسكر اعتقال فى مصنع أرز قديم وقد حدثت فيه مجازر، وأصبح هذا المعسكر مكانًا يتجمع فيه اليهود المقبوض عليهم فى كل من تريستا والبندقية قبل إرسالهم إلى ألمانيا واستمر ترحيلهم حتى نهاية ١٩٤٥، وأيضًا أصبح سان سابا San Saba مستودعًا للأسلاب والغنائم اليهودية، فضلاً عن أنه صار مكانًا لسجن وإعدام الوطنيين الطليان واليوغسلافيين.

وفى إيطاليا انقسم القائمون بعملية رينهارد إلى ثلاث مجموعات هى R1 وR2 وR3 اتخذت مقرات لها على التوالى فى كل من تريستا وأودين Udine وفيوم Fiume، وطبقًا للتحريات التى أجراها البوليس الإيطالى بعد انتهاء الحرب بلغ عدد الموتى فى سان سابا ثلاثة آلاف ضحية. وقد أنشأ محرقة صوبيبور إورين لامبرت الذى تولى تشييد غرف الغاز فى معسكرى صوبيبور وتريبلينكا، وتضمنت الوثائق الخاصة بمعسكر سان سابا أسماء المشتركين فى عملية رينهارد وهم جلوبوكنيك وستانجل ولورنز هاكنهولت Lorenz Hacherholt وجوزيف أوبرهاوزر وآخرون وقد توصلت لجنة التحرى عن الجرائم النازية فى بولندا إلى العدد التالى فى الضحايا الأموات: – توفي فى معسكر بلزيك ستمائة ألف ضحية وفى معسكر صوبيبور ٢٥٠ ألف ضحية وتريبلينكا ثمانمائة ألف ضحية، ولم يبق فى معسكر بلزيك أى شهود عيان للشهادة بصحة عدد ضحايا هذا المعسكر. وتم حساب عدد الضحايا على أساس عدد اليهود المقيمين فى المدن المجاورة ممن تم ترحيلهم إلى معسكر بلزيك، ويقدر عدد القتلى فى معسكر تريبلينكا بثمانمائة ألف سجين طبقًا للتحريات التى أجريت فى بولندا. وأغلب الظن أن هذا العدد صحيح، علمًا بأنه محفور على الضريح الذى أقيم فى عام ١٩٦٤ تخليدًا لذكرى الضحايا.

وبالنسبة إلى معسكر صوبيبور فليس هناك ما يدل على عدد الضحايا. فكل ما يعرفه الدارسون عن يقين هو تواريخ وصول الأفواج القادمة إلى هولندا، ولا بد لنا أن نذكر أن عدداً كبيراً من الغجر لقوا مصرعهم إلى تريبلينكا وصوبيبور على حد سواء، ويقدر المؤرخون عدد الغجر القتلى على يد النظام النازى بأكثر من نصف مليون غجرى وغجرية.

الفصل الثالث

شهادات سجناء معسكر صوبيبور الناجين من الموت

(١) شهادة توماس بلات Thomas Blatt

يقول توماس بلات فى شهادته بعنوان: "من إزيبكا Izbica إلى صوبيبور": إنه عاش فى مدينة إزيبكا فى منطقة لوبلين؛ حيث استمع إلى المسئولين وهم يدعون أهل هذه المدينة إلى التعبئة العامة ويشرحون لهم أبسط قواعد الدفاع عن النفس ضد الغارات الجوية، وعندما أغارت القوات النازية على إزيبكا قررت عائلته سعيًا وراء الأمان الرحيل إلى قرية بانسكا دولينا Panska Dolina حيث كانت هناك كتيبة بولندية، وبعد انسحاب الجيش الأحمر آثرت عائلته العودة إلى موطنها الأصلى فى إزيبكا، وأجهشت أمه بالبكاء وحاولت دون جدوى إقناع زوجها بمغادرة المكان واللحاق بالروس المرتحلين قائلة لزوجها: إن معرفتها باللغة الروسية سوف تمكنها من التعامل مع المواطنين الروس، ولكن زوجها رفض أن يقتنع قائلاً: إن الألمان ليسوا بهذه الدرجة من السوء.

ومع قدوم الألمان إلى إزيبكا فقد ستة يهود حياتهم. وظنت عائلة توماس بلات أنهم قتلوا أثناء الاشتباكات العسكرية وليس نتيجة عداوة السامية، غير أن القلق بدأ يساورهم عندما رأوا بعض النازيين المحليين يهاجمون عدداً من اليهود بقنابل يدوية فيقتلون امرأة ويصيبون العديد من بنى إسرائيل، وعندما استولى الألمان على لوبلين

عينوا قومندانًا فى مدينة صغيرة قريبة تدعى كراسنستاف Broerentein فطالبوا باسم السكان أن يتدخل الألمان لحفظ النظام وكبح جماع النازيين المحليين، وفى الوقت نفسه قام الألمان الغازون بتجنيد ساعاتي اسمه جان شولتز Jan Schultz للتجسس على الجالية اليهودية، ثم قام الشرطة الألمان المدججين بالسلاح بإلقاء القبض على والد توماس بلات وبعض اليهود البارزين وأمروهم بتشكيل مجلس يمثل الجالية اليهودية، ثم تواترت أخبار مؤسفة فى لوبلين عن إرغام القوات النازية اليهود هناك على لبس نجمة داود، كما تواترت إشاعات عن تعذيبهم على يد الجستابو.

وأقام النازيون فى منطقة إزيبكا معسكرين للعمل أحدهما فى موكر Moker بالقرب من زاموس Zomose والآخر فى جانوف لوبلسكى Janowo Lubelski حيث كانت ظروف الحياة فظيعة، وفى البداية كان يسمح للعمال بالعودة إلى منازلهم فى المساء، ولكن الأمر تغير فيما بعد وأرغموا على البقاء فى المعسكرات، وكلف النازيون المجلس اليهودى باختيار العمال فى المعسكرات وفى بادىء الأمر تقرر إرسال الفقراء والعاطلين عن العمل إليها، وعند انضمام بوزنان Poznan واندماجها فى الرايخ الألمانى تم ترحيل سكانها من اليهود إلى إقليم لوبلين، ووصل ألف مواطن من كولو Kolo إلى إزيبكا وسمح لكل واحد منهم بأخذ عشرين كيلو عفش معه.

ويستطرد توماس بلات قائلاً: " إن الأوكرانيين والألمان بثوا الرعب فى قلوب سكان إزيبكا وأنه كان آنذاك يعمل ميكانيكيًا فى ورشة لصنع الأطباق، وكان المتعاونون مع الغزاة الألمان يلبسون زيًا أزرق اللون ويضعون أشرطة على أذرعهم تحمل اسم الحكومة العامة" وكانوا مدججين بالمسدسات والهراوات، وبدأت الشرطة ورجال وحدة البوليس الخاصة يطلقون النار على اليهود من باب التفكه والتسلية. يقول توماس بلات: إن صديقه ليزر Leizer مات بهذه الطريقة، ثم تم ترحيل أناس جدد من كولو وكونين Konin إلى إزيبكا، وعاش بعض اليهود القادمين مع عائلة توماس بلات وأربعمائة مهاجر فى المعبد اليهودى، يقول توماس بلات: إن عائلته اختبأت فى حجرة فوق السطوح عندما قامت القوات النازية بغزو روسيا يوم ٢٢ من يونيه ١٩٤١ .

كان السجين كوهين المهجر فى كولو يعيش فى منزل عائلته توماس بلات، وتلقى كوهين من ابنه رسالة جاء فيها أنه عرف أن الناس فى شلمنو فى منطقة بوزنان Poz-nan يقتلون بالغازات السامة، ولكن أحداً لم يصدق ذلك.

كان الجستابو يرابضون فى إزيبكا، وقام اثنان من رجال الوحدة الخاصة هما إنجل Engel ولوويج كلاين بمساعدة شولتز بنهب جيتو اليهود، وفى إحدى الأمسيات وصل إنجل وكلاين وشولتز إلى منزلنا ومعهم أحد الجنود، ووقفنا مستندين إلى الجدار أثناء قيامهم بتحطيم الأبواب وتفتيش الدواليب بحثًا عما يسلبونه، ثم اقتادوا الأب إلى الخارج وطلب منه إنجل أن يجرى وأطلق النار عليه ولكن الرصاصة لم تصبه، ويضيف توماس بلات أنه يذكر أن إنجل قتل خمسة وثلاثين سجينًا بينهم أطفال وأنه وجد صديقه بيرتيز دور فمان Peretz Dorfiman البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا مقتولاً على بسطة السلم.

وبعد قدوم يهود بوزنان إلى إزيبكا لحق بهم اليهود الألمان، فاكتظت المدينة بالسكان وبدأ وباء التيفوس فى الانتشار حاصداً حياة أخ توماس بلات الصغير.

وصدر قانون يقضى بعدم امتلاك اليهود للفراء، الأمر الذى اضطرهم إلى التخلص منه وبيعه إلى البولنديين بأسعار زهيدة حتى لا يقع فى يد الألمان ولا غرو فقد كان الجستابو يصادر فراء اليهود ويفرض عليهم غرامة مالية باهظة لامتلاكه يقول توماس بلات: إنهم استيقظوا ذات ليلة على صوت إطلاق رصاص، فقد كان النازيون يطاردون اليهود حتى مكان السوق، فاضطرت عائلته والسكان الذين يعيشون معها كضيوف عليها الاختباء فى غرفة السطوح، وفى صباح اليوم التالى اتضح لتوماس بلات أن النازيين رحلوا كل المقبوض عليهم فى الليلة التاسعة إلى الشرق على متن قطار لنقل المواشى، وبعد مضى يومين على تهجير هذا الفوج سرت إشاعة بأن القطارات التى أقلتهم نقلتهم إلى معسكر الموت فى بلزيك، يقول توماس بلات: إن النازيين قاموا بترحيل بعض اليهود إلى الشرق، فى حين أنه تم فى الوقت نفسه ترحيل عدد من يهود

الشرق إلى إزيبكا حيث وصل عدد من يهود تشيكوسلوفاكيا يفوق العدد القادم من بولندا.

ومضى توماس بلات يروى قصة وصوله إلى معسكر صوبيبور وبقائه فى هذا المعسكر حتى وقت قيام سجنائه بالثورة التى يقول توماس بلات فى وصفها: إن القائمين بها انقسموا إلى ثلاث مجموعات ضمت أولها المتآمرين إلكسندر بيشرسكى Alexander Pechersky وليون فيلدهندلر Leon Feldhendler وتشتمل المجموعة الثانية على خمسة سجناء اضطلعوا بمهمة الانقضاض على بعض النازيين وقتلهم، أما المجموعة الثالثة فكانت تضم ثلاثين شخصًا كلفوا بأداء مهام ثانوية، ويقول توماس بلات: إنه كان واحدًا من أفراد هذه المجموعة الأخيرة.

كانت خطة التمرد ضد النازيين كالتالى:

يقوم المتمردون من الساعة الرابعة حتى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم التمرد بالقضاء على معظم رجال الوحدة الخاصة، ثم الاستيلاء على أسلحتهم وذخيرتهم ووضعها فى ثكنات النجارين، وفى الساعة الخامسة مساء يتوجه المتمردون إلى المعسكر رقم (١) ومن هناك تندلع شرارة الثورة، وبعدئذ يتجه المتمردون إلى مدخل المعسكر؛ ليقوم المتحدثون باللغة الروسية بحث الأوكرانيين للانضمام إلى صفوف المتمردين، وساعد على ذلك أن الأوكرانيين لم يكونوا يحملون السلاح؛ حيث إن النازيين أعطوهم السلاح أثناء فترات خدمتهم فقط وكلف الثوار عددًا قليلاً من أتباعهم لقذف الحجارة على حقول الألغام المحيطة بمعسكر صوبيبور بهدف تفجيرها حتى يصبح طريق الهرب أكثر أمنًا وأيضًا ساعدهم على ذلك أن رجال الوحدة الخاصة كانوا لا يغادرون قاعة الطعام بعد الظهر.

يقول توماس بلات: إنه تحدد القيام بالثورة فى الساعة الرابعة مساء يوم ١٤ من أكتوبر (١٩٤٣)، ويضيف أنه انتظر حتى جاء السجين الروسى شوبابيف Chubayev وهو مهندس فى الخامسة والثلاثين من عمره بصحبة الكابو بينو Benyo ودخل الرجلان مستودع الملابس؛ حيث انقض شوبابيف على حارسه وقتله بفأس، كما انهال عليه السجناء طعنًا بسكاكينهم، وأيضًا تم الإجهاز على بقية رجال الوحدة الخاصة المقيمين

فى الثكنة نفسها وقام درشر Drescher بنقل الخبر وإذاعته بين أفراد المقاومة الذين علموا أن نيميان Niemann وجريشوتز Greischutz قائد الحرس الأوكرانى وكلات Klat لقوا حتفهم جميعًا وسرعان ما قام الكابوهات بجمع السجناء وهم فى طريقهم إلى المعسكر رقم (١)، وكان كثير منهم لا يدركون حقيقة ما حدث، وتهلل السجناء عندما بلغهم نبأ مقتل المشرف على مستودع الملابس بالقرب من المعسكر الأوكرانى. وعندما اقترب أحد الحراس راكبًا دراجته طرحه السجناء على الأرض واستولى سجين على مسدسه، ثم انتهى الأمر بإطلاق الرصاص عليه، ومن ناحية بادر توماس بلات بتفجير الألغام المحيطة بالمعسكر، ولكن الأسلاك الشائكة تسببت فى سقوطه فى حفرة استطاع الخروج منها بعد أن خلع معطفه ثم خف إلى الغابة؛ حيث قابل صامويل وآيتزن Samu-el Weitzen القادم من شودورف Chodorow وفريدى كوستمان Freddy Kostman القادم من كراكو، وكاد الرجلان أن يتضورا من الجوع.

وفى الغابة قابل توماس بلات عددًا كبيرًا من السجناء، وحتى لا يفلح النازيون فى إعادة القبض عليهم قسم الهاربون أنفسهم إلى مجموعات صغيرة، واتجهت المجموعة التى ضمت توماس بلات والتى لم تكن فى حوزتها أكثر من مسدس واحد إلى أحد المنازل، وطلبوا من ربة البيت أن تعطيهم خبزًا، فأشفقت عليهم وقدمت له شرائح من الخبز وإناء لبن وهى تسألهم: هل أنتم قادمون من المعسكر الذى يحرقون فيه الناس؟ إنهم يجدون فى البحث عنكم، اهربوا فقريتنا لا تبعد أكثر من خمسة كليو مترات عن هذا المكان، واتجه الثوار الهاربون صوب مدينة تشيلم Chelm، وكان توماس بلات يعرف المنطقة جيدًا، انتهى بهم المطاف إلى قرية تسكنها أغلبية ساحقة من اليهود تعرف باسم كراسنستاف Krasnustow، فى حين تم ترحيل كل اليهود تقريبًا إلى معسكر صوبيبور.

وفى المساء طرق توماس بلات باب بيت فلاح كان على علاقة بأسرته وطلب منه الاختفاء عنده لفترة قصيرة من الزمان لقاء مكافأة، فسمح له ولزملائه بالاختباء فى الإصطبل؛ حيث ناموا على القش، ثم قدم الفلاح إليهم شربة دسمة وبعض الخبز

يقتاتون به، وظل هؤلاء الهاربون مختبئين في مخابئهم حتى ترامت إليهم أصوات قيام زميل لهم بالخروج ليشاهد غدارة، وسمعت أصوات طلقات شعر توماس بلات على إثرها بألم في ساقه نتيجة إصابته. وترامى إلى سمعه صوت يقول : (غداً سوف نقوم بدفن جميع اليهود). وقد أصيب وايتزن Weitzen إصابة طفيفة في حين قتل كوستمان Kostman وتحت جنح الظلام خرجنا من مخبئنا باحثين حتى انبلاج الفجر عن مخبأ جديد عثرنا عليه في مصنع طوب مهجور. وهناك عشنا ردحاً من الزمان دون أن نغادر مخبأنا إلا أثناء الليل للبحث عن طعام.

(٢) شهادة ستانسلاف زماجزنر Stanislav Szmajzner

كتب ستانسلاف زماجزنر شهادة بعنوان: "من أوبلو OPel إلى صوبيبور" قال فيها: إنه ينتمي إلى عائلة جوهرجية، وأضاف أنه اكتشف عن وصوله إلى معسكر صوبيبور أن رجال وحدة البوليس الخاصة كانوا آنذاك يبحثون عن صنايعية وحرفيين. وتولى واجز العامل بوحدة البوليس الخاصة كمساعد للقومندان ستانجل فرز السجناء وانتقى منهم خمسة عشر شخصاً للاستفادة منهم، وعندما لم يقع اختيار واجنر على ستانسلاف خرج من الطابور ليعرض على واجنر خدماته قائلاً له:" إنني أعمل جواهرجياً وأنتم بحاجة إلي". نظر إليه واجنر دون اقتناع بكلامه ودفعته عزيزة حب البقاء إلى محاولة إقناع واجنر بأنه شخص مفيد ويمكن الانتفاع منه، فأخرج حافظة نقوده ليظهر حلية عليها نقوش تتكون من حروف ذهبية متشابكة، وفحص واجنر حافظة نقود ستانسلاف فراقت له، ولهذا أخرجه من طابور الهالكين كما أخرج أخاه وابن عمه، وهكذا أفلت ثلاثتهم من الموت المحقق في حين اقتيد بقية السجناء إلى غرف الغاز، وفي اليوم التالي التقى ستانسلاف بقومندان المعسكر ستانجل لأول مرة. كان هذا القومندان دائم الابتسام هادئاً لا ينم المظهر ومسلكه في معسكر صوبيبور عن أي توتر، وطلب من ستانسلاف أن يصنع له خاتماً من الفضة، والجدير بالذكر أن ستانجل لم يقدم على قتل أية ضحية بنفسه؛ بل كان يجلس في مكتبه يحصي عدد الوفيات، وصنع ستانسلاف خاتماً له وآخر لمساعده جوستاف واجنر وراق الخاتمان في عينيهما،

وشجع هذا ستانسلاف على السؤال عن أخبار والديه، فطمأنه القومندان بقوله: إنهما بخير وأن عائلته سوف تلحق بهم فى القريب العاجل، ويذكر ستانسلاف بمرارة أن تلقى بعدئذ، يوم ١٨ من مايو من العام المذكورة رسالة من صديق له مرحل :"صلِّ صلاة الموتى وترحم على والديك فقد ماتا مع الآخرين. ومنذ ذلك اليوم وستانسلاف لا هم له سوى الانتقام لوالديه".

ويستطرد ستانسلاف قائلاً: إن جميع رجال الوحدة الخاصة شعروا بالحسد من خاتم القومندان فأجبروه على صنع خواتم ذهبية لهم، وخاصة لأن الذهب كان متوفراً، ونظراً لأن هذا الذهب كان ملكًا للدولة، فقد أرغموا السجناء على سرقته وسرقة المجوهرات من المعسكر رقم (٣)، وقام ستانسلاف بصنع فرن صغير لصهر الذهب فيه ونجح سراً فى صنع اثنين وثلاثين خاتمًا من الذهب المصهور، ولكن عندما نما إلى علم كل من القائد ستانجل ومساعده واجنر بما حدث استشاط الرجلان غضبًا وألقيا القبض عليه وساقاه إلى المعسكر رقم (٣) وشعر ستانسلاف بقرب نهايته فتوسل إلى فاجنر أن ينقذ حياته للمرة الثانية فتحنن قلبه لتوسلاته وقرر العفو عنه، وشجع هذا العفو جميع الضباط الألمان الذين درجوا على السطو على مقتنيات السجناء وبخاصة الكماليات التى كان السجناء الفرنسيون والهولنديون يحتفظون بها، كما أنهم أمروا ستانسلاف بصهر الذهب لصنع بعض المشغولات منه.

ويذكر ستانسلاف على وجه الخصوص حادثة مروعة تتمثل فى وصول قافلة من السجناء إلى معسكر ماجدانيك، وكان هؤلاء السجناء لحمًا على عظم ويلبسون بيجامات المعسكر المقلمة، واقتيدوا بكل وحشية إلى المعسكر رقم (٢) تمهيداً لقتلهم بالغاز السام. ولكن تصادف أن غرف الغاز كانت عاطلة عن العمل، الأمر الذى اضطرهم إلى المبيت فى العراء يفترشون الغبراء، ويلتحفون بالسماء حتى فى نهايتهم المحتومة، ولم تقف محنتهم عند هذا الحدث؛ حيث إن رجال الوحدة الخاصة أو سعوهم ضربًا بالعصى والسياط.

ويعتبر يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ يومًا مهمًا ومشهوداً فى تاريخ الهولوكست فقد استطاع ستمائة سجين عزل التغلب على أربعين رجلاً من رجال الوحدة الخاصة

ومائتى حارس أوكرانى وتجريدهم من السلاح، ويعترف ستانسلاف أن الدور الذى لعبه فى تلك الثورة تلخص فى سرقة السلاح مستغلاً عمله فى إصلاح المواقد العاطلة عن العمل فى ثكنات الأوكرانيين، وهكذا تمكن ستانسلاف من سرقة وإخفاء كثير من الغدارات التى استخدمها الثوار فى صوبيبور فى الإجهاز على أكثر من عشرين جندياً.

وفى أحد الأيام وصلت قافلة إلى المعسكر ارتدى أفرادها البيجامات المقلمة الخاصة بالسجناء، وكانوا جميعًا رجالاً ونساء ناحلين وفى منتهى الهزال، كما كانت رؤوسهم حليقة وكان من الواضح أنهم عاجزون عن المشي، وسرت شائعة تقول: إنهم جاءوا من معسكر ماجدانيك لوبلين، بسبب تعطل غرف الغاز هناك، وانهار هؤلاء السجناء البالغ عددهم نحو ثلاثمائة سجين بمجرد نزولهم من القطار، فقام رجل وحدة البوليس الخاصة فرنزل Frenzel برش مادة البكورايد على رؤسهم كما لو كانوا أمواتًا.

وأيضًا جاء فوج آخر من السجناء يعتقد أنهم من حديقة ليوف Luov وهم يترنحون؛ حيث إنهم نجوا من الاختناق بغاز الكلوررين Chlorine أثناء ترحيلهم بينما لقى زملاؤهم حتفهم وبدت جثثهم خضراء اللون.

(٣) شهادة هيلد فيلينوم – فايس Hella Fellenbaum- Weiss

كتبت هيلد فيلينوم – فايس شهادة بعنوان: "من لوبلين إلى صوبيبور" قالت فيها: إن ترحيل السجناء فى لوبلن (ماجدانيك) بدأ عام ١٩٣٩ عندما كان فى الرابعة عشر من عمره، وفى البداية لم يرسل النازيون أحدًا من السجناء إلى غرف الغاز، ولكنهم أرسلوهم إلى قرية سيدلزيز Siediszeze، وتمكنت والدة هيلد من أن تأخذ معها بعض الملابس والمجوهرات والفضة التى باعوها؛ كى يتمكنوا من الاستمرار على قيد الحياة، وتضيف هيلد أنهم كانوا يعيشون فى كوخ ويكدحون فى العمل الشاق تنفيذًا لأوامر الألمان الذين وعدوهم كذبًا بالطعام والأجور نظير حفر قنوات الرى وحرث الأرض، ورحلت أمها إلى بلدة فلودافا Wlodawa التى تبعد أربعين كليو مترًا كما رحل الأطفال

إلى معسكر ستاف Staw الشبيه بالجحيم، وتعين عليهم العمل خارج البيوت حفاة ودون أن يلبسوا ما يقيهم من زمهرير البرد، ثم تم نقلهم إلى بلدة فلودافا فى نوفمبر ١٩٤٢ حيث داعبهم الأمل فى العثور على ذويهم، ولكن تم ترحيل فوج هائل في نوفمبر ١٩٤٢ من فولوفا إلى صوبيبور، وقدر لوالدى هيلد الانتقال إلى رحمة الله قبل ترحيل هذا الفوج.

رحلت هيلد مع زملائها السجناء إلى صوبيبور فى عربات جر، وكانت عربة الجر التى تقل هبلينا يرافقها حارس مدجج بالسلاح لمراقبة سجنائه. وكان الجنود الألمان الذين يحملون الرشاشات يسيرون بجانب السجناء وهم يمتطون صهوات جيادهم. وعند حدود الغابات قام شقيق هيلد الصغير بتوديعها الوداع الأخير، وقفز من عربة الجر، وأخذ يجرى ويتبعه أخوه الأكبر، ولكن الأخ الأصغر تعثر أثناء الجري وسقط على الأرض، فى حين تمكن أخوه الأكبر، من الهرب، ولكن هيلد بلغها نبأ وفاته فيما بعد ولا تستطيع هيلد أن تتذكر وقت وصولها إلى معسكر صوبيبور على وجه التحديد. وترامى إليها صوت رجل ألمانى، يسأل : "من منكن تعرف التطريز؟" فتقدمت هيلد خارجة من الطابور كما خرجت من الطابور فتاتان أخريان. فقام الألمانى باصطحابهن معه. وكلف النازيون هيلد بتطريز جوارب رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكرانى، ونظرًا لصغر سنها وقصر قامتها أمر النازيون ورشة النجارة بصنع كرسى مطبخ لتقف عليه حتى تبدو أطول من حقيقتها عندما يحضر رجال الوحدة الخاصة لزيارتها، كما بدا جلدها مسلوخًا.

وفى يوم آخر وصلت مجموعة من السجناء معسكر بلزيك؛ حيث أطلق عليهم الرصاص فور وصولهم. وقد عثروا فى جيوب بعضهم على ورقة مكتوب عليها بلغة اليديش : "كذبوا علينا عندما أخبرونا أننا فى الطريق إلى الالتحاق بالعمل، نناشدكم أن تثأروا لنا". وتسترسل هيلد قائلة: إن هذه الكلمات شحذت همتها وشجعتها بعد هربها من المعسكر على القتال ضد النازيين عندما انضمت إلى صفوف المقاومة فى بولندا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا.

وتؤكد هيلد فى شهادتها أن جميع السجناء فى صوبيبور كانوا يدركون أن شيئًا جللاً سوف يحدث، ولكنها تقول: إنها لم تلعب أى دور فى تنظيم الثورة المرتقبة أو فى تنفيذ مخططها. وقد أفضت هذه الثورة إلى قتل الكثيرين من أفراد الوحدة الخاصة ورغم وفاة الكثير من المشتركين فى اندلاع الثورة فقد استطاعت هيلد الهروب من الغابة؛ حيث قابلت اثنين من السجناء الفارين والهائمين على وجوههم. ووسط الأدغال وجد الفارون كوخًا مهجورًا فيه جوال من البطاطس، الأمر الذى اعتبروه كنزًا يهبط عليهم من السماء، وأثناء الليل أضرموا نارًا لطهيها. غير أنه لم يكن باستطاعتهم المكوث طويلاً فى هذا الكوخ، وذات صباح تراقت إلى أسماعهم أصوات ألمان يتحدثون، ورغم أنهم اقتحموا الكوخ وفتشوه فإنهم لم يكتشفوا المكان الذى اختبأ فيه الهاربون، فانصرفوا إلى حال سبيلهم، واستشعر الهاربون دنو الخطر منهم فهربوا من الكوخ رغم البرد وهطول المطر.

وأحيانًا كانت هيلد ورفاقها يدخلون القرى خلسة لسرقة البطاطس أو الأجولة القديمة والمستهلكة لاستخدامها كأغطية، وقابل هؤلاء الهاربون أقرانًا لهم من السجناء الروس الذين برعوا فى سرقة الطعام لهم جميعًا؛ بل إنهم استطاعوا فى أحد الأيام اصطياد خنزير، وتختم هيلد شهادتها بأنها التحقت بكتيبة بروكيوك **Prokopyuk** للمقاومة وأنها حصلت على نوط الشجاعة وعلى ميدالية النجمة الحمراء وعلى عدة توصيات تثنى عليها أولها فى ١٨ من أكتوبر ١٩٤٤والثانية قد حصلت عليها فى٢٠ من يناير.١٩٤٥، أما التوصية الأخيرة فقد حصلت عليها فى ٨ من مايو ١٩٤٥ .

وفى تشيكوسلوفاكيا قابلت الشاهدة اليهودية هيلد فيلينيوم – فايس شابًا يهوديًا منخرطًا فى جيش المقاومة تحت قيادة الجنرال سوبودا **Swobeda** فتزوجت منه ورحلت معه إلى إسرائيل وأنجبت منه ثلاث بنات.

(٤) شهادة إيدا ليختمان Eda Lichtman

سطرت إيدا ليختمان شهادتها بعنوان: "من ميليك Mielak إلى صوبيبور "جاء فيها أن القوات النازية احتلت منطقة ويليزكا Weiliczka فى ٥ من سبتمبر ١٩٣٩، وفى الأسبوع الأول من هذا الاحتلال قام الألمان بقتل القطط والكلاب، وفى ١١ من سبتمبر ١٩٣٩ قاموا بتطويق اليهود وإجبارهم على جمع القمامة من السوق وضرب المتباطئين منهم بالسونكى، وفى اليوم التالى تم القبض على اثني وثلاثين يهوديًا وشحنهم فى لوريات اتجهت بهم إلى الغابات، ثم تبعتهم سيارات مليئة بالضباط والجنود الألمان، تقول إيدا ليختمان: إنها جرت وراء شاحنات قافلة السجناء، ولكن هذه الشاحنات سرعان ما غابت عن الأنظار، غير أن إيدا ليختمان وأقرانها اقتنفوا أثر هذه الشاحنات والتقوا بالجنود العائدين، ونصحهم الفلاحون بعدم الاستمرار فى تعقب الشاحنات حتى لا يلقوا نفس مصير فى سبقوهم، وشاهدت إيدا ومن معها فى مكان مكشوف جثث الاثنى وثلاثين ضحية مسجاة على الأرض بالإضافة إلى جثث أربعة ضباط بولنديين واثنين من القساوسة ومدرس بإحدى المدارس العليا، ولم ينج من الموت فى هذه القافلة سوى غلام فى الرابعة عشرة من عمره. وتقول إيدا: إن اليهود حملوا جثث بنى جلدتهم وعادوا بها لدفنها فى جبانة القرية المخصصة لليهود، ولاحظت إيدا أن قتلتهم سطوا على ملابسهم وخواتم زواجهم.

وبالنظر إلى أن قوات الاحتلال النازى طردت اليهود من بيوتهم فقد أخطرت إيدا للرحيل مع زوجها إلى ميليك؛ حيث كلف بنو إسرائيل بأعمال السخرة، وانتهى الأمر بإعدام الكثيرين منهم، وأيضًا أرغم النازيون اليهود على لبس شارة نجمة داود ورأت إيدا بأم عينيها طيارا ألمانيًا هائجًا يحمل عصا يضرب بها كل يهودى يقابله فى طريقه، وتذكر إيدا أن النازيين حبسوا اليهود فى المعبد، ثم أضرموا النار فيه وأنهم طوقوه لمنع أى يهودى من الهرب منه.

وتضيف إيدا أن وضع ساكنى الجيتو من اليهود كان محزنًا للغاية ويدعو إلى الشفقة والرثاء، فقد وعدتهم السلطات النازية بعدم ترحيلهم إذا دفعوا لها فدية، فأحضر جميع اليهود ممتلكاتهم وجواهرهم، وملابسهم وكميات البن التى بحوزتهم،

وبعد انقضاء ليلة يسودها الهدوء استيقظ اليهود من النوم على صوت طلقات نار وعلى قيام فرقة بأكملها بتطويق الجيتو واقتحام الحرس الأوكرانى لمنازلهم وهم يصيحون فيهم، "اخرجوا جميعًا، وكان بعضهم لا يزال خالعًا ملابسه، فى حين جمع آخرون حقائبهم وأسرعوا بالخروج، وبعد تجميع اليهود فى السوق قام الأوكرانيون بقتل مرضاهم وكبار السن منهم على الفور، وأيضًا قام النازيون بترحيل ثمانمائة منهم إلى جهات غير معلومة، وكان السجناء يراقبون ما يحدث لليهود فيفزعون ويرسمون إشارة الصليب وهم يهمسون "اليوم كان الدور عليكم، وغدًا سوف يأتى الدور علينا" ولكن هذا لم يمنع بعض السجناء البولنديين من التعبير عن شماتتهم فى اليهود وزرايتهم بهم تقول إيدا: إنها رأت رضيعًا حديث الولادة يبكى فى أحضان أمه التى جف اللبن من ثدييها فجمعت بعض الثلج المتساقط على الأرض ووضعته فى بزازة أرضعت به طفلها بعد أن قامت بإذابته وتدفئته بين ثدييها. وتوقفت قافلة اليهود فى بلدة برديشوف Berdychow حيث تم اقتيادها وحبسها فى حظيرة للطائرات وأتوا بالخبز ووضعوه على المائدة، وأصدر الجنود أوامرهم لليهود بأكله، وما إن اقتربوا من الموائد ليأكلوا حتى بدأ الألمان يطلقون الرصاص عليهم وهم يتضاحكون. تقول إيدا: "وفى صبيحة اليوم التالى وقع الاختيار على مجموعة جديدة من السجناء اليهود، وأصدر إلينا النازيون أمرًا بعودة البعض منا إلى حظيرة الطائرات وبقاء البعض الآخر فى الخارج، وكانت هذه الأوامر تصاحبها ضربات السياط وفرقعات المسدسات، ولم يتحمل بوهوريليس Pohoryels قاضى بلدة ميليك هذا المنظر فانتهر الجنود باللغة الألمانية وانتزع السوط من يد أحد الألمان ولكنهم سرعان ما طرحوه أرضًا وأجهزوا عليه وعلى زوجته وولده".

وتضيف إيدا أن السجناء اليهود اضطروا إلى البقاء فى برديتشوف لدفن موتاهم ثم اقتيدوا إلى محطة السكة الحديد وأجبروا على خلع ملابسهم والرقاد فى عربات القطارات الفارغة.

وأيضًا أرغم رجال الوحدة الخاصة الفتيات اليهوديات الشابات على خلع ملابسهن وهن يذبن خجلاً ويستشطن غضبا وعلى الرقص أمامهم.... ثم توافدت قوافل كثيرة بعضها من بيالا – بودلاسكا Boadal - Podlaska وبعضها الآخر من ميدزيرزيك Miedzyrzec أو من دوبنيكا Dubienka على نهر البوج Bug وتقول إيدا: إن زوجها توفي أثناء ترحيلها.

وفى دوبينكا قام النازيون بحبس اليهود فى المعابد. ورقت قلوب الجالية اليهودية فى دوبينكا لهم، فأعطتهم طعامًا يقيمون به أودهم وقشًا ينامون عليه، وبعد مضى أيام ألحقهم النازيون بالخدمة فى منازلهم، ثم اقتادوا مجموعة من اليهوديات، يتدثرن بشال الصلاة صوب التل وأمروهن بالدوس والرقص على كتبهن المقدسة، ولم تبق واحدة منهن على قيد الحياة، وحضر إلى الجيتو بعض الضباط من أصحاب الرتب العالية بصحبة بعض الحراس الأوكرانيين المتطوعين بهدف النهب والسلب، وكانوا عقب هذه الإغارات يخلفون وراءهم عددًا من القتلى والجرحى، وتذكر إيدا أن ضابطًا بوحدة البوليس الخاصة ألقى قنبلة على بعض العائلات اليهودية المتجمعة فقتلت بعض الأطفال.

وتلقت القافلة التى تضم إيدا أمرًا بالرحيل إلى معسكر هروبيسزوف Hubrieszow الذى أحاطت به الأسلاك الشائكة وحراس أبراج المراقبة المدججين بالسلاح، وفى الفجر قام الحراس بترحيل هذا الفوج فى قطار لنقل المواشى، وقال النازيون الكاذبون لهم: إنهم سوف يرحلون إلى أوكرانيا، وتعمد النازيون أن يتركوا أبواب القطار مفتوحة حتى يتسلل إليها الحرس الأوكرانى المعروف بساديته ووحشيته، فلم يتورع الأوكرانيون عن قطع أصابع الضحايا لانتزاع الخواتم منها، وأخيرًا توقف القطار الذى أقلهم فى معسكر اعتقال صوبيبور.

وفى هذا المعسكر كان الضباط والجنود المدججون برشاشاتهم فى انتظارهم وكان أحدهم يمسك فى يده بطوق كلب ضخم، وسأل أحد الضباط إيدا عن مهنتها فأجابت بأنها تعمل مدرسة حضانة، فقهقه النازيون ضاحكين وقالوا لها : "سوف تعملين غسالة هنا.. وكذلك اختار النازيون شابتين أخريين للقيام بالمهمة نفسها هما بيلاسوبول Bell

Sobol وسـيركـاكـاتز Serakatz من دونيكا، ثم زجـوا بثـلاثتـهم فى ثكنة صـغيـرة فى المعسكر تقول إيدا: إنها وجدت بعض الملابس ملقاة فى الثكنة، الأمر الذى يدل على أن أناسًا آخرين عاشوا فيها - وأن من بين السبعة آلاف سجين وسجينة الذين غادروا بلدة هروبيسزوف وذهبوا إلى معسكر صوبيبور لم يبق منهم سوى ثلاث نساء على قيد الحياة، وتضيف إيدا أنها الوحيدة بين الثلاثة التى قدر لها الاستمرار فى الحياة".

تذكر إيدا أنه عند وصول الفوج الذى يضمها إلى معسكر صوبيبور قام سجينان فى هذا المعسكر بحمل الملابس والمفروشات القذرة إليها بعد تعقيمها لغسلها فى خلال يومين، وفى الليل سمعت إيدا صرخات نسائية أطلقتها فتيات صغيرات تعرضن للاغتصاب قبل قتلهن بالغازات السامة، وأثناء وجودها فى الثكنة ترامت إليها أصوات سجناء يتوسلون من أجل إعطائهم جرعة ماء، ومن وقت إلى آخر كان النازيون يسمحون لبعض السجناء بالذهاب إلى بئر ماء يقوم الجندى ميشيل بحراسته، وبسنكى بندقيته دفع ميشيل الضحية البائسة إلى المراحيض وهو يصيح فيه قائلاً :

"قم بجمع برازك بيديك العاريتين" ثم سلمه إلى الحارس مالينوسكى Malinowski الذى أرداه قتيلاً، وكان هناك غلام سجين مليح الوجه يدعى سزيمون Szymon لم يتحمل قسوة العمل فى جر العربات الصغيرة لنقل الرمل، فوقع على الأرض مغشيًا عليه، والجدير بالذكر أن هذا الغلام اشترك فى الثورة ضد النازيين فى معسكر صوبيبور، ولكنه توفي أثناء الهرب، وفى أحد الأيام عن للشاهدة إيدا أن تغافل الحارس وتحمل جردلاً مليئًا بالماء إلى بعض زملائها من السجناء الجدد، وفجأة ظهر لها الحارس واسمه فرتيز ريوالد Fritz Rewald متوعدًا ومهددًا بالويل والثبور. فقد كان محظورًا على أى سجين أو سجينة الاقتراب من السجناء الجدد، وأيضًا وقعت أنظار ليدا على سجينتين تحملان امرأة تضع مولودًا على نقالة. ولم تمض بضعة دقائق حتى كانت المرأة قد وضعت طفلها. وكان فاجنر رجل الوحدة الخاصة حاضرًا فأمر الحارس الأوكرانى بإلقاء الرضيع فى المراحيض، واقتيدت الأم إلى المعسكر رقم (٣) وبعد بضعة أيام شوهدت جثة الرضيع طافية على سطح الحفرة وسط البراز.

ثم جاءت قافلة أخرى فى فيينا تضم ثلاث مغنيات جميلات وقع عليهن اختيار وحدة البوليس الخاصة لإحياء حفلة غنائية استمرت حتى نال الإنهاك بالمستمعين الألمان كل مبلغ، ثم قام النازيون بتنفيذ حكم الإعدام فيهن، وكذلك جاء من برلين فوج آخر يضم ثلاث مراهقات أصبحت أحداهن واسمها روث محظية لبول جروث Poul Groth، ورغم ذلك فقد انتهى الأمر بقتل ثلاثتهم.

وعلى أية حال كان السجناء الأوربيون أجمل هندامًا وأقل جوعًا من يهود بولندا، وقام النازيون بإلحاق الكثير من السجناء الأوربيين بمعسكرات العمل فى كل من لوبلين وساونين Sawnin وكريتشوف Krychow وأوسوفا Ossowa، وبعد استنفاد طاقتهم فى العمل المضنى والشاق تم إرسالهم إلى غرف الغاز.

عاش حراس معسكر صوبيبور وهم كارل فرنزل Karl Frenzel وجوستاف فاجنر وبول جروث وهيوبرت جومرسكى Hubert Gomerski وفى فيلا تحمل اسم عش العصافير، فى حين أطلق كارل مولر Karl Muller وريختر Richtter وجون كليهر John Klieher ونوفاك Nowak والإخوان وولف وبوشر Boscher وجريشتوتز شويت Greis-chutz وفالانستر Falanster وأونفرهو Unverhau وإريخ بوور Erich Bauer اسم البرغوث السعيد على الفيلا التى يقطنونها.

وكان لكل ضابط نازى أسلوبه الخاص فى القتل، فقد كانت هواية الضابط بريدوف Bredow تتمثل فى البحث عن الفتيات الصغيرات اللائى وجد متعة سادية فى ضربهن بالسياط، وفى حين استهوى الضابط جومرسكى قتل سجنائه بهراوة تحتوى على مسامير، أما الضابطان جروت وبولندر Bolender فكان يحلو لهما استخدام الكلاب البوليسية التى تفترس ضحيتها ولا تتركه إلا بعد أن تكون قد مزقته إربًا إربًا. أما القومندان معسكر صوبيبور فكان يحلو أن يلبس عباءته وقفازيه البيض وهو يموه على السجناء واصفًا السعادة التى تنتظرهم فى أوكرانيا، وإمعانًا فى كذبه وتمويهه كان يقول لهم: إن ظروف الحياة ونوعية الطعام هناك أفضل بكثير من الطعام الذى يقدم إليهم فى صوبيبور، كما ستصرف للعمال المهرة شهادات بأنهم يتقنون أعمالهم.

وأيضًا كان من عادة إريخ بوور رئيس المعسكر رقم (٣) الإشراف على تنفيذ عمليات الإعدام ويحلو له مشاهدتها من نافذة أعلى غرف الغاز. ورغم أن هذا الرجل كان لا يفيق من الخمر، فإن مدفعه الرشاش لم يفارقه قط، وتذكر لنا إيدا زيارته للمغسلة فى أحد أيام السبوت، فلما وجد إمرأة تعمل رغم يهوديتها فى هذا اليوم المقدس عبر عن دهشته وعلق بقوله : "لا بد أنكم شيوعيون لأنكم تعملون فى أيام السبوت." فتجرأ سجين من سوكازيو Sechaczew ورد عليه بقوله: إنها يهودية توفى بعدم العمل يوم السبت ولكنها مكرهة على ذلك، وعندما التفت بوور إلى المرأة اليهودية سابا ساكر Saba Salz ليقول لها : "وأنت أيضًا تعملين يوم السبت" رد هذا السجين نيابة عنها بقوله : "نساؤنا لا يصلين ولكنهن يوقدن شموع السبوت عشية أيام الجمع". وسأل النازى بوور المرأة إذا كانت توقد الشموع فى معسكر صوبيبور فأجابته قائلة: إنها كانت تفعل هذا فى منزلها، وعندئذ قال بوور: "إننى أكره اليهود المتدينين لأنهم جميعًا قانورات".

تقول إيدا: إنها رأت فى غرفة بوور صورة فوتوغرافية له ولعائلته مع هتلر، وأنه كان يحتفظ فى حجرته ببار خاص، وفى أحد الأيام كسر زجاجة فطلب من سجين يدعى بيريك براند Berek Brand تنظيف أرضية الغرفة بلسانه، فجرحت قطع الزجاج وجهه الذى سال دمًا.

وفى يوم من الأيام أمر بول جروت أربعة من السجناء بحمله وهو جالس على كرسى فوتيل فى أرجاء المعسكر، وكان يتسلى بإلقاء بعض قطع الورق المحترقة على ضحاياه.

وكلف النازيون السجين شول ستاك Shoul Stack بتربية الإوز واقتضى منه عمله وزنهم كل يوم. وكانت مصيبته سوداء إذا نقصت إوزة أو اعتراها المرض فقد أوسعه فرنزل وبريدوف وفاجنر وفايس ضربًا حتى تركوه جثة هامدة و كانت كلماته الأخيرة قبل أن يسلم الروح: "انتقموا لى يا رفاقى.. انتقموا لى" :

واستبد الجوع بالسجناء، الأمر الذى دفع بعضهم إلى السرقة، وأمسك فرنزل صبيًا فى الثالثة عشرة أثناء قيامه بسرقة علبة ساردين، فأمر جميع السجناء بتشكيل

حلقة تحيط بالصبى فى كل جانب، ثم قام بقتله وهو يقول له : هذا هو مصير اللصوص".

واختار النازيون بعض الرسامين لطلاء غرفهم وتزيينها. وكانت المناظر الطبيعية أثيرة إلى قلوبهم يكلفون السجناء برسمها لإرسالها إلى عائلاتهم فضلاً عن تكليف السجناء بأداء تمرينات رياضية عنيفة فى الجرى والقفز والتسلق تحت ضربات العصى والسياط، وكان هذا يحدث للسجناء مرة كل يوم، وبعد محاولة البعض الهرب أصبح الضرب ينهال على السجناء فى الصباح والمساء.

وتقول إيدا: إن الضابط كارل مويلر Karl Mueller تمتع بذوق بديع وحرص على لبس ملابسه مغسولة ومكوية كل صباح، وكانت الشاهدة برفقة زميلتيها إستر جرونبرج Esther Gruenbarg وسابا سالز يقدمن له الملابس النظيفة فيبادر بتكرار نفس قوله : "ما أكثر الحيوانات وحشية فى هذا العالم ؟ ألا تعرفن؟ إنه الإنسان".

وفى إحدى الأمسيات أعد أوتو فايس الضابط بوحدة البوليس الخاصة تابوتًا أرغم أحد السجناء على الرقاد فيه ليبدأ فايس وبعض زملائه النازيين فى الغناء : "أنا يهودى ولى أنف طويل". فيهب السجين الراقد فى التابوت واقفًا لتأدية التحية العسكرية ثم يردد الأغنية. ويسترسل فايس فى غنائه قائلاً : "إلهى استمع إلى أغنيتنا وأجهز على بنى إسرائيل حتى تنعم الشعوب بالسلام"، وتَعَيَّن على السجناء اليهود أن يردوا قائلين : "آمين آمين".

وذات مرة عن للضابط فاجنر أن يأمر نجارًا سجينًا أسمر اللون بالغناء التالى : "حياتنا سعيدة هنا ونحن نتلقى طعامًا شهيًا، كم نحن سعداء فى الغابة الخضراء التى تظللنا. وراقت هذه الأغنية لفاجنر كثيرًا لدرجة أنه أجبر بقية السجناء على التغنى بها كل مساء، تقول الشاهدة إيدا عن هذا النجار الأسمر الذى فقد زوجته وطفليه: إنه صار صديقًا حميمًا لها، وتخبرنا إيدا أيضًا أنها فى عشية يوم ١٣ من أكتوبر ١٩٤٣ اشتركت مع هذا النجار للتجهيز للثورة وأنه أثناء إعدادهما لهذه الثورة قال لها: "دعنا

نقسم على أننا سوف نقاتل لتحقيق الحرية لصغارنا" ثم جثيا معًا على الأرض وقاما بتقبيلها وهما يهتزان بالعواطف الجياشة.

وكان هذا النجار الأسمر ضمن مجموعة مكلفة بالهجوم على مستودع للأسلحة، ولكنه لقى حتفه أثناء توزيعه السلاح على زملائه الثوار، فقد نجح حارس فى اغتياله فى اليوم نفسه وهذا النجار مناضل فى كاليز Kalisz يدعى شول فيشهاكر Shoul Fleishhacker تميز بالإقدام والشجاعة، فقد رفض الامتثال لأمر فاجنر بضرب غلام سجين خمسة وعشرين جلدة؛ عقابًا له على سرقة قطعة من الزبد، الأمر الذى أثار ثائرة فاجنر عليه وأمر بتوقيع خمسة وعشرين جلدة عليه، وكان لهذا الرجل الشجاع زوجة وثلاثة أبناء تركهم وراءه فى بلدته كاليز، وكان الأمل يحدوه أن يعود إليهم فى يوم من الأيام.

تقول الشاهدة إيدا: إن الاضطراب بدا واضحًا على وجوه الحرس فى شتاء عام ١٩٤٣؛ بسبب عزم هملر على زيارة معسكر صوبيبور، وعلى جناح السرعة تم بناء مطار خاص فى مواجهة المستودع، وفى يوم الزيارة تم حبس جميع السجناء فى ثكناتهم، وقام قومندان المعسكر والضباط باستقبال هملر وهيئة أركانه، وبعد أن جابوا المعسكرين رقم (١) و (٢) وصل الزوار إلى المعسكر رقم (٣) حيث حضروا تنفيذ حكم الإعدام فى بعض الشبان، وفى اليوم نفسه أقيمت وليمة حافلة على شرف الزائر العظيم، وطلب النازيون من إيدا تزيين الموائد بالزهور والورود، مما أثلج صدر هملر وجعله يمنح منفذى الإعدامات نياشين وأوسمة جديدة.

وبالنظر إلى زيادة محاولات هروب السجناء فى صوبيبور تم تدعيم هذا المعسكر بعدد إضافى من الجنود وزرع الألغام حول المعسكر وكهربة الأسلاك الشائكة المحيطة، وقد تم هذا بإشراف جوستاف فاجنر.

عوقبت فتاة اسمها ريفكا Rywka فى الثالثة عشرة من عمرها وتلقت خمسة وعشرين جلدة؛ لأن النعاس غلبها وهى تحفر إحدى الحفر، ثم حضر فريق نازى يرافق

أحد الأفواج، فدعاهم فاجنر ونيتمان وشوارتز لتناول الغداء فى قاعة الطعام ليشرحوا طريقة عمل السجناء، وزيادة فى الحفاوة بالزوار لم ينسوا أن يقدموا إليهم جانبًا مما سرقوه من السجناء يتمثل فى بعض الروائح والعطور والأحجار الكريمة.

كانت مخازن معسكر صوبيبور عامرة بشتى البضائع من ملابس وفراء وأدوات طبية وأحذية، وكانت هناك حجرة مخصصة لحفظ الذهب والجواهر والعملات الذهبية والغوايش والبروشات التى كلف سجين بفرزها وتصنيفها وهو عريان تحت إشراف رجل بوحدة البوليس الخاصة اسمه ستوبل Steubel، وكان جواهرجى ألمانى يحضر إلى المعسكر بانتظام لحصر وتسجيل هذه الغنائم قبل إرسالها إلى برلين.

وقبل إحاطة المعسكر بحقول الألغام استطاع سجينان حفر الأرض تحت الأسلاك الشائكة وتمكنا من الهرب، وفى اليوم التالى وقع النازيون عقابًا جماعيًا على السجناء، فقد أخذوا سجينًا واحدًا من كل عشرة سجناء لضربه خمسة وعشرين جلدة، وتعين على السجين أن يعد بصوت عال عدد الجلدات التى يتلقاها فإذا أخطأ فى عدها بدأ ضربه من جديد، فلا غرو إذا رأينا بعض السجناء يتلقون عن طريق الخطأ فى العد نحو مائة ضربة. وفى النهاية اقتيد هؤلاء الضحايا إلى المعسكر رقم (٣) لتنفيذ حكم الإعدام فيهم.

وتذكر إيدا فى شهادتها أن غلامًا سجينًا فى الثالثة عشر من عمره يدعى ماكس كلف بالعناية باصطبل جيد التجهيز وذات يوم رأى المشرف عليه أن ماكس تقاعس فى عمله فأخذ يضربه ضربًا مبرحًا. وساعده فى ممارسة هذه القسوة زملاؤه بيكر Becker ونوفاك Nowak وجروت وكلات Klat فوقع الصبى ماكس مغشيًا عليه وانتابته حالة عصبية جعلته يرتعش ويهتز رعبًا كلما وقع بصره على ألمانى، كما جعلت نوبات الصراخ تعتريه كل ليلة، وضاق النازيون ذرعًا به وبصراخه فقتلوه.

ولاحظ النازى كارل فرنزل أن صبيًا سجينًا فى الثالثة عشر أيضًا يدعى ليبل فليشر Leibl Fleischer يتلعثم أثناء الكلام فكان فرنزل يستمتع بسماع تهتهته ويكافئه عليها ببيضة مسلوقة وساندويتش وقدر لهذا الصبى المعاق أن يموت أيام الثورة.

وتضيف إيدا أن بريك ليختمان الذى جاء إلى صوبيبور برفقة جميع أفراد عائلته كان الوحيد بين أفراد أسرته الذى نجا بجلده من الموت فى هذا المعسكر، ورغم حداثة

سنه فقد كان متزنًا فى جميع تصرفاته، كان هذا الغلام يعمل فى البداية فى مغسلة المعسكر، ثم انتقل للعمل فى المطبخ، ثم فى ورشة صنع الأحذية، والجدير بالذكر أن السجين ديريك ليختمان احتفظ بهدوئه وهو يرى مقتل فلاستر العامل بوحدة البوليس الخاصة أثناء أحداث التمرد؛ بل إنه ساعد فى إخفاء جثته وتنظيف ما عليها من آثار الدم، ولقى هذا الصبى مصرعه أثناء الثورة وهو يطلق الرصاص على الحراس؛ كى يتمكن السجناء من الهرب فى المعسكر، وتختم إيدا شهادتها بقولها: إن كثيرًا من السجناء أصيبوا بالتيفوس، ولكنهم حاولوا الذهاب إلى أعمالهم حتى لا يتعرضون للقتل: لأن النازيين لم يتورعوا عن إبادة السجناء المرضى، وقد عثر أحد السجناء واسمه سيمون رابنيويز Siomon Rabinowicz على موقد كيروسين صغير، فقام بطهى بعض الأرز عليه؛ كى يطعم المرضى. وفى إحدى المرات أمسكوه وهو يحمل الطعام إلى مريض فأوسعه النازى أوتوفايس ضربًا، ولكنه استمر فى أداء عمله رغم الضرب، وفى يوم آخر دخل فرنزل الثكنة ليجد سيمون يطهو الطعام، فاضطر المسكين إلى إخفاء طاسة الطهى الساخنة تحت قدمه الأمر الذى أصابه حروق شديدة، وقد لعب هذا الرجل دورًا نشيطًا فى الثورة وأردى قتيلاً أثناء محاولته الهرب.

وفى يوم من الأيام أحضر حارس أوكرانى اسمه كوزيفادسكى Koszewadski الزى الأبيض الذى يلبسه رئيسه لاخمان Lachmann آمرًا إياه بتنظيفه وتجهيزه فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى، ولكن إيدا تدخلت وتجرأت بالرد عليه بقولها: إن البزة لن تكون جاهزة فى الوقت المطلوب، فاستشاط الأوكرانى غضبًا من وقاحتها وأخذ يضربها، ولكن سجينًا آخر اسمه إيتزهاك Itzhak أمسك بيده ليمنعه وانتهره قائلاً: "ألا تخجل من ضرب امرأة تجهد نفسها فى العمل؟". ويبدو أن هذا التقريع جعل كوزيفادسكى يشعر بالخجل من نفسه، فقد توقف عن ضرب أية امرأة بعد ذلك.

وكان هناك فى المعسكر رقم (١) مستوصف يراه المرء من محطة السكة الحديد، وكان هذا المستوصف مخصصًا لعلاج الألمان، وكان الدكتور بريسلر Bsessler القادم

من بلوك Plock ومساعداه كيرت Kurt وبيرثا Bertha المرحلان من تشيكوسلوفاكيا مسئولين عن قسم الأسنان، والجدير بالذكر أنهم فى معظم الأحيان عرضوا حياتهم للخطر من أجل تهريب الأدوية لزملائهم السجناء وتوفير العلاج لهم.

ومن نافذة المغسلة رأت الشاهدة إيدا مجموعة من السجناء يقتادون إلى المعسكر رقم (٣) وإلى غرف الغاز والمحرقة، وسار خلف هذه المجموعة صبى صغير اقترب منه كلب دون أن يعضه أو يؤذيه. ولم يعجب هذا الحارس فأمسك بيد الطفل وألحقه بقافلة الموت.

وفى موسم الشتاء كان السجناء يحملون الأطفال الذين تجمدوا من الموت، فقام فاجنر والسيجارة فى فمه بوضع جثث الأطفال فى أكوم وبين الحين والآخر ندت عن هذه الأكوام أصوات تدل على وجود بعض الأطفال الأحياء فيها.

(١) شهادة أبراهام مارجوليز Abraham Margulies من وارسو إلى صوبيبور

يقول لنا هذا الشاهد: إنه ولد فى زيراردوف Zyrardow عام ١٩٢١ وإنه كان يعيش فى وارسو عند نشوب الحرب العالمية الثانية، والتجأت أمه ومعها طفلها إلى مدينة صغيرة تدعى زاموسك ظنا منها أنها ملاذ آمن، غير أنه ألقى القبض على الأم وابنيها، وتم إرسال الأخوين إلى معسكر عمل فى جانويس Janowice وفى مايو عام ١٩٤١ حاول أبراهام وأخوه الاختباء، ولكن البعض وشى بهما، فتم إرسالهما إلى محطة القطار؛ حيث كان ثلاثة آلاف شخص من كل من زاموسك وإزبيكا IZbica ينتظرون على الرصيف، وظل المرحلون يسألون عن جهة ترحيلهم. وسرعان ما أدركوا أنهم لا يتوجهون صوب معسكر الموت فى بلزيك، وأنهم يتجهون نحو الشرق وأن رحلتهم بالقطار لم تستغرق طويلاً، كما أنهم رأوا اثنين من العاملين بوحدة البوليس الخاصة وهما جوستاف فاجنر Gustau Wagner وهيوبرت جورسكى Hubert Gomerski على الرصيف فى انتظار وصولهم للقيام بفرز الرجال على اليسار والنساء والأطفال على اليمين، وبعدئذ وقع اختيار فاجنر على نحو خمسين رجلاً من بينهم الشاهد أبراهام مارجولين، وبعض مضى ساعة حضر حارس أوكرانى ليقدم إليهم

الخبز والزبدة والمربى، وسأل أبراهام مارجوليز الحارس عن مكان النساء والأطفال فطمأنه بقوله: إنهم فى طريقهم إلى مكان يلقون فيه رعاية واهتماماً أفضل مما يلقاه الرجال.

وأصدر النازيون أمراً إلى هذا الشاهد وإلى مجموعة تتكون من عشرين سجيناً لتنظيف عربات القطار التى احتوى كل قطار منها على ثلاثين عربة أو ما يزيد تحت إشراف النازى بول جروث، الذى يمسك سوطاً فى يد وبندقيته فى اليد الأخرى، وكانت مجموعة الشاهد أبراهام تضم صبية صغاراً فى نحو الرابعة عشر أو الخامسة عشر من العمر، وإذا شكا واحد منهم من الإرهاق أو التعب نصحه المشرف أن يذهب إلى المستشفى، وهى نصيحة معناها إطلاق رصاصة على رأسه.

وفى الأسبوع الأول لم يستطع هذا الشاهد أن يتحمل وفاة ثلاثة آلاف سجين مرحل، وظل معسكر صوبيبور يعمل دون توقف من شهر مايو حتى شهر أغسطس ١٩٤٢، وفى تلك الفترة كانت ثلاثة أو أربعة قطارات تصل إلى صوبيبور يوميًا، وإذا تلكأ أحد المرحلين فى العمل أطلق رجل وحدة البوليس الخاصة الكلب البوليس بارى Barry عليه؛ كى ينهش جسده ويمزقه إربًا، وأيضًا وصلت إلى صوبيبور قوافل ليلية.

وفى أحد الأيام وصلت قافلة من المعاقين ذهنيًا، فأرغمهم النازيون على القيام بتدريبات بدنية عنيفة قبل إرسالهم إلى غرف الغاز، وفى يوم آخر عندما وصلت مجموعة من السجناء فى بيالا بودلاسكا Biala Podlaska اختار رجال وحدة البوليس الخاصة خمسين شخصًا من بينهم، وطلبوا منهم أن يلبسوا قبعاتهم، فى حين بقى السجناء القادمون الجدد عراة الرؤوس، وكان الشاهد واحد منهم، وطلب رجال الوحدة الخاصة منهم الجرى وضربوهم أثناءه، وفى اليوم نفسه قام رجال الوحدة الخاصة بشنق رجل عجوز على شجرة بالقرب من الرصيف؛ لأنه رفض أكل المربى المخلوطة بالرمل، وذات يوم وصل فوج من معسكر جانوفسكى Janowski بالقرب من ليوف Luov مات منهم كثيرون وتحللت أجسادهم فقام رجال الوحدة الخاصة بصرف لفافات التبغ لهم لإخفاء العفن المنبعث من الأجساد المتحللة.

كانت مدينة تشيلم على بعد ثمانية كيلو مترات فى صوبيبور ومن أقرب محطة سكة حديد لها، وذات مرة كلف السجناء بتنظيف العربات، فوجدوا فيها جثثًا ميتة لعدد من زملائهم الذين حاولوا الهرب، وكان رجال الوحدة الخاصة يقومون بجر السجناء

المرحلين الذين يبدون أية مقاومة ويلقون بهم فى غرف الغاز دون أن ينزعوا عنهم ملابسهم، يقول الشاهد أبراهام: إنه رأى امرأة تحتضن رضيعًا يبتسم فسالت دموعه عندما تذكر أن مصيره هو الموت فى المحرقة.

كانت هناك فى صوبيبور ثلاثة مطابخ خصص أحدها للعاملين بوحدة البوليس الخاصة، وكان هذا المطبخ تحت إشراف فاجنر الذى تلذذ بضرب الفتيات الصغيرات، فى حين كان المطبخ الثانى مخصصًا للحراس الأوكرانيين برئاسة كروبكا Krupka الذى يبغض الألمان وينقل فى كثير من الأحيان أخبارهم على جبهة القتال، ووعد كروبكا بالاتصال بالمقاومة فقاموا بإعطائه بعض الذهب لتسليمه إليهم، ولكن كروبكا فاجأ الجميع باختفائه من المعسكر، وكان هرشل زوكرمان Hershel Zuckernan القادم من كيروف Jurow مسئولاً فى المطبخ المخصص لليهود، ويذكر أبراهام فى شهادته أنه حاول تهريب بعض الطعام إلى النساء العاملات فى المغسلة فألقى فرنزل Frenzel القبض عليه وأعاده إلى العمل فى تنظيف قطارات البضائع.

وأشرف على المخبز ألمانى عجوز يحترم آدمية الإنسان اسمه كليهر Klieher، وأيضًا كانت هناك حظيرة خنازير واسعة فى المعسكر استفاد رجال الوحدة الخاصة وعائلاتهم من لحمها، إلى جانب زراعة الفواكه والخضراوات فى أرض المعسكر بإشراف شايا Shaya القادم من تشيلم وأبراهام القادم من إزيبكا Izbica وهليكافيس Helka Wiss.

وبطبيعة الحال كان الاقتراب من معسكر صوبيبور محظورًا، يقول أبراهام: إنه أثناء عمله فى الغابة لاحظ وجود سجين نصف عار ينتحب وهو يقول : "لقد أحرقوا والدى".

وجاء هملر وهيئة أركانه لزيارة معسكر صوبيبور فى نهاية فبراير ١٩٤٣ وتم إعدام مائتى فتاة بالغاز السام فى حضرته. ويذكر الشاهد أبراهام أن الثوار حددوا يوم ١٣ من أكتوبر ١٩٤٣ لقيامهم بالثورة، ولكن الموعد تأجل ليوم؛ بسبب زيارة غير

متوقعة من جانب أصدقاء رجال الوحدة الخاصة للمعسكر، وطبقًا للخطة كان من المزمع قيام خمسة عشر سجينًا بالهجوم على ثكنات الحراس الأوكرانيين وقيام خمسة عشر متمردًا آخر بالهجوم على مستودع الذخيرة، ويقدر الشاهد عدد الثوار بسبعمائة سجين فى صوبيبور بينهم ثمانون امرأة وبعض الأطفال، ويضيف الشاهد أن المقاومة أرسلته مع متمرد آخر اسمه بيسكوبيز Biskubiez لأداء مهمة عند البوابة يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ فرأى نييمان Niemann يمتطى جواده متجهًا نحو محال الترزية، ورأى الثوار وهم يقلتونه بفأس، وأيضًا كان رجل الوحدة الخاصة بيكمان Beckmann جالسًا إلى مكتبه عندما اقتحم الثوارة غرفته، وعندما حاول أن يدافع عن نفسه بسكين لفتح الأوراق قام الثوار بطعنه.

ولكن الثوار فشلوا فى خطتهم فى اقتحام ثكنات الأوكرانيين وقد وصل بوور قائد المعسكر رقم (٣) فى وقت باكر عن الوقت المتوقع لوصوله وجلس فى شاحنة عامرة بالمشروبات، واستدعى فرنزل أربعة سجناء لمساعدته فى تفريغ المشروبات، وفجأة ظهرت مجموعة من السجناء عند مدخل المعسكر؛ حيث كانت الأرض غير مزروعة بالألغام، وبدأ الحارس الأوكرانى فى إطلاق الرصاص، فجرى الشاهد أبراهام صوب الأسلاك الشائكة وتمكن بمساعدة هيلكا فايس Helka Wiess من قطعها بزردية وسمع الشاهد صوت تفجير الألغام، كما رأى جنديًا روسيًا يحمل بندقية يساعدهم على الهروب إلى الغابة المجاورة، وفى الفجر أثناء اختبائه سمع الشاهد صوت فرنزل وهو يتحدث إلى فلاح قائلاً له : "سوف نستعيدهم جميعًا فهناك فرقة مزودة بالدبابات تتعقبهم" ورصدت مكافأة قدرها أربعمائة زيلوطة تعطى كل من يقتل سجينًا هاربًا، ويذهب أبراهام فى ختام شهادته إلى أن هؤلاء الفلاحين لم يغدروا بهم.

ويجدر بالذكر أن المحكمة أصدرت حكمًا ببراءة فرنزل رجل الوحدة الخاصة بناء على شهادتى اثنين من السجناء الناجين من الموت فى معسكر صوبيبور هما إستر راب Esther Raab وليرنر Lerner.

(٦) شهادة سيمحا بيالوفيتز Simha Biolowitz

كتب سيمحا بيالوفيتز فى خريف عام ١٩٤٢ شهادة بعنوان: "من إزيبكا إلى صوبيبور"، جاء فيها أنه كان فى خريف عام ١٩٤٢ يعمل ممرضًا فى مستشفى تحت إشراف الدكتور هيرمان ستراوس Hermann strauss وفى أحد الأيام أصدرت وحدة البوليس الخاصة الأمر التالى : "على جميع العاملين التوجه إلى محطة السكة الحديد". وهناك شوهد إنجيل Engel الواقف بجوار مستر بلات Blatt رئيس المجلس اليهودى وهو يعمل تقتيلاً فى السجناء دون أى سبب على الإطلاق، وكانت جثث الموتى تتناثر على بسطة السلم، وهكذا تم القضاء على جميع السجناء المرضى قبل أن يغادر سيمحا بيالوفيتز المحطة، وأصاب سيمحا الرعب لهول ما شاهد فجرى كالملتاث نحو الغابة باحثًا عن مناضلين منخرطين فى أعمال المقاومة، ولكنه لم يعثر على أحد منهم، وعندما بدأت الثلوج فى التساقط كانت مجموعة من الناس يقدر عددها بثلاثمائة شخص قد تجمعت مكونة جيتو جديد فى بلدة إزيبكا، واضطر سيمحا إلى العودة إلى هذه البلدة؛ لأنه كان يستحيل عليه قضاء فصل الشتاء فى الغابة، وفى إزيبكا وجد سيمحا والديه يختبئان فى مصنع قديم.

وفى فجر يوم ٢٨ من أبريل ١٩٤٣ استيقظ سيمحا ورفاقه على صوت طلقات الرصاص فحاول الهرب، ولكن البوليس تمكن من القبض عليه وتفتيشه واقتياده برفقة مائتى شخص إلى معسكر تراونيكى Trawniki بالقرب من لوبلين (مادجانيك) غير أن هذا المعسكر رفض استقباله فواصلت الشاحنة مسيرتها حتى وصلت إلى معسكر صوبيبور ويسترسل سيمحا قائلاً: إن النازيين ألقوا القبض على أخيه فيشيل Fishel البالغ من العمر ثلاثة عشر عامًا وعلى أختيه فى نفس يوم القبض عليه، وعندما هبط سيمحا ورفاقه من الشاحنة صرخ فيهم جوستاف فاجنر "يتقدم إلى الأمام الأطباء العموميون وأطباء الأسنان والصيادلة والسباكون " ووقع اختيار رجال الوحدة الخاصة على خمسة أو ستة من المتقدمين، ثم أجهزوا على الباقين فى المكان نفسه، وفيما بعد علم أحد السجناء أن أختى سيمحا كانتا ضمن الضحايا، وقام النازيون بتجريد

سيمحا من كل شيء ولكنه كان سعيداً بوجود أخيه معه، وتم إلحاق سيمحا بالعمل فى الغابة فى حين ألحقوا أخاه بالعمل فى مستودع الملابس.

واشتمل معسكر فلد Wald على ثلاثين سجيناً يشرف عليهم عاملان بوحدة البوليس الخاصة هما مويلر Mualler وجريمر Grimmer العاملين فى الغابة بقولهم : "اشتغلوا وإلا أطلقنا الرصاص على رءوسكم" وبالفعل نفذوا وعيدهم وقاموا بقتل الكثيرين، ولم يكتفوا بهذا، بل أجبروهم على الغناء قبل قتلهم فضلاً عن أنهم وجدوا تسليتهم فى إرغام أحد السجناء على تسلق إحدى أشجار الغابة أثناء العمل فى قطعها، ولحسن حظ سيمحا بيالوفيتز أنه استطاع الهرب رغم كسر أحد ذراعيه، وبعدئذ تم إلحاقه بالعمل فى الصيدلية؛ كى يحل محل الصيدلانى الأصلى الذى تم تنفيذ حكم الإعدام فيه.

والغريب أن السجناء لم يكن لهم الحق فى صرف الأدوية؛ حيث إنها كانت مخصصة لاستعمال إدارة المعسكر، ومن المفارقة أن تكون هذه الصيدلية خالية من الأدوية وتحتوى على صابون الاستحمام والكولونيات وكثيراً ما دخل الصيدلية ضابط بوحدة البوليس الخاصة للتفتيش على محتوياتها فإذا راق له شيء منها أخذه لنفسه عند انصرافه.

وأسندت إلى سيمحا مهمة تصنيف العقاقير وعندما ضبطه فاجنر وهو يعطى بعض الأدوية للسجناء انهال عليه بالضرب حتى كاد أن يقتله، فضلاً على أنهم عاقبوه من آن لآخر بإرساله إلى المعسكر رقم (٢).

وألحت على السجين سيمحا فكرة الانتقام من رجال وحدة البوليس الخاصة واقترح هيرش Hersh وهو سجين شاب قادم من زاموسك Zamosc قتلهم بالسم، وطلب هيرش من سيمحا أن يحضر له من الصيدلية التى يعمل بها قارورات تحتوى على مائة جرام من المورفين، فأجابه سيمحا إلى طلبه ووفر له كمية المورفين المطلوبة، غير أن فاجنر عثر على إحدى هذه القارورات فألقى القبض على أربعة سجناء وسجينة شابة، وواجه فاجنر سيمحا بالقارورة فادعى أنه لا يعرف عنها شيئًا واحتج بأن قارورات

الصيدلية تحمل علامة ملصوقة خاصة بالصيدلية، وبرأ ساحة سيمحا أن ضابط الوحدة الخاصة المسئول عن الصيدلية أكد صحة هذه المعلومة، الأمر الذى أنقذ حياة سيمحا، ولكن النازيين قاموا بإعدام هيرش وخمسة من السجناء الآخرين.

وأيضًا نما إلى علم سيمحا أن السجناء العاملين فى الغابة يستعدون للهرب الجماعى، وأرسل النازيون اثنين من السجناء برفقة حارس لإحضار الماء والطعام، ولكن السجينين قاما بقتل الحارس بفأس، الأمر الذى مكن السجناء من الهرب، ولكن لم ينج منهم سوى اليهود البولنديين الذين يعرفون المنطقة واللغة المستخدمة فيها والجدير بالذكر أن السجين بوتشلينك Podchlebink هو الذى قتل الحارس، ومن المؤسف أنه تم القبض على جميع السجناء الهاربين - باستثناء كوين Kopf- وإعادتهم إلى المعسكر وبعد أن ألقى النازى فرنزل على مسامعهم خطابًا يقرعهم فيه على حقارة مسلكهم نُفذ حكم الإعدام فى عشرة سجناء انتقامًا من الحارس المقتول.

ويختم سيمحا شهادته بقوله: إن اللجنة التى أعدت لنشوب الثورة تكونت من جماعات متعددة لتنفيذ تكليفات ومهمات متنوعة، وكلفت الجماعة التى ينتمى إليها سيمحا بالبحث عن النقود والأشياء الثمينة، وأثناء اندلاع الثورة جرى سيمحا من المستودع إلى الأسلاك الشائكة فجرحت هذه الأسلاك يده وترك الجرح ندوبًا مستديمة، ونجح سيمحا فى الوصول إلى الغابة؛ حيث عثر على أخيه وظل الاثنان مختبئين فى الحقول، وفى اليوم التالى لهرب سيمحا وزملائه السجناء أسعدهم مشاهدة موكب السيارات حاملة نعوش النازيين الذين نجح الثوار فى قتلهم فى معسكر صوبيبور، يجدر بالذكر أن معظم السجناء الثائرين هلكوا فى أتون الثورة التى أشعلوها.

(٧) شهادة أرملة جوزيف دونيتز Josaph Dunitez

تحمل هذه الشهادة العنوان التالى: "من باريس إلى صوبيبور" وتقول فيها هذه الشاهدة: إن زوجها جوزيف ولد فى مدينة كييف عام ١٩١٢، وفى عام ١٩١٧ استقرت عائلته فى مدينة روفنو Rouno حيث تلقى جوزيف تعليمه فى إحدى المدارس العليا، ثم

سافر فيما بعد إلى فرنسا حيث درس الكيمياء فى جامعة كاين Caen وفى عام ١٩٤٠ كانت فرنسا واقعة تحت الاحتلال النازى، وفى عام ١٩٤٢ تزوجت منه فى بداية فترة الخسف والاضطهاد الذى لقيه اليهود، وأنجبت منه طفلة صغيرة ثم حملت منه مرة أخرى، وفى يوم ١٣ من فبراير ١٩٤٣ ألقى القبض على زوجها وأرسل إلى سجن درانس Drancy الفرنسى قبل ترحيله إلى معسكر صوبيبور، وفى طريقه إلى هذا المعسكر حاول الهرب مع سجناء آخرين، ولكن ألقى القبض على هارب بلجيكى وأطلق النار عليه، الأمر الذى ثبط همة بقية المجموعة المقبوض عليها.

وأثناء التحاق جوزيف دونتيز بالمعسكر أسندت إليه أعمال شتى، ثم لعب فيما بعد دورًا مهمًا فى إشعال فتيل الثورة فى معسكر صوبيبور، وبعد هروبه من هذا المعسكر عاش مع الفلاحين فى الغابة، وعندما انتهت الحرب عمل سائقًا خاصًا فى تشيلم لدى وزير بولندى فى أول حكومة شكلت بعد تحرير المعسكر، وقررت هذه المرأة مع زوجها الاستقرار فى إسرائيل حيث التحق بالعمل، وأنجب الزوجان طفلين آخرين، ورفض الزوج أن يتحدث عن معسكر صوبيبور، غير أنه فى عام ١٩٦٥، وافق على الإدلاء بشهادته أمام محكمة جرائم الحرب النازية المنعقدة فى مدينة هاجن Hagen الألمانية، وشاء القدر أن يموت بسكتة قلبية أثناء عمله بالمصنع فى سن الثالثة والخمسين قبل يوم واحد من سفره إلى هناك.

(٨) شهادة سيلما ويجنبرج Selam Wijnberg

تقول سيلما ويجنبرج فى شهادتها التى تحمل عنوان: "من سولى Swolle إلى صوبيبور" إنها من مواليد عام ١٩٢٢ فى بلدة سولى الهولندية وأنها لم تلاحظ أية مظاهر كراهية من الشعب الهولندى ضد اليهود، فاضطهاده لليهود لم يبدأ إلا بعد احتلال ألمانيا النازية للأراضى الهولندية، وفى عام ١٩٤١ أنشئ فى وستربورك -West erbork معسكر لإيواء اليهود الألمان، وعندما أرغمت ألمانيا النازية اليهود على لبس

الشارات المميزة لهم عاملهم الشاب الهولندى باحترام، وفى عام ١٩٤١ أصاب الإضراب مدينة أمستر دام بالشلل لمدة ثلاثة أيام احتجاجًا على الإجراءات التى اتخذها النازيون ضد اليهود.

وتسترسل سليما قائلة: إن الشعب الهولندى قام بإخفاء اليهود، ولهذا نجد أن أوترخت Uterecht لم تشهد ترحيل أكثر من مائتى يهودى منها من مجموع يهوديها البالغ عددهم ألفى يهودى، وتولت منظمة خاصة تدعى: "هولندا الحرية" مساعدة اليهود بإمدادهم بالطعام والمال وإجلائهم إلى إنجلترا. وتضيف سلما أنه تم القبض عليها وعلى عائلتها عام ١٩٤٢ والزج بهم فى سجن وستربورك، وبلغ عدد المقبوض عليهم ثمانية آلاف سجين أخبرهم الضباط الألمان أنهم سوف يذهبون للعمل فى بولندا أو أوكرانيا، وطلبوا من السجناء أن يأخذوا معهم أحذيتهم وملابسهم وطعامهم ووصلت من فلودافا Wlodowa رسائل زائفة تؤكد طيب الحياة فى بولندا، ولكن سيلما أدركت فيما بعد أنها أكذوبة وأن السجناء أرغموا على إرسال بطاقات بهذا المعنى، والغريب أن أيًا من هذه الخطابات لم تشر على الإطلاق إلى وجود معسكر فى صوبيبور. تقول سيلما: إنها لم تذهب إلى بولندا، ولكنها هربت من محبسها، ولكن هولنديا ينحدر من أصل ألمانى اسمه فولسكدوتش Volksdeutsch أبلغ السلطات النازية عنها فزج بها فى سجن أمستر دام لمدة شهرين قبل نقلها إلى معسكر فوت Vught المخصص لليهود والسجناء السياسيين، وهناك التحقت بالعمل فى المغسلة، وفى مارس ١٩٤٣ تم ترحيلها إلى بولندا، وفى ٩ من أبريل ١٩٤٣ وصل المرحلون إلى معسكر صوبيبور، وتعين على الرجال خلع ملابسهم على الفور بعد هبوطهم من القطار، ثم اقتيدوا إلى المعسكر رقم (٣) بينما سارت السجينات عبر طريق مزروع بأشجار الأناناس، وقمن بخلع ملابسهن وتم حلق شعرهن واختار ضابط ألمانى ثمانى وعشرين امرأة للعمل فى المعسكر رقم (٢) وفى معسكر صوبيبور أمضت سيلما خمسة أشهر لم تكن تتصور مدى بشاعتها، وتذكر سيلما أن رجل الوحدة الخاصة وولف Wolf اقترب من الأطفال

العرايا ووزع عليهم الحلوى وربت على رءوسهم أثناء تأهبهم لدخول غرف الغاز وهو يطمئنهم "كونوا مطمئنين يا أطفال فسوف يكون كل شيء على ما يرام ".

واختتمت سيلما شهادتها بقولها: إنها تمكنت من الهرب مع بنتين صغيرتين هما كيتى Ketty ولاهاى وأورسولا ستيرن Ursula Stern من ألمانيا وانضمت كيتى إلى المقاومة، ولكنها ماتت بالتيفوس، وكذلك حاربت أورسولا فى صفوف المقاومة، والجدير بالذكر أن سيلما زاملت أورسولا فى كل من وستربورك وفوت وصوبيبور ولكنهما نجحتا أخيراً فى الهرب.

(٩) شهادة بير فريبرج Ber Friberg :

يقول فريبرج في شهادة تحمل عنوان: "من وارسو إلى صوبيبور": إنه كان عند نشوب الحرب يعيش مع عائلته فى مدينة لودز Lodz، ثم انتقلوا للعيش فى مدينة وارسو ظنّاً منهم أن رحيلهم إلى مدينة كبيرة سوف يكون ملاذا آمناً لهم، وفى الطريق إلى هذه المدينة توفى والده، وعاش بير فريبرج فى جيتو اليهود فى وارسو حتى عام ١٩٤١، ثم سافر بعدئذ إلى توربين Turbin فى ضاحية لوبلن؛ حيث يبق مع عائلته حتى مايو ١٩٤٢ وسرعان ما تم ترحيلهم وجمع شملهم مع بنى جلدتهم فى زولكينكا Zol-kiewka ثم تم ترحيلهم من هناك إلى كراسنستاف Krasnystaw وأخيراً تم شحنهم في قطار مخصص لنقل المواشي، وكان القطار شديد الزحام لدرجة أن كثيراً من المسافرين ماتوا من الاختناق، واستغرقت الرحلة ثلاثة ساعات، وتوقف القطار فى وسط إحدى الغابات، وعند هبوط المسافرين فى عربات البضائع يوم ١٥ من مايو ١٩٤٢ قرءوا يافطة مكتوب عليها معسكر صوبيبور.

"كان رجال الوحدة الخاصة يجرون على الرصيف وهم يصرخون: "الرجال يقفون فى جانب والنساء فى الجانب الآخر"، وأمضى المرحلون ليلتهم جالسين على الرصيف، ووصلت إلى مسامعهم ضحكات النازيين وأصوات الأعيرة النازية وصراخ النساء والرجال وقد أحاط بهم الحراس الأوكرانيون.

وفى الصباح طلب النازيون خروج الترزية وراتقى الأحذية والنجارين من الجمع، وبدا معسكر الموت فى صوبيبور فى عين فريبرج كبيراً وكأنه مزرعة شاسعة مترامية الأطراف، كما بدا كل شىء فيه طبيعيًا، وفى يوم ١٦ من مايو ١٩٤٢ اقتيدت المجموعة المختارة إلى هناجر أو حظائر طائرات امتلأت بالحقائب، وصاح فيهم أحد الألمان قائلاً: "أعدوا قائمة بالأشياء الموجودة بالداخل، افصلوا ملابسكم الداخلية عن الفساتين وعن ملابس الأطفال.. إلخ " وعند لفريبرج سأل الألمانى جروث Groth العامل بوحدة البوليس الخاصة عن الجهة التى سيذهب إليها المرحلون والمرحلات من الأطفال والنساء، "فأجابه الألمانى مموهًا: "سوف يتجمع شملكم فغنوا وتهللوا ". ولكن اليهود بقوا صامتين فهددهم جروث بالويل والثبور وعظائم الأمور، فاستجاب له رجل عجوز قائلاً: "دعنا نغنى". وحاولت امرأة يهودية شابة البدء فى التغنى بأغنية بولندية، وواصل الألمانى جروث صياحه وتهديده طالبًا ترديد الأغنية، ولكن بدلاً من الغناء ترامت إلى سمعنا صلاة يهودية تبتهل : "طهر قلوبنا يارب واجعلنا نخدمك على أكمل وجه وبكل إخلاص".

وراق للألمانى فاجنر أن يلقى على مسامع اليهود خطبة عن الاشتراكية القومية (أى النازية) وحسنها وجمالها أعقبها تهديده القاتل: "إذا عملتم باجتهاد فسوف تلحقون بعائلاتكم على وجه السرعة وإلا تلقيتم رصاصة تستقر فى أجسامكم "، ثم أضاف: وإذا سقط أحدكم مريضًا فلدينا مستشفى نخدمكم فيه، نعم يا تاركسوف سوف نأخذكم إليه، وهو بهذه المناسبة مكانًا ترتاحون فيه إلى الأبد وأجهش بير فريبرج بالبكاء طيلة الوقت، ولكن الأمل ظل يراوده فى أن عائلته لا تزال على قيد الحياة.

وجاء إلى معسكر صوبيبور فوجان من السجناء فى طوابير طويلة استقبلها ميشيل رجل الوحدة الخاصة بقوله: "سوف تذهبون إلى أوكرانيا حيث تلحقون بالعمل، وحتى لا تصيبكم الأوبئة فسوف تطهرون أجسادكم بالاستحمام تحت دش مطهر، وضعوا ملابسكم بترتيب ونظام على جانب، ولا بد أن تتذكروا مكانها لأننى لن أكون معكم كى أساعدكم للعثور عليها، وقوموا بتسليم كل أشيائكم الثمينة إلى المكتب".

وبحلول صيف ١٩٤٢ ارتفع عدد الأفواج المرحلة، وجاء الكثير منها من ألمانيا، وانتقى بول جروث من بين السجينات فتاة شابة تدعى روث اتخذها خادمة ومحظية، ولكن في فترة غيابه عن المعسكر أثناء قيامه بإجازة تم إعدام هذه الفتاة مع عدد آخر من زميلاتها الشابات، وسلمن ثيابهن إلى مخزن الملابس، وعندما عاد جروث إلى عمله واكتشف ما حدث بدأ في معاقرة الخمر وتسبب في إزعاج المعسكر وإقلاقه فقام رؤساؤه بنقله واستبعاده.

ويقول فريبرج: إنه بين المائة وخمسين عاملاً في مستودع الملابس لم تكتب الحياة لغير خمسين منهم، وقتل الآخرون أو أقدموا على الانتحار، ويعترف فريبرج أنه حاول الانتحار ولكنه فشل، وفي إحدى المرات أرسل جروث غلامًا ليحضر له مظلته العالقة بالسطوح فاختل توازن الغلام وسقط من ارتفاع ثمانية أمتار، ولكنه نجا من الموت بأعجوبة فعاقبه جروث بأن ضربه خمسة وعشرين جلدة، وهدد بإطلاق الكلب البوليسي باري عليه، وقد درج جروث على تلقيب كلبه بالرجل في حين دأب على تسمية سجنائه بالكلاب. ويبدو أن لعبة إرسال اليهود إلى السطوح لإحضار المظلات العالقة راقت في أعين رجال الوحدة الخاصة، فقاموا بتسلية أنفسهم بتكرارها حتى يعرفوا مقدار إتقان اليهود لعمليات الهبوط بالمظلات (أو الباراشوت)، وسرعان ما استبدل رجال الوحدة لخاصة هذه اللعبة بلعبة أخرى تدخل السرور عليهم، وتتلخص هذه اللعبة في حياكة الجزء الأسفل من بنطلونات السجناء، وحبس فئران الغيط فيها، فإذا تحرك السجين نتيجة تحرك الفئران في بنطلونه أوسعوه ضربًا حتى الموت، وأيضًا درج رجال الوحدة الخاصة على حلق نصف شعر السجناء وأنصاف شواربهم وحلق أحد حاجبي السجين دون الآخر واتسمت تصرفات النازي فرنزل بوجه خاص بالسادية، فقد كان يقول للنساء الحليقات قبيل دخولهن غرف الغاز: "لا تخفن فأنتن في مقتبل العمر وسوف تعشن". والجدير بالذكر أن كثيرين من رجال الوحدة الخاصة استغلوا سجناءهم الجواهرجية في عمل المشغولات الذهبية

والمجوهرات لهم، مثل الإخوة سزينجلر Szpengler القادمين من بولافى Pulawy والذين أرغمهم النازيون على صنع المجوهرات لعائلاتهم.

والجدير بالذكر أيضًا أن السجناء وحارسًا أوكرانيًا وعدوا يهوديا هولنديًا سجينًا بمساعدته على الفرار، ولكن الحارس الأوكرانى وشى به فقامت وحدة البوليس الخاصة بالثأر بإبادة جميع أفراد المجموعة من المعسكر رقم (٣)، ولتوفير الأعيرة النارية قامت سلطات المعسكر بقطع رءوس الضحايا.

ويختم فريبرج شهادته بقوله: إن مجموعة من أسرى الحرب السوفيت وصلت إلى معسكر صوبيبور فى سبتمبر ١٩٤٢، وكان اليهود البولنديون السجناء يعرفون شعاب هذا المعسكر ودروبه، كما يعرفون عادات رجال الوحدة الخاصة، ويضيف أن ساشا بيشرسكى وليون فيلدهندلر أعدا خطة الهرب الجماعى من صوبيبور، ويعتبر فريبرج يوم الثورة فى صوبيبور فى ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ أطول يوم فى حياته، ويصف فريبرج سعادته الغامرة عندما شاهد الثوار يستولون على السلاح وكيف أنه جرى نحو بوابة المعسكر التى لم تكن مزروعة بالألغام، ولكن الحراس أمطروه بوابل من الرصاص وأرغموه على التقهقر حتى اضطر إلى القفز فوق الأسلاك الشائكة حتى وصل إلى الغابة ليصبح حرًا طليقًا فى نهاية المطاف، ولكنه عبر عن حزنه لقتل نصف المتمردين البالغ عددهم ثلاثمائة فى حين تم القبض على نصفهم الآخر البالغ مائة وخمسين هاربًا أثناء محاولة الاختباء فى الغابة.

(١٠) شهادة كيرت توماس Kurt Thomas

يذكر كيرت توماس فى شهادته بعنوان: "من تيرزين Tarezin إلى صوبيبور" أن قلعة تيرزين العتيقة التى تبعد عن براغ بخمسة وستين كيلو مترًا أصبحت مركزًا لتجمع يهود تشيكوسلوفاكيا قبل رحيلهم إلى بولندا، ويستطرد كيرت توماس قائلاً: إن

عائلته جاءت من بلدة بوسكوفيس Boscovice فى مورافيا، وأنها كانت تأمل فى البقاء فى ترزين (أى تيريسنستادت Theresienstadt) حتى نهاية الحرب لأنها خصصت كجيتو للسكان اليهود وكانت مساكنهم تنشع بالرطوبة شتاء وتعانى من القيظ الشديد صيفًا، وكان الطعام والماء ناقصين هناك، كما كثرت أعداد الوفيات بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، وقيل لعائلته: إنها سوف ترحل ضمن فوج فى أبريل ١٩٤٢.

وعند وصول الفوج إلى بلدة بياسكى Piaski بالقرب من لوبلين رُحلت عائلته إلى الجيتو؛ حيث أقامت فى شقق خالية من المراحيض، وأشفق عليها سكان البلدة اليهود فأمدوها بالخبز والشوربة فى الأسابيع القليلة من وصولها، ولكن الطعام انقطع عنها بعد ذلك، كان الزحام فى هذه الشقق فظيعًا، فقد عاش مع كيرت توماس فى الحجرة نفسه ثلاثة وثلاثون شخصًا والتحق كيرت بالعمل خارج المساكن وتلقى عند ذلك وجبة واحدة فى منتصف اليوم، الأمر الذى جعله يحاول سرقة البطاطس فى الليل ونقلها إلى الجيتو، ومثَّل هذا خطرًا داهمًا عليه لأنه كان يخضع للمراقبة الشديدة، وبسبب انتشار الأمراض بين السجناء والجوع والضرب بالرصاص بلغ عدد الوفيات اليومى ما بين عشرين وثلاثين متوفيًا، ورغم هذا الارتفاع فى عدد الوفيات زاد تعداد سكان الجيتو من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف نسمة بسبب قدوم المزيد من اليهود المرحلين.

كان هناك معسكر مؤقت فى بياسكى مثلما كان فى تيرزين.

وفى يونيه ١٩٤٢ عاد كيرت توماس من عمله ليجد أن عائلته قد رُحلت على متن قطار نقلها إلى معسكر صوبيبور، وبعد مضي أربعة أشهر حمله القطار نفسه وسافر به من بوسكوفيسن إلى تيرزين ومن تيرزين إلى بياسكى ومن بياسكى إلى صوبيبور حيث التحق بالعمل فى المعسكر رقم (٢)، وأصدر إليه الألمان تعليمات بضرورة حماية حذائه من السرقة حتى يلبسه بعد أخذ الدش، ووعدوه بإعطائه ثيابًا نظيفة وطمأنوه بأن شمل العائلات اليهودية المتناثر والمتشتت سوف يلتئم، وأن أفرادها سوف يرحلون إلى الشرق للعمل فى مصانعه، ونظرًا لأن كيرت توماس تخصص فى صناعة النسيج فقد

أبقت السلطات النازية على حياته ولم ترسله إلى غرفة الغاز، وكلفه النازيون بالبحث عن أية أقمشة قد يكون السجناء قد أخفوها فى متاعهم، وكان الألمان يستولون على كل مقتنيات السجناء ذات القيمة، وبوجه خاص اهتم المسئولون الألمان بملابس السجناء وشعرهم المحلوق وأرسلوه إلى ألمانيا.

وفى أحد الأيام شاهد كيرت توماس البولدوزرات تحفر خنادق حول معسكر صوبيبور رقم (٣). وفى البداية كانت جثث السجناء تدفن فى الحفرات، ولكن الألمان قاموا بإحراق الجثث بعد ذلك باستخدام الفحم وكانت جرايات السجناء من الطعام ضئيلة، الأمر الذى دفعهم إلى السرقة، وأيضًا كانت السلطات الألمانية لا تمهل المريض السجين أكثر من ثلاثة أيام للبرء من مرضه، فإذا لم يشف من مرضه خلال هذه الفترة يطلقون عليه الرصاص.

يقول لنا كيرت توماس: إنه اشترك فى إعداد خطة الثورة فى معسكر صوبيبور، وهو يقدر إجمالى عدد ضحايا هذا المعسكر بنصف مليون شخص. استطاع توماس الهرب من صوبيبور فى الغابة؛ حيث ظل يجوس فيها لمدة شهر وفى نوفمبر ١٩٤٣ أشفق عليه فلاح بولندى فسمح له بالاختباء فى حظيرة خنازير اختفى فيها حتى يوليه ١٩٤٤، ومن وقت لآخر كان هذا المزارع يحضر له الطعام والملابس النظيفة وموسى للحلاقة، وكان سقف الحظيرة واطئًا لدرجة منعته من الوقوف واضطرته إلى الجرمزة لمدة تسعة أشهر دون رؤية السماء إلا من خلال ثقب فى سطح الحظيرة.

وفى يوليه ١٩٤٤ وبعد تحرير المعسكر التحق كيرت بصفوف المقاومة، وفى عام ١٩٤٥ عاد إلى مسقط رأسه فى بسكوفيس، ولكنه لم يطق العيش فيها؛ بسبب ذكرياته المؤلمة عن مصير عائلته بوجه خاص ومصير الجالية اليهودية بوجه عام ولهذا السبب آثر الهجرة إلى الولايات المتحدة.

(١١) شهادة إتيزهاك ليختمان Itzhak Lichtman :

يقول إتيزهاك فى شهادته بعنوان: "من زولكينكا Zolkiewka إلى صوبيبور" إن بلدة زولكينكا تبعد ثمانين كيلو متراً من لوبلين وأن عدد سكان هذه البلدة لم يتجاوز ثلاثة آلاف يعيشون فى أكواخ خشبية سطوحها مصنوعة من أعواد القش، وكان أقل القليلين منهم يعيشون فى أكواخ أسطحها مصنوعة من الفخار أو الزنك بالقرب من السوق أو فى أكواخ متناثرة فى الحى البولندى وغالبيتهم من الحرفيين وصغار التجار.

ويذهب إتيزهاك ليختمان إلى أنه لم يشعر بوجود أية مشاعر معادية للسامية لدى البولنديين، وفى سوق الاثنين درج الفلاحون البولنديون على الحضور إلى السوق لبيع منتجاتهم وشراء مصنوعات اليهود ومشغولاتهم، ويضيف إتيزهاك ليختمان أن عائلته كانت تملك كشكاً لبيع الأحذية ذات الرقبة، وأن والده أراد له أن يصبح ترزياً على يد الحبر أهارون موشى واينبرج Aharon- Moshe - Wainberg- الذى علمه الصلوات واللغة العبرية ولغة الييديش واللغة البولندية والحساب.

كان جميع اليهود الذين يعيشون فى زوكليفا يعرفون بعضهم البعض وينادون على بعضهم البعض بأسمائهم الأولى يعقبها اسم الأب إذا كان المنادى عليه ذكراً أو اسم الأم إذا كانت المنادى عليها أنثى مثل يانكل Yankel ابن هيرش Hirsh أو بريندل Breindel ابنة سارة.

يقول إتيزهاك ليختمان: إنهم ناصروا كثيراً من المنظمات الصهيونية ودعموها مثل منظمة جوردونيا Gordonia وهاشومر Hashomer ويادلى صهيون Podei Zion وأنه التحق بعضوية هذه المنظمة الأخيرة، أما البنات اليهوديات فقد التحق بمنظمة بيت ياكوف Beit Yacov فى حين كان الشيوعيون الشبان الذين ترأسهم إتيزهاك جوتمان Yitzhak Gutman يجتمعون سراً من مكان قريب من مكتبة بيرتيز Peretz وأيضاً كان إتيزهاك ليختمان عضواً فى جمعية دراما شهيرة رصدت جميع أرباحها لخدمة المجتمع. وكانت هذه الجمعية تحرص على اقتناء المطبوعات الأدبية.

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بوقت قصير قامت القوات النازية باحتلال زولكنيكا، رغم أن طلائع القوات الألمانية لم تظهر أية عداوة للسامية، وبعدئذ جاء سجناء الحرب الروس فانضم إلى ميليشياتهم الشبان اليهود الشيوعيين، وكان الحبر البولندى فيلدهندلر رئيساً للوفد اليهودى الذى تفاوض مع قيادات الجيش السوفيتى وطلب منها السماح لليهود بالانضمام إلى مؤخرة الجيش الأحمر المتقهقر، وبالفعل سمحت لهم القيادات السوفيتية بذلك وباصطحاب متاعهم معهم، غير أن كثيراً من اليهود رفضوا مغادرة البيوت الجديدة التى بنوها، وبعد رحيل الروس بدأ الدهماء فى بث الرعب فى قلوب اليهود فقد قاموا بذبح العائلات اليهودية الثرية والسطو على ممتلكاتهم، فضلاً عن قتل الشبان اليهود الذين رحبوا بقدوم الروس، وحاول عمدة البلد استعادة النظام ولكنه فشل فى ذلك، وكان الجنود الألمان الذين تمكنوا من دخول البلدة يضحكون لرؤية جثث اليهود، وفى بادئ الأمر اقتصر النازيون على نهب ممتلكاتهم مثل الفراء والمجوهرات، ولكنهم فيما بعد أصدروا الأمر إلى اليهود بمغادرة المكان وبعدئذ قاموا بتطويعهم وإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال، وأرسل النازيون إتيزهاك ليختمان إلى بلدة رودى Rudy بالقرب من مدينة تشيلم حيث عاش دون طعام فى ثكنات مليئة بالقمل والحشرات، وكان موقع عملهم على بعد ستة عشر كيلو متراً مشوها كل يوم على الأقدام، وتوقفوا عن العمل فى الشتاء؛ بسبب الجليد الذى غطى أديم الأرض، ولهذا زج بهم رجال الوحدة الخاصة فى الثكنات ، وجاء يهودى يدعى زيدى Zeidi من زولكينكا، ودفع للمسئولين النازيين مالاً للسماح لهم بالعودة إلى زولكينكا، ولكن تم القبض عليهم وعلى البولنديين بمجرد عودتهم إلى هذه البلدة، وأرسل النازيون عمدة البلدة واك Wac وبعض البولنديين إلى معسكر ماجدانيك (أو لوبلن). ورغم قيام السلطات الألمانية بالقبض على إتيزهاك ليختمان فإنها ما لبثت أن أفرجت عنه مهددة إياه بقولها: "سوف يحين وقت القبض عليك فى القريب العاجل. وهو ما حدث بالفعل فى ٢٢ من مايو ١٩٤٢، وذلك عند ترحيل أغلبية السكان إلى معسكر صوبيبور".

اقتيد المقبوض عليهم ومن بينهم إتيزهاك ليختمان من بلدة زولكينكا إلى محطة كرانستساف Krasnystaw وعرف كل من تطلع إليهم أنهم يهود، فالرجال ملتحون ويلبسون القفطان التقليدى والنساء يغطين رءوسهن بالوشاح يتبعهن جمع غفير من الأطفال، وقال لهم البولنديون، أثناء ترحيلهم : "أيها اليهود سوف يكون الحرق من نصيبكم." وكان هؤلاء المرحلون يتحدثون لغة البيديش إلى جانب اللغة البولندية، ولكنهم عجزوا عن استيعاب معنى هذه الكلمات ورغم أنهم سمعوا عن معسكر الموت فى بلزيك فإنهم لم يصدقوا أنهم سوف يحرقون.

وعند وصول السجناء إلى محطة كرسنستاف قام الجستابو بانتقاء عدد من الشبان الأصحاء، وبالنظر إلى أن إتيزهاك ليختمان أراد عدم الافتراق عن عائلته فإنه اختبأ حتى لا يراه أحد من النازيين أو أعوانهم، ويقرر ليختمان أنه لم يعرف شيئًا عن مصير الذين وقع عليهم الاختيار.

وتم وضع ليختمان وعائلته فى قطار للماشية غير معلوم الاتجاه ولم يفكر ركاب هذا القطار أنهم فى طريقهم إلى معسكر صوبيبور؛ لأن الألمان نجحوا فى إخفاء هذا المعسكر عن العالم الخارجى أكثر من نجاحهم فى إخفاء معسكر بلزيك الذى بات معروفًا لدى اليهود منذ شهر مارس، وأخيرًا وصل قطار المواشى إلى صوبيبور، وفجأة انفتحت أبواب العربات المتعلقة فدخلها الهواء النقى ورائحة أشجار الأناناس المنعشة وبمجرد هبوطهم من عربات البضائع المقفولة صاح فيهم النازيون: "اخرجوا سريعًا واصطفوا على اليمين واليسار ". وأمسك ليختمان بيد طفلة تبلغ من العمر خمسة أعوام، فقام حارس ألمانى بجذبه وخشي والده أن يقتله الأوكرانيون ولم يطمئن عليه حتى أخذته أمه معها.

ثم قام أحد النازيين بجره بغلظة ووحشية من عربة القطار وجر خمسة رجال آخرين معه، اقتادهم إلى المطبخ وسلمهم جرادل مليئة بالسوائل، وصدرت إليهم تعليمات بالسير وراء الحارس الذى أمرهم بالتوقف ووضع الجرادل بالقرب من الباب، ثم سمعوا صرخات، وعلم ليختمان فيما بعد أنه كان يقف عند مدخل غرفة الغاز، وأثناء

عودته من هناك قابل جمهرة من الأطفال والنساء العاريات، وتعرف على زوجته وطفلة بينهن فانطلق يجرى نحوهما، فضربه الحارس على رأسه، ثم قفل ليختمان عائداً إلى المحطة ولم يبارح الرجال مكانهم، وكان فاجنر رجل الوحدة الخاصة يبحث عن حرفيين فدفعه أبوه إلى الأمام ليقول: إنه صانع أحذية فسأله رجل الوحدة الخاصة: هل أحضرت معك ما يدل على ذلك؟ "فأجابه ليختمان نعم، والحقيقة أنه لم يكن معه ما يثبت صنعته، ورغم ذلك فقد استمر فى الكلام وقدم شول فليشهاكر Shaul Fleoshhacker على أنه أخوه وهو يضيف أبى وإخوتى صانعو أحذية أيضًا، ولكن رجل الوحدة الخاصة رفض قبولهم كصانعى أحذية قائلاً: إنه يكتفى بالعدد الذى اختاره، ثم خطر لإتيزهاك ليختمان أن يقول للنازيين: إن أمه خياطة فساتين : فأخذ الرجل اسمها ثم عاد ليقول : "ولكنها لم تعد موجودة هنا".

واقتادهم الحراس إلى ثكنات صانعى الأحذية، ورأوا فى أحد الأركان قطعًا من الجلد ومنضدة وبقايا طعام، وتساءل صانعو الأحذية الجدد عن مصير من سبقوهم فى القيام بهذا العمل، ولكنهم توقفوا عن طرح هذا السؤال عندما أدركوا أنهم فى معسكر آخر للاعتقال شبيه بمعسكر بلزيك.

وحضر إلى ورشة الأحذية أحد رجال الوحدة الخاصة ليعطيهم أمرًا بأن يصنعوا له زوجًا من الأحذية فقاموا بطاعته وتنفيذ أمره، وقد بلغ عدد صانعى الأحذية فى هذه الورشة خمسة هم إتيزهاك ليختمان وشول فليسهاكر من كاليز Kalisz وشلومو الملقب بالزنجى وبيريرك ليختمان Berek Lichtman ابن عم إتيزهاك وكانت هناك ورشة أحذية ثانية تضم بين ثمانية وعشرة أوكرانيين يعملون فى رتق الأحذية ذات الرقاب الطويلة وأيضًا أصدر رجال الوحدة الخاصة أمرًا إلى صانعى الأحذية بصنع زوج من الأحذية ذات الرقبة وزوج من الشباشب لكل واحد منهم، فضلاً عن صنع أحذية لعائلاتهم، فانصاعوا إلى هذا الأمر.

يقول إتيزهاك ليختمان: إن جميع الورش فى معسكر صوبيبور كانت فى خدمة رجال الوحدة الخاصة، فتسخير اليهود فى نظرهم حلال حتى ولو تضمن سرقة الرايخ

الألماني، وبين كل رجال الوحدة الخاصة لم يترفق بهم سوى شخص واحد اعتاد إحضار الخبز لهم، فضلاً عن أنه فيما يبدو ساعد طبيباً سجيناً شاباً على الهرب، وفى نهاية الأمر قامت سلطة المعسكر بإبعاده، ويذهب ليختمان إلى أن معظم النازيين اتسموا بالسادية وأن بعضهم الآخر كان ملتاث العقل، فقد طلب أحدهم ذات مرة من مجموعتين من السجناء أن يقعدوا أنرعهم خلف ظهورهم ويتعاركوا كما يتعارك الديوك، ومن مظاهر شذوذ النازيين أنهم اختاروا ممرضة تدعى السيدة هيجدى Hejdi جاءت إلى صوبيبور ضمن قافلة هولندية برفقة زوجها وابنها وابنتها وانخرطت هذه المرأة فى تشيج عال عندما انتزعوا زوجها وابنها وزجوا بهما إلى المعسكر رقم (٣) فسألها النازى ضاحكًا هل تبكين لأن زوجك تركك بمفردك؟ ثم أحضروا سجينًا تشيكوسلوفكيًا فى منتصف العمر وقالوا لها: "أنتما الآن زوج وزوجة" وأرغموها على المضاجعة.

ويضيف ليختمان أنه تجرأ ذات يوم وشكا إلى الضابط الألمانى فاجنر بأنه لا بد من غسل ملابسهم المليئة بالقمل والحشرات إذا أرادوا منهم مواصلة العمل، فقام فاجنر فى اليوم التالى باختيار ثلاث نساء شابات وكلفهن بغسل ملابس السجناء، ثم ارتفع عدد الغسالات حتى وصل إلى ثمانين امرأة، وبسبب الجوع كان السجناء لا يكفون عن البحث عن الطعام، وفى إحدى المرات قبض فاجنر على أحد النجارين وهو يأكل طعاماً يزيد على طعام الجراية، فقام بجلده، ثم شنقه أمام الملأ حتى يكون عبرة للآخرين ويختم إتيزهاك ليختمان شهادته بالحديث عن اختمار فكرة الثورة فى ذهنه وذهن زميله شول فليشهاكر وتبادلهما فيما بينهما لورقة كتب عليها: "المعسكر الذى تعيش فيه معسكر موت، فلنقم بثورة" . ونقل ليختمان ورفاقه مضمون هذه الرسالة إلى السجناء القادمين من ألمانيا، وتباينت ردود أفعال السجناء فبعضهم قرأ الورقة ثم وضعها فى جيبه، وقام آخرون بتمزيقها، ولكن رجلاً متقدماً من العمر صرخ قائلاً: إنه يرى فى هذا العمل تحرشًا، الأمر الذى جعل الثوار يأخذون حذرهم، وكثيراً ما كان النازيون يأخذون إجازاتهم للذهاب إلى ألمانيا، واستعداداً للسفر حزموا حقائبهم المليئة

بأفخر الثياب وأشهى الطعام، ورأى اليهود المتمردون أن مثل هذا الوقت هو أفضل الأوقات لإشعال فتيل الثورة.

ثم وصل إلى معسكر صوبيبور فوج قادم من الاتحاد السوفيتى وبالنظر إلى تنفيذ الإعدام فى جميع السجناء الهولنديين فقد نشأت حاجة إلى العمالة فى المعسكر رقم (٤) وبعد اختيار العمالة المطلوبة بقى ثمانون شخصاً على قيد الحياة من بينهم ساشا بيشرسكى وفيديا Fiedia الملقبة بكاتيوش Katiush وتوثقت عرى الصداقة بين هؤلاء السجناء مع مرور الوقت فأخذوا يخططون للهرب والانتقام من ظالميهم، وقد أظهر بعض السجناء شجاعة عظيمة فى الإعداد للثورة وبالأخص سزمازنر Szmajzner الذى نجح فى سرقة ثمانى بنادق.

كان أول نازى يجهز عليه السجناء الثوار فى معسكر صوبيبور هو فلاستر Fal-ster الذى تم القضاء عليه بفأس أثناء وجوده فى ورشة صنع الأحذية، وبعد ذلك قام شول بالاستيلاء على بندقيته ثم لف جثته فى ملاءة وأخفاها، واستطاع أتيزهاك ليختمان الهروب إلى الغابة عن طريق البوابة الرئيسية ومعه مجموعة من السجناء ودلهم فلاح شاب على الطريق إلى غابة بارزيو Parezew التى تبعد خمسة وثلاثين كيلو متراً عن صوبيبور. وفى الغابة التقوا بعض اليهود الهاربين وقلة من رجال المقاومة، ويضيف ليختمان أن المقاومة نجحت فى شراء بعض البنادق التى استخدمتها فى تخويف الفلاحين لإعطائهم الطعام ولكن العصابات الأوكرانية والبولندية ما فتئت تهاجم السجناء الهاربين وقتلت الكثيرين منهم.

وتعلق ميريام نوفيتش على شهادة ليختمان بقولها: إن رجال الوحدة الخاصة استولوا على مقتنيات اليهود الثمينة بعد إبادتهم وأن الجنرال الألمانى فرتير كاتزمان Fritz Katzmann المتهم بالإبادة الجماعية لليهود فى جنوب جالسيا Galicia اشتكى من لصوصية الجنود الألمان، كما أن الملازم آمون جيث المسئول عن إبادة جيتوهات اليهود فى كل من كراكوا Cracow وتارنوف Tarnov ردد هذا الاتهام نفسه، كما أن قومندان معسكر بلازوف Plaszow ذكر أثناء محاكمته أن كثيراً من الألمان كانوا لصوصاً فضلاً

عن أن القاضى كوزادمورجن Kozard Morgen أشار أثناء محاكمته فى فرانكفورت عام ١٩٦٤ إلى فساد وحدة البوليس الخاصة فى معسكر أوشفيتز للإبادة.

(١٢) شهادة إيلانا سافران Ilana Safran الملقبة بأورسولا ستيرن بوخهايم Ursula Stern-Buchhem

تقول الناجية من الهولوكست فى صوبيبور إيلانا سافران الملقبة بأورسولا ستيرن بوخهايم فى شهادة تحمل عنوان: "من هولندا إلى صوبيبور": إنها ولدت فى مدينة إسن Essen عام ١٩٢٦ التى نزحت منها عائلتها ولاذت بالهرب إلى هولندا عندما اجتاحتها القوات النازية وكانت أسرتها تعيش فى بلدة إيب Epe الهولندية عندما قام الألمان بغزو هولندا، والتحق والد إيلانا سافران واسمه ألبرت ستيرن بصفوف جماعة من المقاومة يبلغ مجموعها عشرين شخصًا، وبالنظر إلى معرفته بالأسلحة النارية واستخدامها فإنه صار مدربًا، وقد اشتركت مجموعته فى الهجوم على قاعة بلدية أبيلدورن Apeldorn حيث استولى منها على بطاقات صرف الطعام وبعض الوثائق المهمة وكلفت هذه الجماعة المقاومة بمهمة تخبئة اليهود المضطهدين ورجال المظلات التابعين لسلاح الطيران البريطاني، وظلت هذه الجماعة على صلة بحركة المقاومة فى كل من أوترخت وهيلفرسوم Hilversum وروتردام، كما أنها زودت كثيرًا من اليهود بأوراق هوية مزورة فضلاً عن أن الوطنيين الهولنديين وفروا لهم ملاذًا آمنًا، ولكن صفوفهم لم تخل من الخونة الذين كان غدرهم سببًا فى اغتيال الشرطى كيس دى برون Kess de Brun على يد الجستابو وتضيف إيلانا سافران أن الألمان تمكنوا من اكتشاف مخبأ والديه وأنهم قاموا بترحيلها إلى معسكر أوشفيتز حيث توفيا وأنها انتمت إلى مجموعة من الهاربين تتكون من خمسة عشر شخصًا قامت عائلة بومبى Pompe بإخفائها، ولكن هذه العائلة كانت تعانى من الإملاق مما جعلها عاجزة عن توفير الطعام الكافى لهم، وعندما اكتشف النازيون هذا المخبأ قاموا بإرسال ربة البيت السيدة بومبى Pompe إلى معسكر رافنزبروك للنساء، ولم يتمكن من الفرار منهم سوى

ثلاثة هم هاينز نيمان Heinz Neiman ورودى كوهين Rudi Cohen ولوكى دانيلسن Loeki Danielsen وزج النازيون بإيلانا سافران وكذلك بوالدى دانلس Banielsen وأخته وستر ليفر Lever وابنه بسجن أوترخت ثم تم نقلهم جميعًا بادئ الأمر إلى أمستلفين Amsterlveen وأخيرًا إلى معسكر فوجت Vught حيث وجدوا عددًا كبيرًا من العائلات والأطفال اليهود، وكانت إيلانا سافران آنذاك فى السادسة عشر من عمرها، وهناك ربطت أواصر الصداقة بينها وبين مجموعة من الفتيات تضم كلادرج دى هارترج Clarjede Hartag ونانى جوكس Nanny Gokkes وكاتى جوكس Katty Gokkas وجميعهم من لاهاى، إلى جانب بيتى فان كريفلد Batty Van Crefeld وبيتى هايمنز Betty Heymansوسيليما فجنبرج Selma Wijingerg القادمات من زفول Zwolle وميمى كاتز Mimi Katz القادمة من هارلم Harlem وقد سعت جميع السجينات فى تهدئة روع الأطفال والتسرية عنهم، ورغم أن الطعام المقدم كان سيئًا فإنه كان كافيًا، ولكن استدعائهن المتكرر للاصطفاف فى الطوابير كان سببًا فى معاناتهن وفيما بعد نقلت السلطات النازية هذه المجموعة إلى وستربورك وهو المكان المخصص لتجميع اليهود الهولنديين، وبقوا هناك لمدة أسبوع ثم سافرت هذه المجموعة إلى بولندا فى أبريل ١٩٤٣ .

كانت الرحلة إلى بولندا فظيعة وفى العام السالف الذكر أدرك السجناء البولنديون أن صوبيبور معسكر إبادة، ولهذا رفضوا مغادرة القطار طواعية عند وصولهم إليه وبمجرد وصول تلك النسوة إلى صوبيبور بدأت عملية فرزهن فنودى على الشابات للوقوف فى جانب، فى حين أرسلت الأخريات مع الأطفال إلى غرف الغاز، وطلب النازيون من السجناء الأحياء أن يكتبوا إلى ذويهم ليطمئنوهم بأنهم بخير، وكانت قوافل المرحلين إلى صوبيبور تصل من وستربورك كل يومى ثلاثاء وجمعة واستمر وفود هذه القوافل حتى يونيه ١٩٤٣، وكان هرب السجناء الهولنديين مستحيلاً لجهلهم باللغتين الأوكرانية والبولندية، ولم يحاول الهرب سوى مجموعة واحدة تتكون من اثنين وسبعين شخصًا تمت إعادة القبض عليهم وقتلهم. وتختتم إيلانا سافران الملقبة بأورسولا ستبرن ببوخهايم شهادتها بقولها: إن سجناء الحرب الروس وصلوا إلى صوبيبور فى سبتمبر ١٩٤٣ وأنهم كانوا على صلة ببعض الحراس الأوكرانيين الذين

أدركوا أن ألمانيا النازية سوف تخسر الحرب، مما دفعهم إلى مناصرة حركة المقاومة. وفي يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ عرفت السجينة إيلانا سافران أن شيئًا ما سوف يحدث في ذلك اليوم وسمعت صرخات وولولات ورأت السجناء يجرون صوب الأسلاك الشائكة فجرت أورسولا معهم ترافقها كاتى جوكليس حتى وصلتا بيسر وسهولة إلى الغابة؛ حيث تقابلا مع السجينة الهاربة إيدا ليختمان، وظللن يتجولن فى الغابة لفترة طويلة، وهن يتضورن من الجوع، ويتجمدن من شدة البرودة، وقام شاب بإرشادهن إلى مكان معسكر المقاومة، ورغم أنهن الهاربات سرن على أقدامهن نحو خمسين أو ستين كيلو مترًا فى اليوم، وأن الإجهاد بلغ منهن كل مبلغ، فقد أثلجت الحرية صدورهن، وتلخص نشاطهن أساسًا فى تخريب القطارات وإيواء النساء والأطفال وأطعامهم، وأخيرًا قابلت الهاربات جيشًا من المقاومة الروسية مكونًا من ألفى شخص فحاولن الانضمام إليه، ولكن هذا الجيش الروسى، قبل انضمام الشابات فقط، ووعد بتدريبهن تدريبًا عسكريًا، واشتركت هذه الشابات فى محاربة الألمان غير أن كاتى جوكيس فقدت حياتها قبل تحرير المعسكر وبعد تحريره قابلت أورسولا ستيلما فنجبرج وخطيبها هايم إنجل Heim Engel وفى طريقهم إلى هولندا مروا على معسكر صوبيبور ليجدوه أثرًا بعد عين، ولكن أورسولا لم تطق جحيم الحياة فى أوربا فآثرت العيش فى بلدة أشدود Ashdod فى إسرائيل.

(١٣) شهادة ألكسندر بيشرسكى Alexaner Pechersky

أدلى ألكسندر بيشركسى زعيم الثورة فى معسكر صوبيبور بشهادة تحمل عنوان: "ثورة صوبيبور " وبالنظر إلى أننا تناولنا هذه الشهادة بكثير من التفصيل عند عرضنا للمقدمة التى سطرتها ميريام نورفتش لشهادات الناجين من الموت فى هذا المعسكر، فلست أرى داعيًا لتكرار ما أوردنا فى الصفحات السابقة، ومن المهم أن نذكر فى هذا الصدد أن ميريام نورفتش نبهتنا إلى وجود بعض التناقضات فى الشهادات التى سطرها الناجون من الموت فى معسكر صوبيبور.

(١٤) شهادة ليا ريزنر بيالوفتز Loe Reisner Bialowitz

تقول ليا ريزنر بيالوفتز فى شهادة لها بعنوان: "فى زاموسك إلى صوبيبور": إنها ولدت فى عائلة ميسورة الحال، وأنها بدت كامرأة كاملة الأنوثة حتى عندما كانت فى الثانية عشرة من عمرها، وفى بداية الأمر تم إرسالها إلى معسكر جانوفيس Janowice للعمل ومعها ثمانون امرأة أخرى ومائتا رجل، وأشرف عليهم فى ذلك المعسكر رجلان من وحدة البوليس الخاصة هما جان بينكوفسكى Jan Pinkowski ولودفيج Ludwig.

كان المعسكر الذى زجت فيه ليا ريزنر- بيالوفترز يبعد عن زاموسك مسيرة ساعة على الأقدام، وقدم هذا المعسكر إلى سجنائه طعاماً لا يغنى أو يسمن من جوع وألحقت إدارة هذا المعسكر إياها بالعمل فى مصنع سيبس Siebs، فى حين كلفت والدتها بتنظيف الثكنات، وقد درج اثنان من رجال الوحدة الخاصة هما رولمان Rollamann وكوالب Kolb على بث الفزع فى قلوب السجناء، وتذكر هذه الشاهدة أن رولمان قتل عمها وولف ريزنر Wolf Risner، الذى اضطر أرملة عمها وبناتها الثلاث إلى العيش مع عائلتها تحت سقف واحد، وفى معسكر العمل تولى رولمان وكولب وريشتاين -Riedens chein والملازم فرتيز Fritz تعقب السجناء الكبار من السن والأطفال وترحيلهم إلى جبهة مجهولة.

وفى يوم عيد القيامة عام ١٩٤٢ قام بينكوفسكى Pinkowski بإرسال ليا وعائلتها إلى جانوفيتش، وعندما عادوا إليها كان مئات السجناء قد رحلوا إلى جهة غير معلومة.

وتضيف هذه الشاهدة أنه صدر الأمر فى الخريف بنقلهم من زاموسك إلى جيتو إيزبيكا الشديد الاكتظاظ؛ حيث كان أنجل العامل بوحدة البوليس الخاص يتسلى بقتل بعض سجنائه أثناء نومهم أو مسيرهم فى الشوارع؛ بل إنه لم يتورع عن قتل الأطفال الأبرياء وكانت عائلة ليا تتضور جوعاً مما جعل أم ليا تقايض على آخر ما تملك بالخبز وبمجرد أن سمع يهود هذا الجيتو بقدوم الألمان هجروا الشوارع واختبؤا في أقبية تحت الأرض ولم تتحمل أم ليا هذه الحياة فأمرت ابنتها وابنها بالالتجاء إلى أحدى

الفرق ولكن ضابطًا بوحدة البوليس الخاصة رأى هذه الفتاة وأخاها يتسللان فأطلق النار على أخيها وتمكنت ليا فى الوصول إلى الغابة بمفردها؛ حيث وجدت بعض الهاربين وأمضى هؤلاء الهاربون أياما بأكملها راقدين على الأرض، وفى الليل تسللوا إلى الحقول لسرقة البطاطس، وخشى الفلاحون المشفقون على ليا من انتقام النازيين منهم فنصحوا الفتاة بالعودة إلى جيتو إيزبيكا حتى لا تهلك من صقيع الشتاء، وعادت ليا إلى إيزبيكا لتكشف اختفاء والديها، وترفقت بها عائلة بيالوفتش فقامت بإيوائها وشاركتهم عيشة البؤس والحرمان، ولكن بحلول فصل الربيع تم ترحيلها إلى معسكر صوبيبور؛ حيث قام فرنزل وولف باختيار عشرة يهود للالتحاق بالعمل فى المعسكر كانت ليا إحداهم، وذات يوم رأها فرنزل تضع غطاء على رأسها للوقاية من البرد فركلها بحذائه الطويل الرقبة.

وفى أحد الأيام أخبرها سيمحا بوجود خطة للثورة والهرب من معسكر صوبيبور، وما إن وصل الاثنان إلى مستودع السلاح حتى أمطرهما الحارس الأوكرانى من برج المراقبة بوابل من الرصاص، ثم قام فونزل بإطلاق الرصاص عليهما من مدفعه الرشاش دون توقف، غير أنها تمكنت من الاختباء فى الغابة كما أنها استطاعت رغم شدة برودة الشتاء من البقاء على قيد الحياة بأكل البطاطس النيئة دون طهى والتى التقطتها من الحقول، فضلاً عن نومها فى الاصطبلات.

وأخيرًا وصلت ليا إلى دير تعرفه فى رادزنى Radeczny وما إن علمت بمغادرة الألمان ذلك المكان حتى سافرت إلى بلدتها زاموسك حيث وجدت بولنديين من بوزنان Poznan يحتلون منزلها القديم.

وفيما بعد قابلت هذه المرأة ليا سيمحا الذى نجح هو الآخر فى الهرب وقرر الاثنان الزواج ثم السفر إلى إسرائيل.

(١٥) شهادة إيزيك روتنبرج Aizik Rottenberg

كتب إيزيك روتنبرج في شهادة تحمل عنوان: "من فلودافا Wlodawa إلى صوبيبور.. يقول: إنه من مواليد مدينة فلودافا ومن أسرة يهودية مكونة من عشرة أفراد، وكان يعيش فى هذه المدينة ثمانية آلاف يهودى هلك معظمهم أو لم يبق على قيد الحياة منهم غير خمسين فرداً، ورغم بعد مدينة فلودافا عن وارسو فإنها كانت تمور بحياة ثقافية وسياسية نشطة وكانت جميع الاتجاهات السياسية والثقافية ممثلة فى فلودافا، فضلاً عن انتشار النوادى والجمعيات فيها مثل نوادى الرياضة وجمعيات التمثيل المسرحى، وقد اتخذ الحبر المعروف رادزين Radzin فى مدينة فلودافا ملاذاً له، ومن هناك أطلق دعوته إلى مقاومة النازية، والجدير بالذكر أن كاتزنلسون Katzenel-son نظم قصيدة عن هذا الحبر المجاهد.

كانت مدينة فلودافا تبعد نحو ثمانية كيلو مترات عن صوبيبور. وكان الفلاحون البولنديون الذين ترددوا على سوق فلودافا يتحدثون عن حرق اليهود شيبة وشباباً فى معسكر صوبيبور، وبطبيعة الحال ارتعدت فرائص اليهود الذين عاشوا فى فلودافا على بعد ثمانية كيلو مترات من المحرقة، ومما زاد من فزعهم أن رجال الوحدة الخاصة الذين احتلوا فلودافا كانوا يطلقون الرصاص بطريقة عشوائية فى شوارعها، كما روعهم وجود بعض العاملين فى جهاز الجستابو من حاملى الأشرطة والصلبان المعقوفة على أذرعهم وفى البوليس البولندى المتعاون مع الألمان والحرس الأسود الذى تشكل من المتطوعين الأوكرانيين.

وفى نوفمبر ١٩٤٢ تم ترحيل أول فوج من مدينة فلودافا إلى معسكر صوبيبور الذى دخله إيزيك روتنبرج فى أول مايو ١٩٤٣، وذلك عقب وفاة والده العامل فى صناعة الزجاج، وكان هذا الوالد كثير الأسفار والتجوال قبل أن يشى به الواشون إلى الجستابو متهمين إياه بانتقاد قوات الاحتلال، فقام الجستابو فى لوبلين برميه بالرصاص.

وفى جيتو فلودافا استطاع اليهود الاختباء فى مخابئ أنشئوها تحت الأرض ولكن الألمان حاصروا هذا المكان ونجحوا فى الكشف عنه وأعملوا قتلاً فى أعداد كبيرة من اليهود المختبئين فيه.

وعند وصول السجناء إلى معسكر صوبيبور قام فرنزل باختيار ثمانية عشر شاباً من بينهم إيزيك روتنبرج وأحد إخوته لإلحاقهم بالعمل فيه ثم قتل بقيتهم. وقدر لأخيه أن يموت أثناء أحداث الثورة فى صوبيبور فى حين كتب لإيزيك روتنبرج النجاة من الموت، وأسند إليه النازيون مهمة تشييد وبناء قاعة طعام ومخبز وفرنين، فضلاً عن اشتراكه فى إنشاء مخزن لحفظ السلاح، وبدأ معسكر صوبيبور يتلقى السلاح الذى استولت عليه القوات النازية من الجيش الأحمر ابتداء من نهاية الصيف، وفى بادئ الأمر كانت الأسلحة تحفظ فى المعسكر رقم (٤) ويتم تنظيفها قبل إيداعها فى ترسانة الأسلحة ويعبر إيزاك روتنبرج عن حالة الرعب التى انتابته عندما رأى رجلاً من وحدة البوليس الخاصة يقتل سجيناً أثناء حديثه مع حارس أوكرانى، وزاد رعبه أنه بينما كان يعمل فى تزيين الحديقة مع زميل له فى السجناء، فإذا بفرنزل يطلق النار على زميله العامل بجواره دون أى سبب.

وفى أحد الأيام جاء فوج من السجناء إلى صوبيبور اتضح أن نصف أفراده لفظوا أنفاسهم الأخيرة قبل الهبوط على أرض هذا المعسكر، وأيضاً بينما إيزيك روتنبرج يعمل على الرصيف رأى سجينة بجوارة تعانى من الحمى فأراد التخفيف عنها بقوله: إنها سرعان ما سوف تتحسن حالتها فسمعه فرنزل فلطمه على وجهه ثم أطلق النار على المرأة المريضة فأرداها قتيلة.

ويذهب هذا الشاهد إلى أن النازيين عاملوا الأفواج القادمة من أوربا الغربية بطريقة أفضل من معاملتهم للمرحلين من شرق أوربا.

ويضيف لنا إيزيك روتنبرج فى ختام شهادته تجربته فى فترة الثورة التى نشبت فى صوبيبور يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣ فيقول: إنه تمكن من الهرب برفقة عدد من زملائه إلى الغابة حيث شاهدوا أحد الهاربين عارياً كما ولدته أمه فأعطاه معطفه

ليرتديه وبحث روتنبرج عن رجال المقاومة للانضمام إليهم فلم يعثر على أى أحد منهم، وتمكن النازيون من القبض على الهاربين فأوقفهم زيلنجر Zelinger بالسلاسل فى إصطبل خيل غير أنهم نجحوا فى فك قيودهم بعد مضي عدة أسابيع وفروا إلى غابة بارسريو Parczew حيث قابلوا مجموعة من المقاومة البولندية رفضت انضمامهم إليها، ولكن ما لبثوا أن قابلوا مجموعة أخرى من المقاومة اليهودية تعرف باسم مجموعة يهييل Yehiel التى قبلتهم فخاضوا معها عدة معارك ضد القوات النازية.

ويذكر إيزيك روتنبرج فى شهادته أنه استقر فى نهاية المطاف فى إسرائيل حيث تزوج وكون أسرة والتحق بالعمل فى مجال البناء والتشييد.

(١٦) شهادة هيرشيل زوكرمان Hershel Zukermann

يقول هيرشل زوكرمان فى شهادة بعنوان: "من كيروف Kurow إلى صوبيبور:" إن مدينة كيروف والمقاطعة اليهودية التى تحمل هذا الاسم تعرضت للدمار فى مطلع الحرب العالمية الثانية، ولاذ سكان هذه المنطقة بمقاطعة أخرى تعرف بإقليم بلونى Blonie، ولكنها تعرضت هى الأخرى للقصف المدمر، الأمر الذى جعل الحبر اليهود هناك يخفى لفائف التوراة المقدسة فى أحد الكهوف، وبذلك أنقذها من الضياع.

لجأ اليهود إلى مخابئ مؤقتة، غير أن الجيش الألمانى سرعان ما اكتشفها وقام بسلب ممتلكات المختبئين فيها ورغم ذلك فقد تمكن الشاهد هيرشيل زوكرمان مع سالومون نوسنبوم Nussenbaum فى شراء عربة يجرها حصان وتخفى الرجلان فى هيئة اثنين من البولنديين وتنقلا من قرية إلى أخرى يتاجران فى الطعام، وبهذا تمكنا من توفير القوت لأسرتيهما.

ولكن حياتهما كانت يوميًا معرضة للخطر؛ حيث إنه كان محظوراً على اليهود امتلاك الخيل والانتقال بها من مكان إلى مكان دون تصريح، وخلال عيد القيامة عام ١٩٤٢ شاهد زوكرمان وهو فى طريقة إلى كيروف ضباط وحدة البوليس الخاصة

يحاصرون المنطقة فقام بتنبيه أخيه وكل من قابلهم إلى وجود هذا الخطر المحدق بهم، ولهذا السبب آثر العودة إلى بوروفيسك Borowisk وفى اليوم التالى عرف زوكرمان من أحد الفلاحين أن النازيين قاموا بإرسال يهود المنطقة إلى مكان يقال له كونسكا فولا Konska Wola حيث ظلوا محرومين من الطعام والشراب لمدة ثلاثة أيام، ثم رحلوهم إلى معسكر صوبيبور، وعندما رفض يهودى اسمه أفيجدور جاكوب Avigdor Jacob ركوب القطار المتجه إلى معسكر صوبيبور قام النازيون بقتله على رصيف المحطة، وكلفت ابنة مندل روزنبوم Mendel Rosenbaum شابًا بولنديًا باقتفاء أثر القافلة المرحلة فأبلغها أن القطار الذى أقل اليهود وصل إلى غابة تقع فى منطقة تشيلم بالقرب من نهر البوج.

وبعد ترحيل أول فوج ضخم من اليهود لم يبق فى مدينة كيروف سوى ثلاثين يهوديًا، اختبأت بعض العائلات اليهودية، ولكن الألمان سرعان ما اكتشفوا مكانها فقاموا بترحيلها بعد انقضاء عيد القيامة فى عام ١٩٤٢، وكانت عائلة هيرشيل زوكرمان ضمن هؤلاء المرحلين وتوقف هذا الركب المرحل فى بلدة أوبول Opole حيث تم الزج بهم فى معبد يهودى، ولم ينجح فى الهرب منهم سوى اليهودى هايم بيساه Haim Pesah وزوجته وأطفاله، والجدير بالذكر أن بلدة أوبول كانت محطة ترانزيت (مؤقتة) للسجناء قبل ترحيلهم إلى معسكر صوبيبور، وفى يوم من الأيام عن لضباط وحدة البوليس الخاصة فى بولاوى Pulawy إيواء النساء والأطفال فى ثكنات خارج المدينة متذرعين بسوء الخدمات الصحية، ولهذا قاموا بانتزاع اثنين من الأطفال هرشيل زوكرمان من أحضان عائلتهما، ولم يمض على ذلك وقت يذكر حتى تم إحلال اليهود القادمين من تشيكو سلوفاكيا محل اليهود القادمين من بولندا، وفى تلك الفترة فقد زوكرمان زوجته وطفلاً آخر من أطفاله فقرر الالتحاق مع جوزيف آخر أبنائه ببقية عائلته، وسار الركب فى طابور إلى محطة القطار، ووقف الفلاحون بجوارهم للفرجة عليهم أثناء سيرهم من أوبول إلى فانفيليس Wanwilice وبمجرد أن شاهد الفلاحون رجلاً حسن الهندام وسط جمهور النظارة لفتوا نظر الألمان أو الحرس الأوكرانى إليه

وأعطوهم زجاجة فودكا فقام النازيون وأعوانهم بقتله وأعطوا ملابسه وحذاءه ومتعلقاته الشخصية لجمهور المتفرجين.

وفى بلدة فالنكزوف Nalenczow كان هناك قطار ينتظر، تم الزج بمائة وعشرين سجينًا فى إحدى عرباته لينطلق بهم صوب صوبيبور وبمجرد وصول هذا الفوج إلى صوبيبور وقع اختيار النازيين على مائة سجين كان جوزيف ابن الشاهد زوكرمان واحدا منهم، وفى حين أرسل السجناء الآخرون إلى المعسكر رقم (٣)، وفى اليوم التالى جاء أحد أفراد الوحدة الخاصة ليسألهم : "من منكم يعرف الطهى؟" وهكذا نجا زوكرمان وولده جوزيف اللذان قالا إنهما يعرفان الطبخ من الموت، فى حين لقى الثمانية والتسعون الآخرون حتفهم فى غرف الغاز.

استطاع النازيون إخفاء غرف الغاز فى معسكر صوبيبور بمهارة وإتقان لدرجة أن عشرة أسابيع بأكملها مضت قبل أن يكتشف زوكرمان وجودها. وتلخصت مهمة الشاهد وابنه فى طبخ الشوربة من أجل المعسكر رقم (٣)، وجاء الحرس الأوكرانى لنقلها إلى هذا المعسكر، ويذكر لنا هذا الشاهد أنه فى إحدى المرات وضع ورقة مكتوبة بلغة الييدش فى وعاء الشوربة سُطرت عليها الكلمات التالية "دعنى أعرف أخباركم"، فجاءه الرد التالى: "كان ينبغى عليك ألا تسأل، فالناس يموتون بالغاز ويتحتم علينا القيام بدفنهم" وقام هرشل زوكرمان بإبلاغ صديقيه فيلدهندلر وشلومو جولدشين بفحوى الرسالة، وتكتم ثلاثتهم هذا الرد حتى لا يشيع بين السجناء، وفى أحد الأيام همس المشرف على المطابخ – وهو رجل أوكرانى اسمه كوزفادسكى Koszewadski – فى أذن زوكرمان قائلاً : "لى أصدقاء فى صفوف المقاومة الروسية أعدوا خطة لتحريرنا جميعًا". فلم يحر زوكرمان جوابًا، وفى وقت لاحق أسر كوزفادسكى إلى زوكرمان بأنه سوف يذهب إلى مدينة تشيلم المجاورة لرؤية صديق له، وطلب منه أن يقول للألمان إنه موجود فى المعسكر إذا سألوا عنه، ولكن أحدًا من الألمان لم يسأل عنه، وبعد عودته أسر كوزفادسكى إلى زوكرمان بالكلمات التالية : "إن صديقى ينتمى إلى وحدة مقاومة

اسمها واندا فاسيلفسكا Wanda Wasilwska، كما أن هناك طبيباً فى تشيلم يعمل فى صفوف المقاومة ". (وهو نبأ أثبتت الأيام صحته).

كان عدد العاملين فى مطابخ معسكر صوبيبور ثلاثة عشر طباخاً: اثنان منهما يعملان فى المطبخ الخاص بضباط الوحدة الخاصة، واثنان آخران فى المطبخ الخاص بالحرس الأوكرانى، ويخبرنا السجين اليهودى الشاهد أن السجناء كانوا يبحثون عن سمٍ يقتلون به المسئولين عن المعسكر بحيث يظهر مفعوله بعد ثلاث أو أربع ساعات.

فقد كان رجال المقاومة يحتاجون إلى هذا الوقت لتدبير الثورة مع زملائهم وتدمير معسكر صوبيبور، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد أصدر معسكر ماجدانيك (لوبلن) أمراً بحظر استخدام السجناء فى مطابخ رجال الوحدة الخاصة ويضيف الشاهد هيرشيل زوكرمان أنهم وضعوا ثقتهم فى كودفادسكى وأعطوه نقوداً لتسليمها إلى المقاومة ولكن هرب بها، ويسترسل هرشل زوكرمان قائلاً: إن السجناء فى شتاء عام ١٩٤٣ علموا بقرب زيارة هملر لمعسكر صوبيبور، وفى عشية يوم الزيارة خرج زوكرمان لإحضار الفحم المطلوب للمطبخ، فإذا به يرى أمامه لوريات تحمل نساء ويسمع صوت شخص ينادى عليه، فرفع رأسه ليرى أمامه ابنة أحد أصدقائه وكانت هذه الفتاة إحدى النسوة الثلاثمائة اللاتى أحضرهن النازيون للترفيه عن هملر وحاشيته وليتمتع بمنظرهن وهن يقتلن.

ويستطرد الشاهد قائلاً: إنهم كانوا يفكرون دائمًا فى الثورة، ولكنهم أرادوا لثورتهم أن تكون منظمة حتى لا تفشل فيثأر النازيون بوحشية من المشتركين فيها، فقد سبق لعشرين سجيناً أن حاولوا الهرب، ولكن النازيين ألقوا القبض عليهم وضربوهم بالرصاص، وفى مرة أخرى قام سجينان بإعطاء أحد الحراس شراب الفودكا كى يسكر فيتمكنان من قتله وهو مخمور ثم لاذا بالفرار، فانتقم النازيون لمقتل هذا الحارس بالقضاء على سبعة وعشرين سجيناً، وأيضًا أعدت جماعة من السجناء الهولنديين قوامها سبعون سجيناً خطة للهروب الجماعى من المعسكر بمساعدة حارس أوكرانى، ولكن هذا الحارس ما لبث أن غدر بهم فلقى جميع أفراد هذه المجموعة

حتفهم. وفى يوم آخر صدرت تعليمات إلى الطباخين بالتوقف عن طهى أى شىء من أجل السجناء الثلاثمائة المحتجزين فى معسكر رقم (٣) حيث إنه تم إعدامهم بسبب محاولتهم الهرب، ثم حل ثلاثمائة طبيب ومهندس وصاحب مهنة آخرون محل الذين أعدموا وكلف هؤلاء السجناء الجدد بحفر نفق تحت الأرض أسفل منطقة الأسلاك الشائكة.

وفى أحد الأيام ضربت مجموعة من السجناء بالرصاص بدلاً من قتلهم بالغاز، وقد وجدت فى جيب أحدهم ورقة مكتوب عليها بلغة البيديش: "يا إخوتى لا تصدقوا أكاذيب رجال الوحدة الخاصة، لقد جئنا من معسكر بلزيك حيث تمت إبادة آلاف اليهود، ثم زرعوا غابة فوق قبورهم ووصلت إلى صوبيبور قافلة جديدة من سجناء الحرب السوفيت قادمة من مينسك تضم شخصاً يدعى ساشا ترك أعمق الأثر فى نفوس المحيطين به، وقيض لهذا الشخص أن يصبح رئيس اللجنة التى أعدت للثورة وأشعلت فتيلها وكان معدو الثورة يجتمعون فى المطبخ، واتجه تفكيرهم منذ البداية إلى الاستيلاء على ترسانة الأسلحة الموجودة بالمعسكر، ولكن بالنظر إلى تعذر تنفيذ هذا. قرر الثوار تصفية رجال الوحدة الخاصة أثناء تغيب الحراس، وحدد الثوار وقت قيام الثورة فى يوم ١٤ من أكتوبر (١٩٤٣) منتهزين فرصة غياب الألمانيين فاجنر وجوفرسكى وكانت كلمة السر المتفق عليها: "الآن أولا إلى الأبد". كانت لجنة الإعداد للثورة تتكون من عشرة رجال تعين على كل واحد منهم تكليف ستة من زملائهم السجناء بالمرابطة فى موضع محدد؛ بحيث يعرف الستون سجيناً وقت قيام الثورة وتفاصيلها، فى حين يبقى الآخرون جاهلين بما يحدث حولهم حتى مجيىء اليوم المحدد للثورة.

وفى الفترة الواقعة بين الرابعة والرابعة وخمسة وأربعين دقيقة بعد الظهر تم قتل سبعة عشر رجلاً من رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكرانى وأخذ الثوار الذين انضم إليهم الشاهد يصيحون قائلين: "أيها اليهود ليس هذا نداء على الطابور بل ثورة، هيا لنهرب". وجرى الشاهد مع المجموعة التابعة له إلى البوابة؛ لأنهم كانوا يعرفون خلو أرض البوابة من الألغام، فضلاً عن عدم وجود عوائق أخرى؛ مثل برك الماء، وقذف

سجين حفنة من الملح فى عينى أحد النازيين، ثم قام بقتله بهراوة واستولى على مسدسه، وبوغت الحرس الأوكرانى بالثورة فلم يطلق النار على القائمين بها، ولكن هذا لم يدم طويلاً؛ حيث إنهم أخذوا يفجرون الألغام بإطلاق النار عليها، ولكن هذا لم يحل دون وصول ثلاثمائة سجين هارب إلى أرض الغابة، وأيضًا أخذ الشاهد هيرشيل زوكرمان وولده جوزيف يجريان طيلة الليل، وحتى نهاية الحرب لم يبق من الهاربين من معسكر صوبيبور على قيد الحياة سوى خمسة وثلاثين شخصًا، فقد نجح الألمان، والبولنديون المعادون للسامية واللصوص فى قتل الباقين، ولم يتورع اللصوص عن الاستيلاء على بنطلونات الضحايا وأحذيتهم، وظل الشاهد وابنه فى الغابة والمستنقعات لمدة ثلاثة أشهر، ومن وقت لآخر تجرءا واقتربا من فلاح وطلبا منه أن يعطيهما طعامًا، وفى شهر نوفمبر - أى بعد مرور نحو شهر على الثورة اكتشف الشاهد مخبأ آمنًا وهو عبارة عن حفرة مغطاة وخافية عن الأنظار فى الغابة، وعند اقترابه من هذه الحفرة وجد هيرشل زوكرمان عددًا من اليهود مختبئن فيها هم حاييم بيساه Haim Pesah وزوجته وطفليه إلى جانب مينيس روشلمان Manes Rochelman وابن وابنة إيزيك شيندر Aizik Schnedier بالإضافة إلى صبى صغير، وقد جاءوا جميعًا من المدينة نفسها التى جاء منها الشاهد، مما جعله يبكى من شدة الفرح، ولكنه قرر أن يترك لهم حفرتهم المزدحمة ويبحث عن مخبأ آخر وجده على مقربة من كيروف؛ حيث قبلت عائلة فيجاك Wijak استضافتهم، وفى شهر ديسمبر (١٩٤٣) عاد الشاهد إلى هذه الحفرة نفسها؛ ليكتشف أن بعض أعداء السامية المحليين قد قتلوا حاييم بيساه وأصدقاءه وتقدم فلاح لمساعدة هيرشل زوكرمان ورفاقه، ورغم أن قتلة حاييم بيساه وأصدقاءه عرفوا مخبأهم فإنهم تمكنوا من الهرب مرة أخرى.

وانضم ابن الشاهد هيرشل زوكرمان إلى المقاومة وحارب فى صفوفها فى منطقة ليفارتوف Lewartov، وتخفى الشاهد فى زى فلاح بولندى وأخذ يجوس فى الغابات، وبعد تحرير معسكر صوبيبور وجد ابنه سجينًا فى معسكر لوبلين (ماجدانيك)، يقول هيرشل زوكرمان: إنه رفض العودة إلى كيروف وآثر الانتقال من مكان إلى مكان حتى استقر به المقام فى الولايات المتحدة حيث وافت المنية ابنه.

(١٧) شهادة يهودا ليرنر Yehuda Lerner

يقول يهودا ليرنر فى شهادة له بعنوان: "ثورة صوبيبور": إنه ولد فى مدينة وارسو فى عائلة تتكون من ستة أفراد وأن والده كان يعمل خبازًا. "وعند إعلان الحرب العالمية الثانية لم تكن حياة عائلته تختلف عن حياة معظم اليهود الذين عانوا من البطالة وشظف العيش والآلام والأوجاع، وفى يوم ٢٢ من يوليه ١٩٤٢ حلت على جيتو اليهود فاجعة مشئومة؛ فقد أقدم رئيس المجلس اليهودى على الانتحار، كما أن النازيين اقتادوه مع والديه وأحد إخوته إلى محطة الجيتو؛ حيث زجوا بهم فى أحد الأبنية ثم قاموا بترحيلهم من محبسهم فذهبوا دون أن يعود منهم أحد.

وقام النازيون بإرسال يهودا ليرنر إلى معسكر قريب من سمولنسك Smolensk فى الأراضى الروسية المحتلة؛ حيث أمضى عشرة أشهر، وكلف يهودا مع غيره بالاشتراك فى بناء مطار، وتكون طعامهم اليومى من قطعة خبز وسلطانية شوربة، الأمر الذى جعله وجعل السجناء يعانون من الجوع فإذا أصاب أحدهم هزال ولم يعد يقوى على العمل اقتادوه إلى غابة وأعدموه، وكان يعمل معه فى بناء المطار صديق فى جيتو وارسو اسمه حاييم Haim، إلى جانب عدد من اليهود الألمان الذين مكثوا ترانزيت فى وارسو، وأسر يهودا ليرنر إلى صديقه قائلاً له: "دعنا نهرب فمصيرنا محتوم هنا".

وبعد مضى أربعة أشهر وفى ليلة حالكة الظلام تمكن يهودا ليرنر وصديقه عبور الأسلاك الشائكة، ولكن النازيين ألقوا القبض عليهما وسلموهما إلى معسكر آخر لأداء بعض الأعمال الشاقة، وهم يعانون من الجوع والضرب وحاول الصديقان الهروب للمرة الثانية ونجحا فى ذلك لعدة أيام، ولكن الألمان ما لبثوا أن ألقوا القبض عليهما ليزجوا بهما هذه المرة فى جيتو مينسك الذى أبيد معظم سكانه، وأيقنت القلة الباقية منهم على قيد الحياة أن بئس المصير ينتظرها فى مينسك، فسعت إلى الانتقال إلى معسكر عمل فى شيروكا Sheroka خصص لإيواء سجناء الحرب تحت إشراف إدارة وحدة البوليس الخاصة، وهناك تم تقسيم السجناء إلى فرق عمل قليلة العدد يقول الشاهد يهودا إنه وجد الحياة فى شيروكا طيبة للغاية وأن بعض السجناء العاملين خارج المعسكر تركوا

له نصيبهم فى الشورية، كما أنهم أحيانًا منحوه جانبًا من الطعام الذى حصلوا عليه من الفلاحين المحليين، ولسوء حظ يهودا وصديقه أنهما أصيبا بمرض التيفوس ولكنهما شفيا منه.

كانت بلدة شيروكا تضم عدداً يتراوح بين ستمائة وثمانمائة سجين حرب وضابط، ورغم أن المقام طاب للسجناء فى شيروكا، فقد أخبرهم النازيون أنهم سوف ينقلون إلى مدينة لودز Lodz فى بولندا، وغادر السجناء شيروكا ليجدوا أنفسهم فى معسكر صوبيبور وليس فى لودز كما قيل لهم.

وفى الطريق إلى صوبيبور توقف بهم القطار فى تشيلم، وتنقل بولندى بين عربات القطار لإحصاء عدد السجناء فسألوه إلى أين هم ذاهبون فأجاب بقوله: "إلى صوبيبور حيث يحرقون السجناء." عندئذ استبدت الدهشة بالشاهد يهودا ليرنر لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن يعرف شيئًا عن معسكرات الإبادة، وواصل القطار رحلته ليتوقف أثناء الليل، وانفتحت العربات ليرى السجناء أمامهم يافطة تحمل اسم "معسكر صوبيبور" وهناك قام ضباط الوحدة الخاصة بجر سكان جيتو مينسك، وسألهم أحد الضباط: "من منكم على استعداد للعمل الشاق؟" فلم يتطوع لأدائه سوى عدد قليل من السجناء، ووقع اختيار النازيين على ثمانين سجينًا واقتيد الآخرون بعيداً، وسرعان ما أدرك يهودا ليرنر أن معسكر صوبيبور معسكر هلاك وحرق وإبادة، وفى اليوم التالى لاختيار السجناء المطلوبين للعمل توجهوا إلى محل عملهم؛ حيث كلفوا بإنشاء مخزن تحت الأرض يحتفظ فيه بالأسلحة التى استولت عليها القوات النازية من الجيش السوفيتى، وما إن أدرك السجناء اليهود أن معسكر صوبيبور معسكر موت وإبادة حتى فكروا فى التخطيط للثورة.

ويختتم الشاهد يهودا ليرنر شهادته بقوله: إن أواصر الصداقة القوية ربطت بين السجناء القدامى والسجناء الجدد، وأن ساشا بيشرسكى أعد تفاصيل الثورة، وأضاف يهودا أن دوره فى هذه الثورة هو فصل رأس جرسشوتز Greischutz قائد الحامية عن جسده.

وقبيل اندلاع الثورة يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣، كلف يهودا ليرنر بوصفه نجاراً بالذهاب إلى معسكر صوبيبور رقم (١)، وزوده سزماجرنر Szmajner بهراوة حادة للغاية، واختبأ يهودا ليرنر وراء باب مخزن الملابس متربصاً ومنتظراً دخول جرسشوتز ثكنة الترزية ليجرب زيًا جديداً ويتأكد من أنه على مقاسه، وباغته يهودا بضربتين بالهراوة على رأسه كانتا كافيتين لقتله، واستولى الثوار على بندقيته وأيضًا انتظر يهودا ليرنر قدوم ضحية أخرى هو النازى فرنزل، ولكن فرنزل لم يحضر كما كان مقرراً فكتبت له النجاة من الموت.

يقول الشاهد يهودا: إنه سمع فى الساعة الخامسة مساء صيحات فرح وهتاف للحرية، فجرى ليقابل زملاءه السجناء، وتبعهم حاملاً غدارته، وقفز فوق الأسلاك الشائكة؛ ليجد نفسه فى الغابة المجاورة، وهناك غلبه النعاس فنام، ولم يستيقظ إلا فى الليل، وبمجرد استيقاظه واصل الجرى؛ كى يبتعد عن المعسكر القريب منه قدر الإمكان، وأثناء جريه قابل ثلاثة سجناء هاربين آخرين أحدهم هارب من شيروكا ويدعى بوريس وعاش هؤلاء الهاربون فى الغابة نحو ثلاثة أو أربعة أسابيع، ويحلول الظلام دخلوا القرى للحصول على الخبز، وكثيراً ما لجئوا إلى تهديد سكان القرية لانتزاع الخبز منهم.

وبالقرب من قرية لوتى Luty قابل الهاربون مجموعة أخرى من زملائهم الفارين تضم جولد فارب Gold Farb واثنين من سجناء الحرب القوقازيين، وخرج يهودا ليرنر بصحبة جولد فارب لإحضار بعض الطعام، وعند عودتهما وجدا المرحلين القوقازيين واليهود مقتولين، يقول الشاهد يهودا ليرنر: إنهما ظلا يجريان حتى التقيا بأحد ألوية المقاومة اليهودية فانضما إليه ثم التحقا بعد ذلك بالجيش البولندى.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بلغت المجموعة التى انضم إليها يهودا ليرنر مائة مقاتل، وبعد الحرب سافر يهودا إلى إسرائيل؛ حيث تزوج وكون عائلة وعمل ضابطًا فى البوليس الإسرائيلى.

(١٨) شهادة حاييم ليجست Haim Lejst

يقول حايم ليجست فى شهادة له بعنوان: "من سوخ ليبى Sucho- Lipie إلى صوبيبور " إنه ولد فى قرية قريبة من أعمال لوبلن اسمها زولكيفكا Zolkiewka التى لم يزد عدد العائلات اليهودية فيها عن ست عائلات، وأن والده كان مزارعًا، ولكن ما إن شبت الحرب العالمية الثانية حتى وفد إلى هذه القرية يهود كثيرون ينشدون الأمن والأمان، وكان فيها بولنديون يناصبون السامية العداء رغم حصولهم على شهادات جامعية، ويضيف حاييم ليجست أن النازيين زجوا بمعظم الشباب أمثاله فى معسكر بلزيك للاعتقال؛ حيث عاشوا مع الغجر حياة العوز والحاجة فلم يجدوا ما يقتاتون به أو ما ينامون عليه، وفى ربيع عام ١٩٤٢، روى لهم هارب من معسكر بلزيك المجازر التى حدثت فى هذا المعسكر، وفى مايو ١٩٤٢ صدرت الأوامر إلى سكان قرية سوخ ليبى بالذهاب إلى بلدة فيسوكى Wysoki ثم إلى بلدة جوررزكوف Gorzow.

كانت عائلة حايم ليجست تتكون من ثلاثين فردًا وتتحرك مع غيرها من العائلات اليهودية تحت إشراف حرس المعسكر، ومع ذلك فقد تمكن الشاهد حاييم ليجست من الهرب، كما تمكن من إقنا ع أحد الفلاحين بتوفير ملجأ له لفترة قصيرة، ولكن بعض القرويين الآخرين جردوه من ملابسه، وتركوه عريانًا فى الغابة، الأمر الذى اضطره إلى تغطية جسده العارى فى الشتاء بثياب خيال مآتة بالية وحتى لا يتضور جوعًا التجأ إلى سرقة حبات البطاطس وأكلها نيئة فأصابته العلل والأسقام، ونما إلى علمه أن بعض اليهود استمروا فى العيش فى إزبيكا Izbica فقرر الالتحاق بهم واستوقفه البوليس الألمانى وهو فى طريقه إلى إزبيكا وسأله عن المكان الذى ينوى الذهاب إليه، فرد بقوله: إنه ذاهب إلى إزبيكا، وسمح له رجال البوليس بالمرور وهم يقولون له: إن مصيرك محتوم على أية حال ".

وبحلول الربيع جاءت الشاحنات إلى أزبيكا لنقل اليهود إلى معسكر صوبيبور؛ حيث استقبلهم خمسة عشر رجلاً من رجال الوحدة الخاصة وعدد كبير من الحرس الأوكرانى، وصاحوا من وجوه السجناء طالبين من الرجال الوقوف على اليمين ومن

النساء الوقوف على اليسار، ووقع اختيار النازيين على أربعين فردًا كان حايم ليجست واحدًا منهم.

ومنذ اللحظة الأولى من حبسه فكر حايم ليجست فى التخلص من الحرس والهرب وخاصة لأنه كان جنديًا متمرسًا على استخدام السلاح، وفكر حايم ليجست بالاشتراك مع بعض السجناء فى مهاجمة الحراس فى وقت الغداء عندما يضعون بنادقهم جانبًا، ولكن حاييم لجيست لم يستطع تنفيذ هذه الخطة؛ لأن فاجنر التابع لوحدة البوليس الخاصة ألحقه بعمل آخر فى مجال زراعة الخضراوات والزهور، وطلب النازيون إلى المنشغلين بالزراعة خلط تربة الأرض برماد البشر المحترق للحصول على سماد أفضل، وبينما كان ليجست يعمل فى الحديقة قام كل من شلومو بودشلبنيك Shlomo Podch-lobnic ويوسل كومف Yosl Komf بقتل أحد الحراس والاستيلاء على بندقيته، ثم لاذا بالفرار مع بعض السجناء الآخرين، ولكن سرعان ما ألقى القبض عليهم وتم قتلهم مع عشر رهائن.

ويختتم ليجست شهادته بقوله: إن ثورة ١٤ من أكتوبر التى أضرمها وخطط لها ساشا يشرسكى، فى معسكر صوبيبور كانت أصلاً فكرة من اقتراح سجين يدعى كسيل Ksil من كراتسنيستاف Krasnystow الملقب بكسيل الحداد، ولكن هذا السجين مات مقتولاً قبل قيام الثورة فى ظروف غامضة، ويعترف ليجست أنه عمل فى فترة الإعداد للثورة كضابط اتصال بين معسكرى صوبيبور (١) و (٢) وأنه استفاد من عمله كبستانى بحرية التنقل فى أرجاء المعسكر سيرًا على الأقدام، ورغم نجاحه فى الهروب من معسكر صوبيبور إلى الغابة فإنه كابد الآلام نفسها التى كابدها جميع السجناء الناجين من الموت.

(١٩) شهادة حاييم تريجير Haim Treger

يذكر حاييم تريجير فى شهادة بعنوان: " من تشيلم إلى صوبيبور"، أنه من مواليد بلدة تشيلم وأن زوجته وطفليه تعرضوا للقتل، فى حين أنه فى نهاية المطاف زج به فى معسكر صوبيبور، ويستطرد قائلاً: إن قوات الحلفاء قصفت تشيلم مرتين فى سبتمبر ١٩٣٩، وفى أكتوبر من هذا العام قام الجيش النازى باحتلال هذه المدينة وأخذ منها عدداً من الرهائن، وكلفهم بتبليغ كل ذكور هذه المدينة الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والستين بضرورة التجمع فى ساحة السوق، وحاول اليهود الاختباء، ولكن رجال الوحدة الخاصة ألقوا القبض على ألفين منهم، ثم أرسلوهم بعد الاستيلاء على ساعاتهم ومجوهراتهم إلى بلدة هروبيزوف Hrubieszow. وحاولت نساؤهم وأطفالهم أن يتبعوا أهاليهم المقبوض عليهم. ولكن رجال الوحدة الخاصة منعوهم من ذلك وأطلقوا النار على جموع اليهود، فلم يصل منهم إلى بلدة هروبيزوف سوى ستمائة سجين توجهوا إلى سوكول Sokol على الحدود الألمانية الروسية، وفى الطريق تم اغتيال مائتين منهم وعند وصول هؤلاء المرحلين إلى روسيا رفض حرس الحدود دخول اليهود النازحين إلى الأراضى الروسية، فقام رجال الوحدة الخاصة بإلقائهم فى النهر، وهلك منهم نحو أربعمائة سجين، ثم أرسل النازيون الناجين من الموت إلى أحد الجيتوهات وأرغموهم على لبس شريط مميز فوق أذرعتهم يدل على هويتهم اليهودية، وتعين على هؤلاء السجناء أداء التحية الرسمية لكل ألمانى يقابلونه، كما حظر عليهم لبس أية أحذية نعالها من الجلد، وعندما شنت ألمانيا الحرب على روسيا السوفيتية ازدادت الأمور سوءاً، وفى بادئ الأمر لم يرحل إلى تشيلم سوى اليهود القادمين من تشيكوسلوفاكيا، وأصبحت تشيلم آنذاك مركزاً لتدريب الأوكرانيين على سرقة السجناء وترويعهم بتحريض من الألمان، وفقد حاييم تريجير زوجته، وأيضاً قام النازيون بانتزاع أطفال الجيتو من ذويهم متذرعة بأنهم سوف يلقون فى كنفهم الرعاية الواجبة، وهكذا أصبح الشاهد حاييم تريجير وحيداً ويائساً عندما قامت السلطات النازية بترحيله إلى معسكر صوبيبور، وفى ٢٢ من مايو ١٩٤٢ وضعه النازيون مع مائتى يهودى آخر فى قطار لنقل الماشية واضطروا إلى الانتظار فيه مدة ٤٨ ساعة قبل أن يتحرك بهم

القطار، وقد مات الكثيرون منهم أثناء السفر وعند وصولهم إلى صوبيبور كانوا مشدوهين ومشتتى الفكر، لدرجة أنهم لم يحسوا بصراخ النازيين فى وجوههم وضربهم لهم، وانتقى النازيون عدداً قليلاً من الرجال للانتفاع منهم، ثم قاموا بإبادة الآخرين وكانت الحياة فى المعسكر الجديد فى صوبيبور جحيماً لا يطاق بالمقارنة بحياتهم السابقة على دخولهم فيه، وفى صوبيبور كلفهم رجال الوحدة الخاصة ببناء فرن لإنتاج الخبز.

ويتناول حاييم تريجير فى شهادته الثورة التى نشبت فى صوبيبور فيقول: إن هذه الثورة منحت اليهود الثقة فى أنفسهم، كما أعطتهم فرصة قتل جلاديهم والثأر منهم.

ويختتم هذا الشاهد شهادته بقوله: إنه ظل يجرى فى الغابة طول الليل برفقة هارب قادم من وارسو، وبرع السجناء اليهود الهاربون من معسكر صوبيبور على الاختباء فى الغابة والجوس فيها ليلاً، كما أنهم دأبوا على تسول الخبز من الفلاحين والنوم فى أجران الغلال، وعند حلول الشتاء توسلا إلى أحد الفلاحين للسماح لهما بالاختباء فى حجرة نوم فوق السطوح، وبالنظر إلى أن رفيق حاييم تريجير كان ترزياً فإنه استطاع إغراء أحد الفلاحين بإيوائهما نظير قيامه بصنع بزة له، ولكن بمجرد أن انتهى الترزى اليهودى الهارب من صنع هذه البزة حضر البوليس وداهم مخبأه، فاضطر الهاربان إلى الاشتباك مع الشرطة التى نجحت فى قتل زميل حاييم تريجير، وظل تريجير طيلة النهار راقداً على الأرض، ثم أخذ عند هبوط الظلام يجوس فى الغابة؛ بحثاً عن أفراد المقاومة. يقول حاييم تريجير. إنه عاش على البطاطس النيئة ومضغ جذوع الأشجار.

وفى صباح أحد الأيام بعد قضاء الليل بجوار شجرة رأى حاييم تريجير فلاحاً يمسك جاروفاً فى يده، فتظاهر تريجير بإخراج مسدسه من جيبه، فأصيب الفلاح بالذعر وخاف هارباً، وهو يصرخ، وفى يوم آخر أخذت جماعة من البولنديين تضايقه فكذب عليهم وادعى أنه بولندى، وطلب منهم اقتياده إلى مقر قيادة المقاومة ونجحت هذه الحيلة في إنقاذه فاقتاده بعض الضباط وضموه إلى وحدتهم.

يقول المعلقون على هذه الشهادة: إن صاحبها حاييم تريجير عاد إلى مدينة تشيلم بعد انتهاء الحرب وتزوج من يهودية ناجية من الإبادة فى معسكر أوشفيتز ثم هاجر إلى إسرائيل حيث أنجب طفلاً، وبعد وفاته عام ١٩٦٩ تولت أرملته نشر شهادته.

(٢٠) شهادة إلياهو ليبرمان Eliahu Libermann

سطر إلياهو ليبرمان شهادة بعنوان: "مقابلتى مع الهاربين من معسكر صوبيبور" ذكر فيها أن أباه تشايم ليبرمان كان يبيع السمك فى بارزيو Parczew وأنه كان أكبر إخوته السبعة، ثم يضيف أنه ولد فى عام ١٩١٠ وأنه احترف مهنة والده بعد إتمام دراسته الابتدائية، وعند نشوب الحرب كان يعيش فى فولا ووروزنسكا Wola Woroczynska بالقرب من فلودافا، وفى فترة الاحتلال النازى عاد هذا الشاهد إلى بارزيو فأرسله النازيون – شأنه فى ذلك شأن جميع اليهود للعمل الشاق فى معسكرات العمل النازية.

وقام النازيون بتعذيب كثير من سجناء الحرب اليهود فى معسكر ليبوفا Lipowa المقام فى لوبلن، فقد كانوا يقتاودنهم حفاة الأقدام إلى بيالا بودلاسكا Biala-Podlaska فى طقس شديد البرودة تصل درجة حرارته إلى أربعين درجة مئوية تحت الصفر، ولم يتورع الألمان عن قتل الفلاحين البولنديين الذين أشفقوا على الجنود السجناء فأعطوهم أحذية برقبة، والجدير بالذكر أن ألفًا وخمسمائة سجين غادورا ليبوفا ولم يصل منهم إلى قرية دزيالى Dzialy سوى مائتين منهم، وتم حبس الباقين على قيد الحياة فى جرن أمضوا فيه ليلتهم، وقد مات معظمهم من الصقيع فى حين ضرب الآخرون بالرصاص.

وتولى اليهود فى بارزيو والشاهد إلياهو ليبرمان مسئولية دفن جثث موتاهم فى مدافن بارزيو، وفى أحد الأيام وصل إلى بارزيو عدد يتراوح بين خمسمائة وستمائة سجين اقتيدوا إلى المعبد اليهودى، واستطاع مئتان منهم الهرب والاختباء بين عائلات

يهودية، علمًا بأن البعض منهم جاء من وارسو والبعض الآخر من لودز، وتم إرسال الأربعمائة سجين الباقين إلى بيالا بودلاسكا حيث ضربهم النازيون بالرصاص.

وقد شاهدت نهاية عام ١٩٤١ مجزرة اليهود وترحيلهم من بارزيو ورغم أن عائلة ليبرمان تمكنت من النجاة فى بادئ الأمر فإنه قبض عليها فى أغسطس ١٩٤٢، وبينما القطار يقلهم إلى مصيرهم المحتوم قرر إلياهو ليبرمان الهرب مع عدد من الشباب، وأخفى سكينًا كبيرًا استخدمه فى عمل فجوة فى جدار عربة القطار. وكان هذا القطار يسير بسرعة هائلة عندما قفز منه ستة سجناء توفي ثلاثة منهم على قضبان السكة الحديد.

وبعد أن واجه الهاربون عدة صعاب التقوا بأفراد المقاومة وانضموا إلى مجموعة جيش الشعب الذى يتزعمه الكابتن زيمستا Zemsta وكان هذا الرجل البالغ من العمر خمسة وأربعين عامًا مغرمًا باليهود، فلا غرو إذا رأيناه يقدم العون والمساعدة إلى الهاربين منهم، ثم قابل ليبرمان شابًا فى الرابعة والعشرين اسمه يهيل Yehiel كما قابل الهاربين من معسكر صوبيبور الذين تجول الكثيرون منهم فى الغابة المجاورة لهذا المعسكر، وكذلك توفي الكثيرون منهم أثناء قتالهم فى صفوف المقاومة، ويذكر الشاهد إلياهو على وجه الخصوص شخصًا يدعى زيفيل Szefiel ونحو خمس فتيات هولنديات يهوديات كانت معرفتهن بلغة البيديش ضعيفة للغاية ولكنهن بذلن جهدًا لإجادتها.

ويختم إلياهو ليبرمان شهادته بقوله: إن القوات النازية نصبت لهم كمينًا فى ماكوزكى Majoszji، الأمر الذى أدى إلى قتل ١٢٠ منهم دفنهم رفاقهم فى الغابة، ويذكر ليبرمان أن أمه وأختيه توفين فى معسكرات الموت، وأن النازيين قتلوا بالرصاص أختًا أخرى له، كما أن إخوته الذكور ماتوا وهم يقاتلون الألمان ولكن والده وأختًا واحدة له نجيا من الموت، وبعد الحرب عاد إلياهو ليبرمان إلى بارزيو حيث تولى تنظيم مجموعة دفاعية أصبح قائدًا لها وأثناء إحدى المناوشات قتل النازيون ثلاثة أفراد من هذه المجموعة.

وفى نهاية الأمر سافر إلياهو ليبرمان إلى إسرائيل حيث تزوج واستقر هناك.

(٢١) شهادة جاكوب بيسكوبيز Jaco Biskubicz

يقول جاكوب بيسكوبيز فى شهادة بعنوان: "من هروبيسزوف Hronieszow إلى صوبيبور إن النازيين فى صبيحة أحد أيام شهر مايو طوقوا بلدة هروبيسوف ثم أخذوه وعائلته فى قطار يتجه إلى صوبيبور، ويضيف أن كثيراً منهم وافته المنية أثناء هذه الرحلة الشاقة، وعندما وصلوا إلى محطة قطارات صوبيبور كان أحد الضباط فى انتظارهم على الرصيف، وهو يصرخ فيهم قائلاً: "الرجال فى جانب والنساء فى الجانب الآخر" أو "الجميع يرقدون على الأرض" وظل هؤلاء السجناء راقدين على الأرض، لساعات متتالية، وخاضعين لتفتيش رجال وحدة البوليس الخاصة، ومن بين هذا الفوج وقع اختيار النازيين على ثمانين شخصاً للعمل من مجموع السجناء البالغ عددهم ثلاثة آلاف، فى حين أرسلت بقية الفوج إلى غابة واقعة فى مكان غير معلوم، ثم تم جمعهم فى ثكنة مع قدامى السجناء، كما تم اختيار سجينين منهم للعمل ككابوهين.

ويستطرد هذا الشاهد أنه لا يزال يذكر بوور Bauer ضابط الوحدة الخاصة وهو يتفقد متاع السجناء أثناء نقله إلى المستودع، وأنه رأى أمامه شابة تجرى كالملتاثة وهى تبحث عن طفلها، وكان النازى فرنزل قد عثر عليه وهشم رأسه على أحد القبضان الحديدية، أما زميله النازى فاجنر فكان من عادته أن يقتل الأطفال بركلهم بحذائه الطويل الرقبة، فضلاً عن أنه لم يتورع عن قتل الرضع والمرضى.

كان رجال الوحدة الخاصة والحرس الأوكرانى يخشون ثورة السجناء، ولهذا السبب كانت عربات القطار التى تنقل الفوج تفتح الواحدة تلو الأخرى عندما تصل إلى محطة صوبيبور تحاشياً لتجمهرهم وللقلاقل التى قد يثيرونها؛ والجدير بالذكر أن فوج السجناء القادم من مينسك فى سبتمبر ١٩٤٣ حاول التمرد بمجرد وصوله، فقاموا بقذف الحراس بالزجاجات والحجارة، فرد عليهم الحراس برصاص الرشاشات وأردوهم قتلى، ويذكر الشاهد أنه عرف ذلك من خلال عمله فى محطة السكة الحديد لمدة ثمانية أشهر، وفى تلك الفترة أجهز النازيون على مائتى سجين رأوا أنهم يتكاسلون فى العمل أو يتوقفون عنه؛ لالتقاط قطعة خبز ملقاة فى عربة البضائع، وفيما

بعد كلف النازيون جاكوب بيسكوبيز بالقيام بعمل منهك للغاية يتلخص فى جمع فروع الشجر من الغابة. ويقول الشاهد: إنه كان تواقًا لمعرفة ما يجرى فى المعسكر رقم (٣) وفى أحد الأيام بينما يدفع عربة بثلاث عجلات مليئة بمادة الكلوزين تجاوز المسافة المسموح له باجتيازها، فكاد أن يفقد حياته ثمنًا لهذا، ولم تغب فكرة الهرب عن باله قط، ولكن تخلى عنها كى يلازم والده الذى أصابه المرض فأعجزه عن العمل، وأراد الابن أن يؤدى عمل والده رحمة به، وعندما اشتد المرض على الأب قام فاجنر وفرنزل باقتياده بعيدًا عن موقع العمل، وأراد الشاهد أن يجرى خلف والده ، ولكن اثنين من زملائه السجناء أمسكا به، وترامى إلى سمع الشاهد صوت طلقة رصاص فأدرك أن النازيين قتلوا أباه.

راقب جاكوب بيسكوبيز عن كثب محاولات هرب السجناء فى معسكر صوبيبور ويذكر لنا أن أول محاولة هرب ناجحة كانت لسجين اختبأ فى شاحنة ملابس أرسلها رجال الوحدة الخاصة إلى ألمانيا.

ويختتم جاكوب بيسكوبيز شهادته بقوله: إن أول مجموعة من لجنة تحرير معسكر صوبيبور تكونت من نحو عشرة أو اثنى عشر عضوًا كان ليون فيلدهندلر واحدًا منهم، وقد أصبح هذا المرحل ضابط الاتصال بين اليهود الهولنديين ويهود مينسك الذين تولوا تنظيم الثورة، ويروى لنا الشاهد عن هربه من صوبيبور، فيقول: إنه كان يجرى مع زميل سجين يدعى دافيد عندما قابلا النازى بوور وشاحنة مليئة بالزجاجات، وقام بوور بقتل رفيقه بالرصاص فجرى جاكوب بيسكوبيز واختبأ فى المعسكر رقم (٤) وعند هبوط الظلام قام بقطع الأسلاك الشائكة بسكين كانت بحوزته، وظل يتجول فى أرجاء الغابة لبضعة أسابيع، وهناك انضم إلى صفوف المقاومة وظل يقاتل حتى تحرير معسكر صوبيبور.

(علمًا بأن هذا الشاهد ولد فى ١٧ من مارس ١٩٢٦ فى بلدة هروبينروف وأنه هاجر بعد تحرير معسكر صوبيبور إلى إسرائيل).

(٢٢) شهادة موشيه هوشمان Moshe Hochman

جاء فى شهادة موشيه هوشمان التى تحمل عنوان:" من زولكيفكا Zolkiewka إلى صوبيبور " أنه فى نهاية ربيع ١٩٤٢ عرف من الفلاحين أن اليهود ابيدوا فى معسكر بلزيك "، وفى إحدى أمسيات أيام الجمع قال هذا الشاهد إلى زوجته المشغولة بإضاءة الشموع احتفالاً بعشية يوم السبت المقدس: وأضيئ شمعة إضافية من أجل ذكرى موتانا وليودع الواحد منا الآخر لأننا لا نعرف ماذا ينتظرنا. "وبعد مضى أيام على هذا تم ترحيل موشيه هوشمان وزوجته، وفى أثناء ترحيل السجناء، حاول ثلاثة منهم الهرب، فقتلهم الحراس، وقطع السجناء المرحلون مسافة ثمانية وعشرين كيلو مترا سيراً على الأقدام فى بلدة زوكليفيكا إلى بلدة كراسينستاف Krasnystow ثم قام النازيون بشحن هذا الحشد من السجناء اليهود فى قطار ماشية إلى معسكر صوبيبور.

وعندما وصل السجناء إلى هذا المعسكر كان فى انتظارهم أحد ضباط وحدة البوليس الخاصة الذى صاح فيهم: ليتقدم الراغبون فى العمل إلى الأمام، ووقع الاختيار على ثمانين سجيناً اقتيدوا إلى معسكر صوبيبور؛ حيث مكثوا على الأرض أربعاً وعشرين ساعة تحت حراسة الأوكرانيين، وانصرف تفكير هؤلاء السجناء إلى الهرب دون أن يعرفوا السبيل إليه، فقد كان المعسكر محاطاً بثلاثة صفوف من الأسلاك الشائكة، فضلاً عن أن مائتى أوكرانى وعامل بوحدة البوليس الخاصة تولوا حراسته، وفكر سجين شاب فى إشعال حريق أملاً فى أن ينصرف رجال الوحدة الخاصة إلى إطفائه، فتسنح له فرصة الهرب، ونظراً لأن الشاهد كان يعمل فى ثكنة الترزية فقد كلفته لجنة تحرير المعسكر بمهمة الإجهاز على النازى نييمان Niemann أثناء ذهابه إليها لقياس بعض الملابس الجديدة المعدة خصوصاً له وأفلحت هذه الخطة، فقد قام سجين روسى بقتل نييمان بفأس أثناء انشغاله بقياس بزته الجديدة، ثم قام السجناء بلف جثته فى بطانية وأخفوها عن الأنظار، ويستطرد هذا الشاهد قائلاً: إن مجموعة من السجناء الثوار نجحوا فى اجتياز الأسلاك الشائكة، وضمت هذه المجموعة ليون فيلدهندلر ويوسل Yosale ابن حبر بلدة إزبيكا، إلى جانب السجين الذى أجهز

على نييمان ونظراً لجهله باللغة البولندية طلب قاتل نييمان البقاء مع الشاهد، وظل الرجلان يتجولان معاً لعدة أيام حتى وصلا إلى النهر فتعين عليهما اجتيازه عن طريق معبر لزن رفيقه كان لا يستطيع السباحة، وعثر الرجلان على حقل مزورع بالجزر فأكلا منه، ثم سارا فى الطريق المؤدى إلى زولكيفكا، حيث قابلهما ضابطان بوحدة البوليس الخاصة مدججان بالسلاح قالا لهما: "ارفعا أيديكما". فأجابا بأنهما بولنديان فى طريقهما إلى كراسنيستاف للبحث عن عمل، وقام الضابطان بتفتيشهما فوجدا فى جيوبهما بعض الجزر، وطلب الضابطان منهما التوجه إلى قسم البوليس للتأكد من هويتهما البولندية؛ عندئذ لاذ موشيه هوشمان بالفرار فأطلق الشرطيان عليه النار، غير أنه لم يصب بسوء، وتمكن من الوصول إلى قرية بابيرزن Papierzyn حيث عاش عند فلاح من معارفه، ومع انبلاج الفجر دق الشاهد على باب مسكنه، فسأل الفلاح عن المكان الذى جاء منه، فأجابه بقوله: إنه جاء من معسكر صوبيبور، ورغم الخطورة المحدقة به فقد سمح له الفلاح بقضاء اليوم فى جرنه، ثم غادر الشاهد هذا المكان متوجهاً إلى مزرعة أخرى يعرفها جيداً، ولكن صاحب هذه المزرعة اعتذر عن عدم استضافته بسبب انتشار رجال الشرطة فى كل مكان، فاضطر موشيه هوشمان إلى مواصلة السير إلى بلدة لوبلن (أو ماجدانيك) أملاً فى العثور على رجال المقاومة ضد النازيين، ولكن لسوء حظه لم يجد فى لوبلين أياً منهم وزاد من سوء حظه أن أخبار ابنه وأولاد عمومته انقطعت عنه، ولكنه علم بعد انتهاء الحرب أنهم هلكوا فى الغابة.

واختبأ موشيه هوشمان لمدة سبعة أشهر فى اصطبل خيل يملكه أحد الفلاحين فى بلدة بابيرز ولم يغادره إلا بعد تحرير معسكر صوبيبور ويذكر هذا الشاهد أنه كان اليهودى الوحيد الذى بقى فى رولكيفكا؛ حيث التحق بخدمة ترزى بولندى وكسب نقوداً تكفيه لشراء بعض الملابس غير أنه ما لبث أن ترك خدمة هذا الترزى.

(٢٣) شهادة حاييم بوروزنيك Haim Powroznik

يذكر حاييم بورزنيك فى شهادة له بعنوان: "من تشيلم إلى صوبيبور" أنه من مواليد عام ١٩١١ فى بلدة ليوبوميل Liubomil حيث عاش حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، وفى ١٩٣٩ زج به فى السجن، ولكن ما لبث أن أطلق سراحه، وقد ألحقه النازيون بمعسكر تشيلم للعمل.

وفى نحو شهر فبراير أو مارس ١٩٤٣ حضر ضابط بوحدة البوليس الخاصة اسمه فايس Weiss إلى معسكر تشيلم وطلب من السجناء الانتظام فى طوابير والتوجه إلى المحطة؛ كى يستقلوا القطار المتجه إلى معسكر صوبيبور، وعبثًا حاول بعض السجناء الهرب؛ لأن الحراس أطلقوا النار عليهم، ولكن لم يتمكن من الفرار سوى قلة ضئيلة منهم وكانت القافلة التى تضم هذا الشاهد تتكون من ١٢٠ سجينًا و٦٠ سجينة، وما إن وصلت هذه القافلة إلى صوبيبور حتى عبر فاجنر عن حاجته إلى اثنى عشر نجارًا، وتقدم حاييم بورزنيك للعمل كنجار، فقبله فاجنر، وعينه فى المعسكر رقم (١) فى حين أن بقية مجموعته التحقت بالمعسكر رقم (٣).

وفى فبراير ١٩٤٣، نما إلى علم الشاهد حاييم بوروزنيك هروب أحد حراس المعسكر واثنين من سجنائه، فانتقم الألمان بإطلاق النار على مائة وخمسين عاملاً وتمكن الهاربون من حفر نفق يمتد إلى ثلاثين مترًا؛ فأجهز النازيون عليهم، بسبب وشاية البعض عليهم، وبعد ذلك ألقى النازى فرنزل خطابًا فى السجناء قال فيه: "لقد حاول بعض المجرمين الهجوم علينا، ولكنهم دفعوا حياتهم ثمنًا لهذا، أنتم عمال صالحون، وسوف تبقون معنا وسوف يكون كل شىء على ما يرام". ثم انتقى ثلاثين سجينًا أرسلهم للعمل فى المعسكر رقم (٣).

(٢٤) شهادة يهزقيال مينشي Yehez Menche

يقول يهزقيال مينشى فى شهادة تحمل عنوان: "من كولو Kolo إلى صوبيبور" إنه ولد فى بلدة كولو القريبة من لودز وإنه ينتمى إلى عائلة كبيرة العدد يصل عدد أفرادها إلى ما لا يقل عن مائتى فرد، ويضيف أن عائلته رحلت إلى إزبيكا فى ديسمبر ١٩٤٠ وأنه أرسل برفقة عشرين من أقاربه إلى معسكر صوبيبور، "وكان الفوج الذى يضمهم مكونًا من ستة آلاف سجين على أقل تقدير وصلوا إلى أرض المعسكر على متن عربات قطار شديدة الاكتظاظ فى مجموعات تتراوح المجموعة الواحدة بين ١٢٠ و١٥٠ سجينًا ورغم كثافة عدد هؤلاء المرحلين لم يقع اختيار النازيين إلا على عدد ضئيل منهم، لا يزيد على أربعين حرفيًا، وكان الشاهد واحداً من بين ثلاثة تم اختيارهم للعمل كترزية، وألقى رجل الوحدة الخاصة واسمه ستوبل Steubel على مسامعهم خطبة وعد فيها بمنحهم مساحات واسعة من الأرض فى أوكرانيا؛ حيث يعملون فى هدوء وسكينة، ثم نصحهم بالذهاب لتغيير ملابسهم، مضيفًا أنهم سوف يكتبون خطابات يطمئنون فيها أسرهم إلى سلامة الوصول، وأنهم فى منتهى الرضا عن حياتهم"، والجدير بالذكر أن النازيين زجوا بمعظم هؤلاء السجناء فى المعسكر رقم (٣).

وأيضًا يذكر لنا الشاهد مينشى الجرائم والتصرفات السادية التى كان فايس رجل الوحدة الخاصة يرتكبها، ففى أحد الأيام أمر هذا الضابط بإلباس سجين على هيئة النبى موسى، وأرغمه على الصعود فوق مائدة، وطلب منه أن يغنى الأغنية التالية "موسى موسى لقد فقدت إخوتك، كما أن العالم سوف يعيش فى سلام بانتهاء إخوتك اليهود، فيقوم السجناء الآخرون بالجثو على ركبتهم مرددين آمين" على هذا الدعاء ضد بنى إسرائيل، الأمر الذى أدخل البهجة والسرور على رجال الوحدة الخاصة.

ومن دلائل شذوذ فايس وغرابة أطواره أنه كان يرغم كل سجين على البحث عن كمية معينة من دود الأرض، فإذا عجز سجين عن العثور على كمية الدود المطلوبة، تلقى خمسة وعشرين جلدة بالسوط، ودفعت هذه الأحوال السيئة السجناء إلى التفكير فى الهرب من المعسكر، ولكن لم يعرفوا كيف السبيل إليه، غير أن السجناء توصلوا في

أكتوبر ١٩٤٣ إلى خطة متكاملة وتنفيذ هذه الخطة كان من المفترض تقسيم الأربعين سجينًا إلى مجموعتين وتحدد قيام الثورة يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣، وكلف يهزقيال مينشى بالانضمام إلى مجموعة مهمتها القضاء على ستة عشر ضابطًا بوحدة البوليس الخاصة والاستيلاء على أسلحتهم، ولهذا كلفت المجموعة الثانية بالهجوم على مخزن الأسلحة، وكان يفترض بعد أداء كلتا المهمتين أن تتحد المجموعتان وتدعوان جميع السجناء إلى الثورة والهروب من المعسكر، وكلفت المقاومة كلاً من السجينين ليرنز ويهزقيال بالإجهاز على جريشوتز Greischutz وكلات Klat أثناء قياسهما بعض الملابس الجديدة فى محل الترزية، وفى ١٣ من أكتوبر تولى السجينان تجهيز الهراوات للإجهاز بهما على جريشوتز وكلات، ثم توجها إلى مدخل المعسكر، واستشعر رجال الوحدة الخاصة الخطر المحدق بهم، فأخذوا يطلقون وابل الرصاص، الأمر الذى جعل السجناء يجرون فوق الأسلاك الشائكة، ويقفزون عليها، ويذهب هذا الشاهد إلى أن مائة سجين فقط من مجموع السجناء البالغ عددهم ستمائة سجين أمكنهم الاختباء فى غابة بارزيو على الطريق من لوبلين إلى زاموسك.

لم يكن الألمان أعداء السجناء الوحيدين؛ حيث إن هؤلاء السجناء كانوا موضع بغضاء الحرس الأوكرانى والبولنديين الفاشيست.

وبحلول عام ١٩٤٥ لم يبق على قيد الحياة من ثوار معسكر صوبيبور اليهود سوى ثلاثين سجينًا.

ويختتم هيزقيال شهادته بالحديث عن الدور البطولى الذى لعبه ساشا بيشرسكى وفيلدهندلر الذى اغتاله فاشيون بولنديون بعد تحرير معسكر صوبيبور.

(٢٥) شهادة سالوميا هانيل Solomea Hannel

تقول سالوميا هانيل فى شهادتها "من أوسترزكى دولون Ustrzyki Dolone إلى صوبيبور:" إن قرية أوسترزكى دولن شهادتها أول حصار فرض على اليهود فى

يونيه ١٩٤٢ فى حين كان الحصار الثانى المفروض عليهم فى شتاء العام نفسه، ونتيجة لهذين الحصارين اقتيد مئات من اليهود إلى هاوية سحيقة لتنفيذ الإعدام فيهم، وقبل رميهم بالرصاص خاطب واجد من رجال الوحدة الخاصة الضحايا بقوله: "انظروا إلى الشمس الساطعة وبهاء العالم، ولكن العفن سوف يدب فى أجسامكم. أرسلت سالوميا هانيل إلى صوبيبور مع اليهود الباقين على قيد الحياة، واستغرقت الرحلة إلى هذا المعسكر ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، فأصيب بلوثة عقلية من أصيب ومات منهم من مات، وأثناء الرحلة أجهز النازيون على أحد الأطفال، وفى كل مرة توقف فيها القطار كان المرحلون يشترون الثلج من البولنديين يطفئون به ظمأهم نظير مائتى زيلوطة دفعها كل سجين منهم، وقد بلغ عددهم ثلاثمائة سجين مرحل، وانتقى الألمان ثمانية عشر شابًا وسبع فتيات احتفظوا بهم سالمين، فى حين أرسلوا الآخرين إلى حتفهم، وتذكر لنا الشاهدة سالوميا أن غرف الغاز تعطلت عن العمل فى أحد الأيام فخرج السجناء من هذه الغرف للسير فى طرقات المعسكر تحت وطأة سياط الأوكرانيين الفاشيست وأجبرت السلطة النازية بعض الضحايا على كتابة خطابات إلى ذويهم؛ كى يطمئنوهم على سلامة وصولهم.

تقول الشاهدة: إن عملهم بدأ فى الخامسة صباحًا، وأنه لم يمر يوم واحد دون إعدام عدد من السجناء، فقد كانت سرقة قطعة من الزبد كافية للحكم على السارق بالإعدام، وإذا حدث أن نازيًا وهب سجينًا هدية؛ لأنه أدى له خدمة خاصة يقوم نازى آخر بقتل هذا السجين لتلقيه هذه الهدية غير المشروعة، وأيضًا كان النازيون يقتلون السجناء الذين يتباطئون فى أداء أعمالهم فضلاً عن فظاعة الطعام المقدم إلى السجناء، وفى أحد الأيام وصل فوج من السجناء إلى معسكر صوبيبور يضم عددًا كبيرًا من الموتى بينهم نسوة حديثات الولادة، وتختتم سالوميا هانيل شهادتها بقولها: إن سلطة معسكر صوبيبور عززت الحراسة فيه قبل اندلاع الثورة بثلاثة أسابيع، وسمع السجناء أصوات الطلقات، فأخبرتهم إدارة المعسكر أنها قتلت ١٦ سجينًا لمحاولتهم الهرب، وتنوه الشاهدة بفضل اليهود الروس بزعامة ساشا بيشرسكى، فى تنظيم صفوف بنى جلدتهم المرحلين والإعداد لقيام الثورة الذى تعتبره هذه الشاهدة إعدادًا ناجحًا فى

القضاء على رجال الوحدة الخاصة، وتضيف أن أحد رجال الوحدة الخاصة رأى بمحض الصدفة جثتين لزميلين له مقتولين فوق جرس الإنذار لتنبيه الأوكرانيين والألمان كى يهبوا للدفاع عن أنفسهم.

وتختتم الشاهدة شهادتها قائلة: إنها استطاعت الهرب من معسكر صوبيبور والوصول إلى إحدى القرى، وقد كتبت لها النجاة من الموت؛ لأن ملامحها لم تكن يهودية على الإطلاق، الأمر الذى ساعدها على الذهاب إلى بلدة كراكو والاختلاط بسكانها غير اليهود.

والجدير بالذكر أن سالوميا هانيل أدلت بشادتها عام ١٩٤٧ وأن هذه الشهادة محفوظة فى متحف الناجين من الهولوكست فى أورشليم المعروف باسم يادفاشيم Yad Vashem

(٢٦) شهادة زيلدا ميتز Zelda Metz

سطرت زيلدا ميتز شهادة بعنوان:"من ستاف Staw إلى صوبيبور" جاء فيها أنها كانت فى عام ١٩٣٩ تلميذة فى الرابعة عشرة من عمرها تعيش مع أختيها وفى كنف والديها، وتضيف أنها الوحيدة من عائلتها التى قيض لها النجاة من الموت.

ولدت زيلدا فى قرية تبعد خمسين كيلو مترًا عن معسكر صوبيبور، وأخبرها الفلاحون البولنديون أن اليهود قدموا إلى صوبيبور من كل حدب وصوب، وأنهم جميعًا لقوا حتفهم، يقول أهل القرية فى هذا الشأن: "كنا نشاهد ألسنة النار المتصاعدة من المحارق على بعد خمسة عشر كيلو مترًا".

وفى يوم ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٢، وصلت القوات النازية من تشيلم معلنة ضرورة تطهير هذه البلدة من اليهود الذين طلبت منهم النزوح إلى فلوداف؛ حيث يجرى بناء مدينة مخصصة لهم، وقدم بعض اليهود الرشاوى لألمانى مسئول عن الترحيلات اسمه هولز هامر Holzhammer كى يرسل ثمانمائة يهودى إلى ستاف Staw، فى حين أرسل

الباقون إلى فلودافا، ثم إلى صوبيبور وسافرت عائلة زيلدا ميتز إلى ستاف؛ حيث زج بأسرتها فى معسكر عمل لتعمل اثنتى عشرة ساعة يوميًا، وكان الطعام المقدم للسجناء يتكون من القهوة فى الصباح و٢٥٠ جرامًا من الخبز فى الغداء وسلطانية شوربة فى المساء، وقبل وصول زيلدا ميتز وعائلتها إلى ستاف كان يهود ستاف قد تم ترحيلهم إلى صوبيبور.

عاشت زيلدا وعائلتها فى طاحونة قديمة فى ظروف معيشية فظيعة وتسبب التيفوس فى وفاة الكثيرين، وكان السجناء يؤدون أعمالهم تحت إشراف هولز هامر الذى كان يتفنن فى استغلالهم والكذب عليهم، فهو يعدهم بالعودة إلى أوطانهم وعائلاتهم فى حين أنه كان ينوى إرسالهم إلى معسكر الإبادة فى صوبيبور، كانت المسافة الواقعة بين ستاف وصوبيبور لا تزيد عن ٤٢ كيلو مترًا، ولهذا تم شحنهم فى عربات تجرها دواب إلى هذا المعسكر الذى وصل المرحلون إليه فى المساء، وأخذ النازيون يدخلون فيه العائلات المرحَّلة الأخرى، وقام فاجنر بوحدة البوليس الخاصة باختيار ثلاثة رجال وامرأة طلب من المرأة انتقاء إحدى عشرة فتاة يجدن أعمال التطريز وشغل الإبرة، فاختارت خمس عشرة فتاة ممن يتقن هذا العمل، وقد كلفن بصنع الجوارب والبلوفرات، ولهذا استولى النازيون على كل الأصواف الموجودة فى متاع السجناء، وكانت المنتجات الصوفية تصنع لصالح ضباط وحدة البوليس الخاصة فاجنر وفرنزل ونييمان وجرتشوتز وروست Rost وويتلاند Wetland وكثيرين غيرهم، وتذكر الشاهدة زيلدا أسماء بعض الحرس الأوكراني الذين ساموا السجناء من العذاب أمثال إيفان فولوديا Voldia وكلات على وجه الخصوص.

كانت مساكن الألمان تقع خارج المعسكر وكان الأوكرانيون المرحلون من دنبروير تروفسك يقومون على خدمتهم، وكان النازى فاجنر يتميز بالوحشية والشراسة ومعروفًا بسفك الدماء، يتلذذ بقتل سجين كل يوم على أقل تقدير، وكانت عائلة زيلدا تعيش فى المعسكر رقم (١)، فى حين كان المعسكر رقم (٢) خاليًا من النزلاء؛ حيث إنه خصص كمكتب لإحصاء ممتلكات اليهود، ولم يدرك سجناء صوبيبور القادمون من أوربا الغربية

أنهم يعيشون فى معسكر إبادة، وطلب منهم الموظف المسئول فى مكتب الإحصاء أن يحفظوا أرقام الإيصالات التى أعطيت إليهم عند تسليم ممتلكاتهم وملابسهم إلى المكتب المشار إليه، وأنها لسخرية ما بعدها سخرية إعطاء السجناء هذه الإيصالات قبيل إرسالهم إلى غرف الغاز، ومن براءاتهم ظن السجناء القادمين من البلاد الغربية أنهم فى طريقهم إلى الاستحمام وأخذ دش وأيضًا أنها لمفارقة ما بعدها مفارقة أن ينبه النازيون عليهم ضرورة الاحتفاظ بأرقام سجنهم وهم فى طريقهم إلى الموت، غير أن السجناء القادمين من شرق أوربا كانوا يعلمون أن المعسكر رقم (٣) معسكر إبادة رغم أنهم لم يكونوا قد شاهدوه.

تقول زيلدا فى شهادتها: إن جميع السجناء كانوا يفكرون فى الهرب لإطلاع العالم على الجرائم النازية التى تقترف فى معسكر صوبيبور، كانت زيلدا فى السابعة عشرة من عمرها عند الزج بها فى هذا المعسكر، وفى ليلة ليلاء نجح اثنان من السجناء فى الهرب وعبور الأسلاك الشائكة، قامت إدارة المعسكر بقتل عشرين سجينًا عاملاً للانتقام من هرب السجينين، وأيضًا كانت هناك محاولة مماثلة للهرب فى معسكر فالد Wald ولكن النازيين تمكنوا من القبض على معظم الهاربين وتنفيذ حكم الإعدام فيهم، وفى شهر يونيه أو يوليه ١٩٤٣ أيقظ النازيون السجناء والسجينات فى منتصف الليل لإحصاء عددهم مرتين لمدة نصف ساعة، ثم قام الحرس الأوكرانى بتصويب الرشاشات نحوهم، ولكنهم سمعوا أصوات طلقات نارية قادمة عن بعد، وعلم السجناء فيما بعد أن رجال المقاومة حاولوا تحرير المعسكر ولكنهم أخفقوا فى ذلك، وألقى فرنزل خطابًا مفاده أن عصابات حاولت فى الليلة الماضية الاقتراب من المعسكر ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين.

وفى صيف ١٩٤٣ كانت زيلدا تعمل فى تشييد المعسكر رقم (٤) الذى كانت وحدة البوليس الخاصة تتعجل بناءه، ولهذا قامت هذه الوحدة الخاصة بتشكيل فريق عقوبات ألزم العمال بأكل طعامهم أثناء الجرى، وكانت نتيجة هذه العجلة المحمومة والإنهاك الشديد وفاة نحو أربعين أو خمسين سجينًا وسجينة أثناء تشييد المعسكر.

وفى سبتمبر ١٩٤٣ تم تعزيز حراسة المعسكر أثناء النهار، وشغل رجال الوحدة الخاصة أبراج المراقبة وهم مدججون بالمدافع الرشاشة، وسمع السجناء أصوات طلقات رصاص آتية من المعسكر رقم (٣) فأخبرهم فرنزل فيما بعد أن اليهود فى المعسكر أرادوا تنظيم عملية هروب جماعية فتمت إبادتهم عن بكرة أبيهم، والحقيقة أن السجناء اليهود نجحوا فى حفر نفق تحت الأسلاك الشائكة ولكن شخصًا وشى بهم.

وتؤكد زيلدا أن فكرة الهرب لم تبارح أذهان السجناء وأنهم تناقلوا هذه الفكرة أثناء ساعات العمل، ولهذا فكروا فى إشعال النار فى المخازن حتى ينشغل النازيون بإطفائها فيستغل السجناء الفوضى الناجمة فى الهرب، وأيضًا فكر السجناء الشبان الذين تولوا تنظيف أحذية وحجرات نوم النازيين فى القيام بقتل هؤلاء النازيين أثناء رقادهم فى فراشهم فى الصباح، ولكن اليهود الهولنديين والألمان ازوروا عن فكرة التمرد لأن جهلهم باللغة البولندية سوف يكون عقبة كأداء أمامهم حتى فى حالة نجاح خطة الثورة، فضلاً عن أن جهلهم بطوبوغرافية الأراضى البولندية سوف يؤدى فى نهاية الأمر إلى هلاكهم.

وتختم زيلدا ميتز شهادتها بقولها: إن السجناء الروس اشتركوا مع ليون فيلدهندلر فى تنظيم هروب جماعى ضخم، ولكن زيلدا تعترف بعدم معرفتها بتفاصيل خطة الهرب، وأضافت أنه تم قتل الحارسين نيمان وجترنجر Getzinger فى الورشة وأن المصير نفسه: كان ينتظر كلات وبيكمان Bechmann وستوبل Staubel واستطاع ثلاثة من رجال الوحدة الخاصة هم فرنزل وبوور وريختر Richter النجاة من الاغتيال واستطردت الشاهدة قائلة: إنها كانت فى الخامسة من مساء يوم الثورة تقف بالقرب من ساشا زعيم الثورة، وكانت الأسلاك الشائكة قد قطعت وأطلق الحرس الأوكرانى النار فقتل الكثير من السجناء فضلاً عن أن بعضهم هلك فى حقول الألغام، ولكن عددًا كبيرًا منهم نجح فى الهرب والتحق بصفوف المقاومة ضد النازية واستطاعت زيلدا الاختباء بين الفلاحين والحصول على مستندات مزورة تثبت أنها تنحدر من أصول آرية ثم ذهبت إلى بلدة ليفوف Luov حيث عاشت عيشة طبيعية حتى نهاية الحرب.

والجدير بالذكر أن هذه الشاهدة نشرت شهادتها فى كراكو عام ١٩٤٥ فى كتاب يحمل عنوان: "وثائق عن الجريمة والشهادة"، وأنها هاجرت إلى الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب.

(٢٧) شهادة ميخائيل كنويفماخر Micheal Knopgmacher

يقول ميخائيل كنويف ماخر فى شهادته بعنوان:" فى ظل صوبيبور": إنه ولد فى بلدة كولاز Kolacze بالقرب من لوبلن فى عائلة تتكون من ثمانية أطفال وأن البولنديين الذين يعيشون فى هذه المنطقة كانوا يؤمنون بالعقيدة الأرثوذكسية، كما أن عداوتهم للسامية كانت أقل من عداوة الكاثوليك لها، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت بلدة كولاز خالية من البوليس الألمانى مما جعل اليهود لا يلبسون أية شارة على أذرعهم تدل على هويتهم، ولكن فى يوم من الأيام أمسكه بعض الشبان البولنديين وأرادوا إنزال العقاب به لعدم لبس هذه الشارة وحاولوا إغراقه لو لا أن بعض الفلاحين العواجيز منعوهم من ذلك.

وفى إحدى ليالى شتاء عام ١٩٤١ جاء إلى بيت هذا الشاهد يهودى من الطائفة الهاسيدية بصحبة حبر بلدة رادزن Radzin كان الألمان يبحثون عنه للقبض عليه، وأشفقت أمه على هذا الحبر، وأكرمت وفادته فتأثر الحبر بنبل أخلاقها وسألها إذا كان بإمكانه أن يفعل شيئًا من أجلها فردت عليه بقولها: "صلِّ إلى الله كى يحفظ ولدى من الموت، ثم أقم صلاة الموتى على جثمانى بعد وفاتى " ويضيف الشاهد أن جميع أفراد عائلته أبيدوا ولم يبق منهم على قيد الحياة سواه وسوى أخيه.

ويستطرد هذا الشاهد أنه صدرت أوامر فى مارس ١٩٤٢، إلى جميع اليهود فى المنطقة للاجتماع فى فلودافا ولكنه امتنع عن تنفيذ الأمر، وساعده على ذلك أن فلاحًا يدعى جورزوك Jurczuk سمح له بالعمل عنده كراعى غنم، وكان آنذاك فى الخامسة عشرة، وبعد مضى أسبوع على ترحيل والديه أخبره الفلاح أنه لم يعد فى مقدوره تشغيله؛ لأن ذلك سوف يعرض حياته للخطر؛ حيث إن الألمان يوقعون عقوبة الإعدام

على كل من يقوم بتخبئة يهودى ورغم ذلك وقد وعده بإعطائه شيئًا من الطعام شريطة أن يأتى إليه تحت جنح الظلام، ثم ذهب الشاهد إلى الغابة، ونام فيها ممسكًا بعصا فى يده، ورغم أن الفلاحين كانوا على علم بمكان اختبائه فإنهم لم يحاولوا التبليغ عنه.

انقضى الصيف، وكان الفلاحون من وقت إلى آخر يبلغونه بآخر الأخبار عن اليهود الذين يعيشون فى جيتو فلودافا وطلب من هؤلاء الفلاحين إرسال التحية والسلام إلى أفراد أسرته، وذات ليلة بينما هو مختبئ فى أكوام القش سمع بعض الأصوات فانتابه الذعر وكان يحمل معه العصا التى لم تفارقه، وانتظر وأرهف السمع فاكتشف أن الأصوات التى ترامت إليه تتحدث بلغة اليبيدش وأنها لأخيه وإحدى أخواته كان حديثهما يدور حول الحصار المضروب على يهود فلودافا الذين تعرضوا للقتل والترحيل إلى معسكر صوبيبور وتحدثت بعض الأصوات عن تمكن بعض السجناء من الهربْ للغابة واستحالة العيش فيها فى فصل الشتاء، وفى أحد الأيام قابل الشاهد ميخائيل فى مزرعة الفلاح الذى سبق أن أكرم وفادته ممرض القرية واسمه رومياخ، وسمع هذا الممرض يقول للفلاح: "احتجزه لأننا سوف نسلمه إلى البوليس ونقايض عليه بكمية من السكر والملح" ولكن الفلاح الشهم رفض تسليمه.

ويضيف هذا الشاهد أن مجموعة من الفارين من بلدة بارزو إلى الغابة وقعوا فى يد الجندرمة فقاموا بنتف ذقونهم، وتجريدهم من ثيابهم وقايضوا عليه بالزبد، ثم بدأ الجندرمة في إطلاق الرصاص عليهم وقتلوا السواد الأعظم منهم وبعدئذ قرر الشاهد بعد أن التقى بأخيه وأخته الالتحاق بوالديه فى معسكر أدمبول Adampole لأنه استحال عليهم قضاء الشتاء فى الغابة.

وعندما وصل الشاهد وأخوه وأخته إلى أدامبول علم أن جدته مصابة بداء عضال، وأنها بقيت فى بلدة فلودافا فتخفى فى زى فلاح لرؤيتها في أحد أيام الجمع؛ حيث كان من عادة الفلاحين فى الريف التوجه إلى طاحونة فلودافا لطحن غلالهم، وفى الطريق قابلهم رجال الوحدة الخاصة وسألوهم إذا كانوا بولنديين أم لا؟ فأجابوا بأنهم بولنديون وفى فلودافا رأى الشاهد رجال الوحدة الخاصة يحيطون بجماعة من اليهود

فلم يعرهم التفاتاً وواصل سيره مع الفلاحين فى اتجاه الطاحونة حيث بلغ بيت عمه، ولكن لم يجد جدته هناك بل وجدها طريحة الفراش فى الشقة المجاورة تعانى من السقم والمرض، وطلبت منه جرعة ماء، ولما رآها ميخائيل كنويفماخر فى هذا الحال من التدهور الصحى فكر فى العودة من حيث أتى إلى أدامبول، ولكن حال دون ذلك أن الفلاح الذى جاء بهم فى عربته الكارو كان قد اختفى، واستوقفه الألمان ليسألوه مرة أخرى إذا كان يهوديا أم لا؟ فأكد لهم أنه بولندى، ولسوء حظه مر رجل بولندى بجواره فى تلك اللحظة فأكد للألمان أنه يهودى، فاقترح أحدهم ضربه بالرصاص. وتصادف فى تلك اللحظة أن وصلت مجموعة من رجال وحدة البوليس الخاصة تقتاد بعض اليهود فتخلوا عن فكرة قتله وألحقوه بركب اليهود المقتادين الذين زج بهم فى مدرسة مقامة فى شارع سولنا Solna ثم جاءت بعض الشاحنات المغلقة من كل الجوانب لتفريغ حمولتها من الأطفال والمرضى.

وفى الطريق قابل الشاهد ميخائيل السجين شلومو لمبرجر Shlomo Lemberger الملقب بالدكتور شلومو لأنه كان يحمل معه الأدوية والضمادات على الدوام، وقال له شلومو: "ابق معى فنحن فى طريقنا إلى صوبيبور ولكننا سنحاول الهرب، لا تتحرك من مكانك الآن لأنك إذا تحركت فهم سوف يقتلونك على الفور، واقترب الشاهد وشلومو من إحدى النوافذ وقاما بانتزاع قضبانها والاختباء لحين الرجوع إلى بلدة أدامبول، ورأى الرجلان على مبعدة مجموعة من النازيين تسير على الأقدام. وأضاف الشاهد أن سجناء يهوداً آخرين حاولوا الهرب فيما بعد، ولكن لم ينج من الموت سوى القليل منهم وعلى أية حال ضل الشاهد ورفيقه الطريق فى الغابة فبدلا من الوصول إلى أدامبول وجدا نفسيهما فى محطة سكة حديد أرخوف Orchow المؤدية إلى صوبيبور، وهكذا عادا من حيث أتيا وسارا مسافة طويلة قبل أن يتمكنا من بلوغ أدامبول وهناك اشتريا بعض المسدسات من الفلاحين قبل توجههما إلى الغابة التى لاذ بها رجال المقاومة التابعين إلى ليختنزين Lichtenszein وانضما إليهم. وفى أغسطس ١٩٤٣ وصل الشاهد ورفاقه إلى نهر البوج، ولكن البولنديين وشوا بهم إلى النازيين، فحدث صراع بينهم انتهى بفرار النازيين، وتمكن الهاربون من عبور النهر المشار إليه ثم التحقوا

بسرية تعرف بسرية مولوتوف التى امتلكت كمية وفيرة من الطعام، وكان الفلاحون يقدمون إليهم الطعام خوفًا منهم وتحاشيًا لأذاهم، وفى ١٣ من سبتمبر ١٩٤٣ حدثت مجزرة ليهود أدامبول، ولكن ابن عم الشاهد واسمه موشيه زيلكوفيتز Moshe Zeliko-witz نجا منها، وأخبره ابنه عمه أن نازيين قادمين من فلودافا أرادوا قتل والدته وأشقائه الست فى فناء المنزل وأن والده طعن بخنجر فى الإصطبل.

ويختتم الشاهد ميخائيل كنويف ماخر شهادته أن المقاومة خاضت معارك ضارية، وأنه التحق بالجيش الأحمر وخاض فى صفوفه معارك طاحنة فى الأراضى الألمانية، وفى عام ١٩٤٧ قرر ميخائيل الهجرة إلى إسرائيل.

(٢٨) شهادتا إستر راب Ester Raab وصامويل ليرر Samuel Lerer

كانت إستر راب وصامويل ليرر شاهدين فى محاكمتين أجريتا لمجرمى الحرب النازيين، انعقدت المحكمة الأولى فى برلين عام ١٩٥٠ لمحاكمة النازى العامل فى معسكر صوبيبور والتابع لهيئة أركان وحدة البوليس الخاصة إريخ بوور Erich Bauer لما اقترفه من جرائم فى هذا المعسكر، أما المحاكمة الثانية فأجريت فى مدينة هاجن Hagen فى عام ١٩٦٤ لمحاكمة عشرة آخرين من رجال الوحدة الخاصة العاملين فى هذا المعسكر، وقد اعتمدت محكمة برلين اعتمادًا عظيمًا على شهادتى كل من السجينة إستر راب والسجين صامويل ليرر فى إعداد لائحة الاتهامات الخاصة بأفواج اليهود التى نقلتها القطارات إلى صوبيبور من المدن البولندية ومن العديد من أقطار أوربا الغربية، وقد أجريت محاكمة برلين فى ٨ من مايو ١٩٥٠ على وجه التحديد وأدانت المحكمة فى برلين النازى بوور وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة.

والجدير بالذكر أن الشاهد والشاهدة تعرفا على بوور مصادفة أثناء سيره فى أحد شوارع كروتزبرج Kreutzberg المزدحمة واتضح من سير المحاكمة أن هذا الرجل لم يتورع عن قتل آلاف الرجال والنساء والأطفال بالغاز السام أو الضرب بالرصاص

وأنه كان يعمل قومسارياً فى أتوبيسات برلين، وهو من مواليد ١٩٠٠ وأحد أبناء منجد أثاث، تلقى بوور تعليمه فى مدرسة عامة، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره تدرب على الأشغال الميكانيكية وفى عام ١٩١٨ تم تجنيده ليحارب فى صفوف الجيش الألمانى على الأراضى الفرنسية، ثم عاد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى إلى برلين حيث تعلم قيادة السيارات، ولكنه لم يلتحق بأى عمل دائم فى الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٢، وفى ربيع عام ١٩٤٢ التحق على حد قوله بالعمل كسائق فى مدينة لوبلين (ماجدانيك) ببولندا فى خدمة أحد كبار الضباط الألمان.

قال بوور أثناء محاكمته: إنه أرسل للمرة الثانية إلى معسكر صوبيبور للعمل كسائق وهناك مكث حتى خريف عام ١٩٤٣، وفى شهر ديسمبر من العام نفسه أرسل إلى مدينة تريستا Triaste الإيطالية للعمل كسائق أيضًا، ويوجد بالقرب من تريستا معسكر إبادة معروف باسم سان سابا San Saba أرسل الألمان المنخرطين فى عملية رينهارد إليه بعد تصفية معسكرات الموت القائمة فى بولندا وهى بلزيك وصوبيبور وتريبلينكا، والجدير بالذكر أن بوور سقط لفترة قصيرة فى أبريل ١٩٤٥ في أيدى القوات الأمريكية ولكنه تكتم عند عودته إلى برلين عام ١٩٤٦ صلاته السابقة بالحزب النازى ونشاطه الإجرامى فى معسكر اعتقال صوبيبور.

يقول الشاهد صامويل ليرر والشاهدة إستر راب بشأن استحقاق بوور للإدانة: إن مجرد ظهوره فى المعسكر أثار الفزع والرعب فى قلوب جميع السجناء؛ حيث إن ظهوره اقترن بالضرب والتعذيب، وقد حكمت المحكمة عليه بالسجن مدى الحياة للأحد عشر سببًا التالية:

(١) عند وصول كل فوج من السجناء وبعد خلعهم ملابسهم قام المتهم باقتياد أعضاء هذا الفوج إلى غرف الغاز وتقدم مسيرة السجناء أو سار بجوارهم وهو لا يكف عن ضربهم بالعصا للإسراع فى سيرهم، كما أنه المسئول الوحيد عن عملية إبادة السجناء بالغاز السام فى المعسكر رقم (٣).

(٢) إنه تولى الإشراف على حلق شعر الضحايا قبل إبادتهم تطبيقًا للأمر الذى أصدره رئيس هيئة الأركان هملر والقاضى بحلق شعر السجينات اليهوديات، وكلف

اليهود الشبان بحلق شعرهن بالقرب من المعسكر رقم (٣) فى حضرة بوور معظم الوقت.

(٣) لم يتورع بوور عن رمى السجناء المرضى بالرصاص فى حالة وصولهم إلى المعسكر بأعداد قليلة، وفى حالة عجز المرحلين عن المشى قام بضربهم بالرصاص على الفور فضلاً عن أن بوور اشترك مع جومرسكى Gomerski ورجال الوحدة الخاصة الآخرين فى ضرب السجناء الضحايا بالرصاص.

(٤) إنه قام بنفسه بانتقاء نحو مائتى أو ثلاثمائة شابة جميلة وقتلهن بالغاز فى فترة زيارة هملر لمعسكر صوبيبور.

(٥) إنه قام بحث الكلاب البوليسية لمهاجمة السجناء، وبعد قيامه بقتل شحنات القطارات الآدمية بالغاز جمع مجوهرات ضحاياه وملابسهم وممتلكاتهم القيمة فى عربات القطارات المتجهة إلى ألمانيا وكان إذا رأى السجناء يتباطئون فى أداء هذا العمل يطلق عليهم الكلاب البوليسية لنهش لحمهم.

(٦) عندما وصل فوج من السجناء مكون من نحو ألف وخمسمائة سجين من معسكر لوبلن إلى معسكر صوبيبور كانت غرف الغاز فى صوبيبور عاطلة عن العمل الأمر الذى اضطرهم إلى انتظار الموت بدلاً من الانتقال السريع إلى جوار ربهم، وكان بوور ورجال الوحدة الخاصة يتسلون على السجناء الجياع بإلقاء بعض الطعام لهم، ثم يطلقون النار عليهم أثناء جريهم لالتقاطه من الأرض، والجدير بالذكر أن بوور نفسه قتل أربعة أو خمسة من هؤلاء الضحايا العزل بهذه الطريقة.

(٧) إن المتهم قام بضرب الشاهد السجين صامويل ليرر فضلاً عن أنه طلب منه أن يملأ خزان سيادته بالجازولين فسقطت منه بعض نقط الجازولين الأمر الذى أثار ثائرة بوور فجلده بالسوط وركله بقدمه، مما أعجزه عن المشى لعدة أيام.

(٨) إن المتهم قام بضرب وتعذيب الشاب ماكس Max البالغ من العمر نحو أربعة عشرة عامًا لأنه ضرب أحد خيول المعسكر فانهال عليه بوور، ورجال الوحدة

الخاصة بالضرب الشديد المتواصل حتى أغمى عليه ولم يكتفوا بذلك؛ بل عادوا مرة أخرى إلى ضربه ضربًا مبرحًا أقعده عن العمل ثم أرسل إلى المعسكر رقم (٣) لضربه بالنار.

(٩) عند وصول الأفواج المرحلة إلى صوبيبور رفض بعض السجناء النزول من القطار لإدراكهم المصير الحالك الذى ينتظرهم وأغضب هذا بوور فأطلق عليهم الرصاص أو ضربهم بسوطه أو عصاه عقابًا على عصيانهم.

(١٠) قام المتهم بإطلاق النار على السجناء الذين أشعلوا نيران الثورة فى صوبيبور، والجدير بالذكر أن السجناء العاملين فى معسكر صغير خارج معسكر صوبيبور الرئيسى قتلوا حارسًا أوكرانيًا وهم فى طريقهم إلى شرب الماء، فأمر بوور بقتلهم بالرصاص على الفور، وكلف زملاءهم فى المعسكر بأداء هذه المهمة أمام الجميع ليكون عبرة لمن يعتبر.

(١١) قام المتهم بقتل شابين، كان هذا المتهم يقود شاحنة كبيرة فى أرض المعسكر واعترض طريق سيارته دون قصد منهما شابان فى نحو السابعة عشر أو الثامنة عشر من العمر كان يشغلان الطريق بجر عربة ثقيلة، وثارت ثائرة بوور؛ لأنهما تباطئا فى إفساح الطريق أمامه فترجل من الشاحنة وضربهما بالرصاص وأرداهما قتيلين.

وكما سبق أن ذكرنا جاء القبض على بوور بمحض الصدفة الأمر الذى يؤكد هروب الكثير من أمثاله من المحاسبة والملاحقة القضائية.

(٢٩) شهادة موشيه باهير Moshe Bahir

سطر موشيه باهير شهادة بعنوان: "الثورة" وجاء فيها أن أول ترحيلات لليهود فى مدينة بلوتسك Plotsk وهى المدينة التى عاشت فيها عائلته – حدثت فى فبراير ١٩٤١ وذلك عندما كان صبيًا فى الثالثة عشر والنصف من عمره، أضاف باهير أن والده أرييه – ليبل شكلاريك Aryeh - Leibel Shklorek انضم إلى صفوف الجيش

البولندى قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بنحو أسبوعين، وأن وحدته بأكملها وقعت قبل إعلان وقف إطلاق النار فى أسر جيش هتلر الكاسح، وبقى والده الأسير فى قرية ألمانية حيث اشتغل بالزراعة نظير إطعامه، ولكن النازيين بعد ذلك قاموا بتجميع كل الأسرى فى معسكرات الاعتقال، غير أنه تم عزل السجناء اليهود فى معسكر منفصل ثم شحنهم فى قطارات بضائع وترحيلهم إلى بولندا، وكان الحراس الألمان يسومونهم مر العذاب ويعاملونهم بوحشية حتى وصلوا إلى مشارف لوبلين (ماجدانيك) وسعى الضابط الألمانى إلى ابتزاز أهالى السجناء والحصول على فدية لكل سجين، ولكنه أخفق فى ذلك فأمر الجنود الذين يأتمرون بأمره بقتل عدد هائل من السجناء، فلم ينج من الفوج الأول سوى عدد ضئيل، ولسوء حظ والده كان ضمن الفوج الثانى الذى لقي مصير الفوج الأول نفسه، ولكنه نجح فى الإفلات من قبضة النازيين والعودة إلى عائلته الأمر الذى أثلج صدرها حتى حلول شهر فبراير، ففى صباح أحد الأيام من هذا الشهر جاء الألمان وطرقوا باب بيت والده طرقًا شديدًا وصاحوا بأهل البيت: "اخرجوا أيها اليهود الأوساخ"، ولم تمض لحظات قليلة حتى وجد يهود المدينة أنفسهم مجتمعين فى شارع شيروكا Sheroka فى حشد كبير وتولى الحراس والمشرفون ضربهم بقسوة ونقلهم فى شاحنات مزدحمة كعلب السردين، ثم بدأ الفوج المرحل يتحرك خارج المدينة ولم يسمح لهم النازيون بحمل أو اصطحاب أى شيء معهم.

وفى يوم الترحيل نفسه وبعد عدة ساعات من السفر الشاق توقفت الشاحنات فى وسط معسكر دزيالاوفو Dzialdowa عند مدخل مدينة ملافا Mlawa واصطف طابوران من الألمان المزودين بالهراوات والسياط يمتدان من الشاحنات التى تقل السجناء حتى باب المعسكر، وصدر إلى السجناء أمر بالقفز من الشاحنات والجرى صوب بوابة الدخول وفى أثناء طريقهم إلى البوابة انهالت اللكمات والسياط على رءوسهم دون رحمة أو شفقة ، وسقط بعض السجناء صرعى على الأرض بعد أن داستهم أقدام زملائهم، فتم دفنهم بجوار دورة المياة الوحيدة الموجودة فى هذا المعسكر، ولم يجد مئات الجرحى والمصابين مكانًا يلوذون به غير الإصطبلات المليئة بالطين والروث دون أية رعاية طبية، واكتظت الإصطبلات بهم لدرجة منعتهم من الحركة، وظلوا لعدة أيام يعيشون فى عذاب

وكرب دون طعام أو شراب، وفى هذه الظروف المروعة فاجأت امرأة يهودية آلام الوضع فولدت طفلاً.

وبعد مرور عدة أيام أصدر النازيون إليهم أمرًا بالانتظام فى طوابير وتم تفتيشهم وهو يقفون عرايا فى زمهرير البرد القارص للبحث عما يحملونه من فضة وذهب ومجوهرات وتلقى كل واحد منهم أربعين زيلوطة، وهو مبلغ زهيد لا يكفى لشراء رغيف خبز واحد، وبعدئذٍ تمت إعادتهم إلى الشاحنات التى نقلتهم إلى مدينة تشنستوخوف Chernstokhov وهناك أكرم يهود هذه المدينة وفادتهم وقدموا إليهم المأوى والمأكل، الأمر الذى رفع روحهم المعنوية ولكن قدرة بنى جلدتهم على إعالتهم وإطعامهم ما لبثت أن وهنت بشكل واضح، فقلت أنصبتهم من الطعام يومًا بعد يوم، وبدأت أعراض التضور جوعًا تظهر عليهم، واستطاع الشاهد أن يعمل صبى حلاق لدى صاحب صالون حلاقة اسمه ليفكوفتش Levkovich، كما أن والده درج على إمداده بكمية ضئيلة من الشوربة المنزوعة الدسم بعد ظهر كل يوم.

وسرت بين هؤلاء السجناء إشاعة مفادها أن الحياة فى زاموسك مريحة وتبعث على الرضا، فشد الشاهد وأهله رحالهم إلى زاموسك، ولكن السلطات هناك لم تسمح لهم بالانضمام إلى الجالية الإيطالية التى تعيش فيها، فلم يجدوا أمامهم سوى الاستمرار فى التجوال حتى وصلوا إلى مدينة كوماروف Komarov الصغيرة وتبين لهم أن اليهود فى هذه المدينة الصغيرة كانوا يمارسون حياتهم بطريقة عادية، وهناك أكرمت الجالية اليهودية وفادة هؤلاء المرحلين وتمكنت من إطعامهم، ولكنها لم تستطع أن تحل مشكلة إيوائهم، ولهذا أقامت عائلة الشاهد موشيه باهير ومعها ما يقرب من ثلاثين عائلة يهودية أخرى فى المعبد والتحق والده بالعمل فى مطار أنشأه الألمان على بعد نحو اثنى عشر كيلو مترات فى المدينة، وكان يذهب إلى عمله ويعود منه سيرًا على الأقدام وكان يحضر معه أحيانًا كمية من الخشب؛ لاستخدامها فى طهى الطعام، وأيضًا وجد موشيه باهير عملاً فى مزرعة فلاح فى قرية على بعد ثمانية كيلو مترات من كوماروف، وفى بداية الأمر عمل موشيه فى المراعى، ولكن هذا الفلاح ما لبث أن أسند

إليه بعض الأعمال المنزلية إلى جانب العمل فى الحقل، وأيضًا كان موشيه مثل والده يذهب إلى عمله مشيًا على الأقدام، وأسعده كثيرًا أنه استطاع أحيانًا تزويد عائلته بعدد ضئيل من كيلوات البطاطس، ولكن الأحوال ما لبثت أن تدهورت فى نهاية عام ١٩٤١ فقد فرض الألمان حظرًا على خروج اليهود من المدينة، ورغم أن والده استمر فى عمله الشاق فإنه عجز عن العودة إلى عائلته بقطعة خشب واحدة لاستخدامها كوقود، حتى يهود تلك البلدة تدهورت أحوالهم وأصبحوا عاجزين عن تقديم الطعام للمرحلين من بنى جلدتهم، وأيضًا تردت أحوال اليهود القاطنين فى المعبد الذى تراكمت فيه القانورات وانتشر القمل، مما أفضى إلى انتشار وباء التيفوس الذى أصاب الشاهد موشيه باهير، واكتظ مستشفى البلدة بالمرضى فلم يجد موشيه مكانًا للعلاج فيه إلا بعد مرور وقت طويل، ولأى كبير، وبعد الاستعانة بالمعارف والوسطاء، وفى المستشفى كان غير اليهود يلقون عناية أفضل من اليهود، وأخيرًا تغلبت إرادة الحياة على الموت فشُفي من مرضه ولكن والديه عجزا عن توفير الطعام الضرورى له وفى يوم الخميس الموافق ١٦ من أبريل (١٩٤٣) أصدر الألمان والأوكرانيون أمرًا إلى السجناء بالاستيقاظ المبكر فى الصباح والتجمع فى ميدان السوق واحتشد آلاف اليهود من الرجال والنساء والأطفال والشيبة والشباب الذين تعرضوا للضربات واللعنات وعلت صرخاتهم، وبعد أن مضى على انتظارهم ساعات طوال طلب النازيون من اليهود القادرين على العمل الانفصال عن زملائهم لاستخدامهم فى المجهود الحربى، ووقع الاختيار على أبيه للعمل فى مجال إنتاج السلاح، واختفى الأب عن أنظار عائلته إلى الأبد ويستطرد الشاهد قائلاً: إن أخاه جودا Judah الذى لا تختلف ملامحه عن ملامح الجنس الآرى فى شيء توجه فى الليلة السابقة على ترحيله إلى قرية روزف Rozov فى منطقة زاموسك للعمل فيها، واختفى هو الآخر إلى الأبد، ورغم أن الشاهد كان بإمكانه أن يحذو حذوه ويهرب، فإنه فضل البقاء مع أمه وأخيه الأصغر؛ كى يكون بجوارهما ويقدم لهما المساعدة قدر استطاعته.

ونحو المساء جاءت الشاحنات لنقلهم إلى محطة السكة الحديد فى زاموسك Zamosc فى اليوم التالى قام النازيون بحشرهم فى عربات البضائع، ثم غادر القطار المحطة فى المساء تحت حراسة الأوكرانيين وظل القطار يزحف ببطء لمدة ثلاثة أيام

وثلاث ليال دون أن يذوق السجناء طعامًا أو شرابًا، وفى مساء اليوم الثالث توقف القطار عند محطة سوبيبور الصغيرة وفى ذلك الوقت لم يدرك المرحلون فظاعة هذا الاسم، والجدير بالذكر أن جميع أفراد هذا الفوج البالغ عدده ألفين وخمسمائة سجين هلكوا باستثناء الشاهد موشيه باهير.

يقول موشيه باهير: إنه سار مع أمه وإخوته صوب غرفة الغاز وبينما ثلاثتهم يجتازون بوابة المعسكر رقم (١) تقدم الضابط فاجنر إليهم فجأة وعزل موشيه عن أمه وضمه إلى مجموعة الخمسين عاملاً الذين سبق له فرزهم، ثم اختفت عن أنظاره إلى الأبد صورة الأحياء الذين ابتلعتهم كثافة الغابة يقول لنا موشيه باهير فى شهادته: إن النازيين كلفوا السجناء بنقل الأحمال والأثقال من الساعة الخامسة صباحًا حتى منتصف الليل تحت وطأة الضرب بالهراوات والسياط أثناء جريهم بين صفين من الضباط الألمان وأعوانهم من الأوكرانيين فضلاً عن أنهم كابدوا هذا العذاب نفسه عند استلام أنصبتهم الضئيلة من الطعام الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع، وكان السجناء المكلفون بترتيب وتنظيم متعلقات زملائهم الشخصية أوفر حظًا؛ حيث إنهم عثروا أحيانًا ضمن هذه المتعلقات على علب طعام محفوظة وبعض المأكولات الأخرى، الأمر الذى جعلهم يتحملون وطأة الضربات أكثر من أقرانهم الذين أصابهم الجوع بالسقم، وكان بول جروت Poul Grot يشرف على ضرب السجناء بالسياط أثناء سيرهم بين صفين.

وفى اليوم الأول من وصول موشيه باهير اقتضى منه عمله فى المعسكر حمل حقائب ومتعلقات اليهود المتوفين أثناء عملية الترحيل، وكانت هذه المتعلقات توضع فى عربات بضائع متجهة إلى معسكرات ترافينكى Trawniki وبونياتوفا Poniatowa وغيرها واتبع معسكر سوبيبور سياسة إبادة أكبر عدد من اليهود فى أقصر وقت ممكن وبطبيعة الحال أدى العمل الشاق والمضنى وسوء التغذية إلى وفاة عشرات السجناء يوميًا ممن لم يرسلوا إلى غرف الغاز ومحاجر لازاريت Lazaret.

ويعترف الشاهد أنه كان أوفر حظًا من أقرانه؛ لأنه التحق بعمل دائم، وكان من عادة النازيين اختيار مائتي سجين من كل فوج مرحل لحمل الأثقال وإرسالهم إلى المستشفى؛ حيث يضربون بالرصاص ثم يتم دفنهم في مقبرة جماعية بالمعسكر.

والجدير بالذكر أنه كان هناك في صوبيبور خمسة معسكرات منفصلة هي المعسكر رقم (١) حيث يجتمع كل المرحلين، وفيه تمت عملية عزل السجناء والأطفال عن الرجال، فضلاً عن فرز السجناء الأصحاء، وإلحاقهم بفرق العمل، وتعين عليهم الانتظار لحين ترحيلهم إلى المعسكر رقم (٢).

المعسكر رقم (٢) بعد وصول آلاف السجناء إلى هذا المعسكر تولى هيرمان ميشيل Hermann Michel إحصاء عددهم وإلقاء خطبة وعدهم فيها بإرسالهم للعمل في أوكرانيا؛ حيث يبقون حتى نهاية الحرب، وكانت مهمة هذا المعسكر تنظيف السجناء أو نزع ملابسهم، وتسليم متعلقاتهم الثمينة من ذهب وفضة إلى المسئولين الألمان الذين أدرجوها في قوائم وذلك قبل إرسال السجناء إلى المعسكر رقم (٣).

احتوى المعسكر رقم (٣) على غرف الغاز.

كان الألمان وأعوانهم الأوكرانيون يعيشون في المعسكر رقم (٤) أنشئ المعسكر رقم (٥) مؤخراً في نهاية عام ١٩٤٢ ويضم هذا المعسكر فرقة العمل سيئة الحظ والمكلفة بقطع الأشجار وتنظيف المنطقة تمهيداً لبناء مخزن تحت الأرض لحفظ الأسلحة.

ويخبرنا الشاهد أن المعسكر رقم (٣) اقتصر تمامًا على سجناء صوبيبور وأنه كان يستحيل على الرائي في الخارج أن يعرف ماذا كان يحدث بداخله؛ حيث إنه كان محاطًا من كل جانب بشجر الأناناس الكثيف، ولم يظهر من خلال هذه الأشجار الكثيفة سوى سقف الحمام الذي اعتاد بوور النظر من خلال نافذة صغيرة فيه إلى داخل غرفة الغاز حتى يتمكن من تنظيم كمية الغاز المطلوبة لتزويد دشات الاستحمام بها، وهكذا كان بوور الوحيد الذي رأى الضحايا وهم يختنقون من الغاز، كما كان الوحيد الذي أمر بزيادة أو إنقاص كمية الغاز المطلوبة، فضلاً عن أنه كان الوحيد الذي شاهد بنفسه

عذاب الضحايا الأخير قبل أن يسلموا الروح، وهو الوحيد الذى أصدر الأمر بفتح أرضية الحمام، فى الوقت المناسب؛ كى تسقط منها الجثث فى عربات صغيرة تقوم بنقلها إلى المقابر الجماعة وأفران المحرقة.

بلغ عدد اليهود العاملين فى غرف الغاز مائتى يهودى، وبمجرد انتهاء مهمتهم التى استغرقت بضعة أسابيع أرسلهم النازيون إلى حمامات الغاز؛ بحيث يحل محلهم ويؤدى عملهم عدد آخر من السجناء يختارون من الأفواج الجديدة، واستمر عمل غرف الغاز على هذا المنوال حتى نهاية عام ١٩٤٢، وبعد هذا التاريخ قرر الألمان تعيين عمال دائمين لأداء هذه المهمة حتى يوفروا على أنفسهم الجهد الضائع فى تدريب العمال الجدد والاستفادة من كفاءة أداء العمالة القديمة المتمرسة.

قام المطبخ فى المعسكر رقم (١) بتزويد عمال المعسكر رقم (٣) بالطعام، واضطلع عشرة عمال من المجموعة التى ينتمى إليها الشاهد بنقل أوانى الشوربة المنزوعة الدسم إلى بوابة المعسكر رقم (٣) كان هذا يتم فى عجلة وهرولة مرتين كل يوم مصحوبًا بضربات الحراس.

ورغم الرقابة المشددة على تحركات السجناء فقد تمكن عمال المطبخ من الاتصال باليهود المحبوسين فى المعسكر رقم (٣) فبعد إعادة الأوانى الفارغة عثر عمال المطبخ على أوراق مكتوبة ملتصقة بجدران هذه الأوانى يتحدث بعضها عن حرق الجثث فى المعسكر رقم (٣) ويتحدث بعضها الآخر عن بقعة دم استحالت إزالتها فى أرضية غرفة الغاز، وحضر الخبراء لفحص هذه البقعة وقرروا أنها نجمت عن تسميم مجموعة من النساء الحوامل وضعت إحداهن مولودها، بينما الغاز يتدفق فى غرفة الغاز، الأمر الذى أدى إلى اختلاط الغاز السام بدم الأم الوالدة وظهور بقعة الدم غير القابلة للزوال، وأيضًا جاء فى ورقة أخرى متسربة أنه تعين تغيير بعض الأجزاء من الأرضية الخشبية فى غرفة الغاز؛ بسبب انحشار أجزاء من الجثث البشرية فيها.

ومن هذه الأوراق المتسربة من سجناء المعسكر إلى عمال المطبخ عرف الطباخون بوجود حالات تذمر ومحاولات بائسة للهرب من المعسكر، وهى محاولات باءت جميعها بالفشل وانتهت بتعذيب القائمين بها قبل إرسالهم إلى معسكر صوبيبور، وقد حدثت إحدى محاولات الهرب الفاشلة قبل ثلاثة أشهر من حدوث ثورة صوبيبور الناجحة، فقد تمكن عمال المحرقة على مدى عدة أسابيع فى حفر نفق يمتد من الحظيرة التى تأويهم إلى أسوار المعسكر المصنوعة من الأسلاك الشائكة، وكاد عملهم أن يكلل بالنجاح لولا أن الألمان اكتشفوا هذا النفق الذى لم يكن باقيًا على الانتهاء منه سوى متر واحد، وجن جنون الألمان فساموا السجناء المتمردين مر العذاب ثم قتلوهم عن بكرة أبيهم.

يقول موشيه باهير فى شهادته: إن النازيين فى معسكر صوبيبور تمرسوا على القتل وكان فى طليعة المتمرسين على القتل جوستاف فاجنر قومندان المعسكر، كان فاجنر رجلاً وسيماً ممشوق القامة، أشقر الشعر، وكان تجسيداً حيًا للملامح الآرية ولا شك أنه كان دمث الخلق فى حياته المدنية، ولكنه فى معسكر صوبيبور انقلب إلى وحش كاسر، وكان من بين مهماته المتعددة: إحصاء عدد اليهود القادمين إلى المعسكر، وانتقاء القادرين منهم على العمل، وتجريد كافة اليهود من ممتلكاتهم القيمة، وإلى جانب أعبائه الإدارية اضطلع بمهمة إرسال آلاف السجناء إلى غرف الغاز. كانت قسوته بلا حدود، فهو ينتزع الأطفال الرضع من أذرع أمهاتهم ويمزقهم إربًا بيديه، فيقول موشيه باهير: إنه رآه ينهال ضربًا على رجلين بمؤخرة بندقيته حتى فاضت روحاهما؛ لأن جهلهما باللغة الألمانية منعهما من فهم تعليماته على النحو الصحيح، وذات ليلة وصلت إلى المعسكر مجموعة من الشبان اليهود فى نحو الخامسة عشر أو السادسة عشر من العمر، تركز عملهم أساسًا فى حلق شعر النساء قبل الزج بهن فى غرف الغاز، وكان على رأس هذه المجموعة شاب يدعى أبراهام، وبعد يوم طويل من العمل المضنى نعس هذا الشاب على مرتبته المصنوعة من القش، وفجأة دخل عليه فاجنر يناديه، ولكنه لم يسمع النداء، وبالتالى لم ينهض على قدميه، فاستشاط فاجنر غضبًا، وجذبه من فراشه، ونزع عنه ملابسه، وانهال عليه ضربًا فى كل موضع فى جسده، وعندما أصابه الإعياء من فرط ضربه للسجين أخرج مسدسه وقتله على الفور، وشاهد هذا المنظر جميع السجناء وبينهم شقيق إبراهام الأصغر وأحيانًا كان هذا الوحش يقتل ضحاياه

من اليهود؛ لأن أشكالهم لا تعجبه، كان فاجنر يبث الرعب فى نفوس السجناء الذين أكدوا أن الثورة فى معسكر صوبيبور لم تكن لتقوم لها أية قائمة لو أن هذا الرجل ظل قائدًا له حتى النهاية.

وأيضًا كان بول جروت من أكثر قواد هذا المعسكر بربرية، والجدير بالذكر أن هذا الرجل كان يقود الأوكرانيين الذين اصطفوا فى طابورين ليمر بينهما السجناء فينهالون عليهم ضربًا بالسياط والهراوات، وكان لجروث كلب بوليسى ضخم طوع بنانه ينهش أجساد ضحاياه، وبطبيعة الحال يعجز الضحية عن الاستمرار فى العمل نتيجة إصابته البالغة، فيتقدم منه جروث ويستفسر منه برقة عما أصابه، ثم يكذب عليه ويدعى أنه سوف يرافقه إلى المستشفى فى حين أنه فى حقيقة الأمر اصطحبه إلى مقبرة جماعية؛ حيث يرديه الحراس الأوكرانيون قتيلاً، وفى أغلب الأحيان درج الأوكرانيون على وضع جردل فوق رأس الضحية قبل إنزاله إلى الهاوية، وإطلاق النار عليه، وبطبيعة الحال كان جروث بنفسه يشاركهم فى هذه الممارسات الوحشية، وأحيانًا كان جروث يتسلى على بعض ضحاياه من اليهود فيعطى أحدهم زجاجة خمر وقطعة كبيرة من السجق تزن رطلاً ويأمره بالتهام كل ما يعطى له من طعام وشراب فى غضون بضع لحظات، وأحيانًا كان الضحية ينجح فى تنفيذ الأمر فيترنح من السكر والتخمة، فيأمره جروث بأن يفغر فاه ليقوم هذا النازى الشاذ بالتبول فيه .

وبعد مضي وقت طويل على هذه الممارسات الوحشية اعترى سلوك جروث نوع من التحسن، ويقال: إن السبب فى هذا يرجع إلى وقوعه فى غرام شابة يهودية حسناء من تشيكوسلوفاكيا اسمها روث اتخذها عشيقة له، وفى نهاية عام ١٩٤٢ تم نقل جروث إلى معسكر آخر للموت.

ويذكر الشاهد باهير مسئولاً فى معسكر صوبيبور اسمه هيرمان ميشيل Hermann Michel يبلغ من العمر خمسة وثلاثين أو أربعين عامًا كان هيرمان يتحدث بعذوبة ورقة ويلقى على مسامع الأفواج القادمة أكاذيب عن المعسكر فيقول: إن صوبيبور ليس سوى معسكر ترانزيت (مؤقت) وأن أوكرانيا هى محطة الوصول

الحقيقية وأنهم سوف يرحلون إليها للعمل والعيش فيها حتى نهاية الحرب. وكان هذا الرجل لصًا يستولى على مجوهرات السجناء وذهبهم وفضتهم ويخفيها فى مسكنه، والطامة الكبرى أنه كان المسئول عن النواحى المالية فى المعسكر وقد مر جميع المرحلين على هيرمان فهو الذى قام بتصنيفهم عند وصولهم وأمرهم بخلع ملابسهم وعلمهم كيفية ترتيبها حتى يتمكنوا من استعادتها بعد الاستحمام وهو الذى رافقهم أثناء ذهابهم إلى المعسكر رقم (٢) إلى محلات الحلاقة ومن محلات الحلاقة إلى غرف الغاز.

ويستطرد الشاهد قائلاً: إن وضاعة بوور بلا حدود، فقد سمعه فى أحد الأيام يمزح ويتفكه على غباوة اليهود قائلاً: إن فوجًا من اليهوديات العاريات حضرن إلى الحمام فرأت إحداهن بوور واقفًا على سطح الحمام (غرفة الغاز) ينتظر إغلاق بابه بإحكام شديد قبل أن يصدر أمره بفتح صنابير الغاز، ومن سذاجتها استوقفت هذه المرأة الجندى المدجج بالسلاح، الواقف عند محل غرفة الغاز لتسأله عن السبب فى اعتلاء هذا الضابط السقف، وإذا كان هناك خلل فى السقف يستدعى الإصلاح وتمضى المرأة فى تساؤلها الساذج قائلة: كيف يمكن للنسوة داخل الحمام الاستحمام أثناء إصلاح السقف وتثبيته، فهدأ الحارس من روعها قائلاً: إن تثبيت سطح الحمام سوف يتم فى لحظات، وأنه ليس هناك فى جانبها ما يدعوها إلى التزاحم للإسراع بالدخول؛ لأن الحمام فسيح ويتسع لها ولغيرها وكان بوور يقهقه وهو يروى هذه المزحة السوداء.

ومن المهم أن نعرف أن المحكمة أدانت بوور وحكمت عليه عام ١٩٤٥ بالسجن مدى الحياة.

ويذهب موشيه باهير إلى أنه من الصعب عليه نسيان كارل بولاندر **Karl Bolander** صاحب الجسم الرياضى المفتول والشعرالطويل الذى استهواه المشى فى أرجاء المعسكر نصف عريان حاملاً سوطًا طويلاً استخدمه بوحشية فى ضرب أى سجين يقابله فى طريقه. كان بولندر يتلذذ بهذه السادية ويذكر الشاهد فى هذا الشأن أن مجموعة من السجناء فى معسكر باهنوف **Banhohf** اتهمت بالإهمال والتقصير وعدم

إغلاق إحدى نوافذ القطار فعاقبهم بأن ضرب كل سجين منهم مائة جلدة ويشهد موشيه باهير أنه رأى بولاندر يلقى بالرضع والأطفال والسجناء الضعفاء من عربات البضائع بحيث يسقطون داخل العربات المحملة بالجثث والمتجهة نحو محاجر لازايت وأيضًا قام هذا الرجل باختيار عشرة رجال وتكليفهم بتسليم الطعام إلى نزلاء المعسكر رقم (٣).

وفى ديسمبر عام ١٩٦٥ أجريت محاكمة لمجرمى الحرب فى معسكر صوبيبور وذلك بمدينة هاجن فى غرب ألمانيا وكان كارل بولاندر أحد مجرمى الحرب المقدمين إلى هذه المحاكمة وأقدم كارل بولاندر على شنق نفسه فى زنزانته عقب إدلاء موشيه باهير بشهادته ضده بيوم واحد.

وأيضًا اشتهر جومرسكى بسجله الإجرامى الحافل، فقد كان يحلو له معظم الوقت ضرب السجناء ضربًا مفضيًا للموت مستخدمًا فى ذلك مؤخرة بندقيته التى لم تفارقه، ووجد جومرسكى لذة فى جعل عمال المعسكر يجرون أثناء الذهاب إلى أعمالهم والعودة منها، وكان يحتفظ فى جيبه بمطواة صغيرة كان يحلو له أن يطعن بها أرداف السجناء العاملين فى قطع الأشجار، وكان عماله الذين يخرجون معه لأداء أعمالهم فى الصباح لا يرجعون كاملى العدد بسبب وفاة بعضهم الأمر الذى جعله يجند باستمرار عددًا آخر يستعيض به عن المفقودين.

كان جومرسكى يضطلع بمهمة الإشراف على المعسكر رقم (٥) الذى أنشئ مؤخرًا، ولكن عندما زادت أعداد الأفواج المرحلة إلى صوبيبور اضطر جومرسكى إلى الاستعانة بمساعدين له لاستقبال السجناء الجدد.

وفى عام ١٩٤٨ قدم جومرسكى إلى المحاكمة وصدر ضده حكم بالحبس مدى الحياة، ولكن سجن برلين أفرج عنه عام ١٩٧٢ بسبب تدهور حالته الصحية، غير أن المحكمة عادت وأصدرت حكمًا آخر بحبسه خمسة عشر عامًا ابتداء من عام ١٩٧٤، أى بعد مضي نحو عامين من إطلاق سراحه.

ومن الشخصيات الإجرامية التى لا تنسى فى معسكر صوبيبور شخصية الألمانى بول بريدوف Paul Bredow البالغ من العمر أربعين عامًا، وهو مواطن من برلين اتسم بالوحشية بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معنى تولى هذا الرجل مسئولية الإشراف على محاجر لازاريت إلى جانب مهماته الإضافية الأخرى، وكان (النشان) أو تصويب الطلقات النارية هوايته، وتمثلت مهمته اليومية فى قتل خمسين يهوديًا بمسدسه الأوتوماتيكى الذى لازمه طوال اليوم فى غدواته وروحاته.

ويذكر لنا هذا الشاهد أن فيرث Wirth كان قومندان معسكر صوبيبور عندما زج به النازيون فيه، ثم خلف فرانز ريخليتز Franz Reichleitner ومن بعده نييمان الذى اغتاله الثوار فى يوم اندلاع الثورة نفسه، كان فيرث يلبس زيًا أخضر اللون يكسو الشيب شعر رأسه ويهوى ركوب الخيل، كان هذا الرجل مصدر رعب للآخرين، حتى الألمان والأوكرانيين كانوا يرهبون جانبه وبسبب قسوته ووحشيته قامت المقاومة باغتياله فى إيطاليا عام ١٩٤٤. كان ريخليتز البالغ من العمر أربعين عامًا يتحدث الألمانية بلكنة نمساوية، أنيقًا فى هندامه ويلبس على الدوام قفازين فى كلتا يديه، وكان يختار أعوانه بدقة ويستبعد غيرهم إلى المعسكرات الأخرى أو إلى جبهة القتال، وظل يشغل وظيفة قائد المعسكر حتى زيارة هملر الثانية لصوبيبور وفيما بعد حل نييمان محله.

ويعتبر الشاهد محظوظًا لأنه رأى هنريش هملر رئيس وحدة البوليس الخاصة عند زيارته الثانية لمعسكر صوبيبور الذى سبق أن زاره للمرة الأولى فى نهاية يوليه ١٩٤٢ عندما كانت غرف الغاز والمحارق تعمل بكامل طاقتها، ووقت أن كانت ثلاثة أفواج تصل إليه كل يوم، وكانت تتم وقد تمت تصفية كل فوج عن بكرة أبيه فى نفس يوم وصوله إلى المعسكر مهما كان هذا الفوج كبيرًا.

وذات يوم جاء الضابط كارل فرانتزل Karl Frentzel ليقول للسجناء المصطفين فى طابور الصباح إنهم معفيون فى الغد من الذهاب إلى أعمالهم. وأمرهم بتنظيف ثكناتهم تنظيفًا جيدًا؛ لأنهم ينتظرون زيارة وفد على أعلى مستوى إلى المعسكر، ولنفس هذا السبب كلفت بعض النساء الشابات فى اليوم السابق بتنظيف كل ركن من أركان كازينو المعسكر؛ استعدادًا لاستقبال كبار الزوار، وتولى الطباخون إعداد أشهى

المأكولات للاحتفاء بهذا الوفد الرفيع المستوى، وكذلك أرسلت إدارة المعسكر الشاهد موشيه باهير وصديقه جوزيف باينز Joseph Pines إلى عنابر الضباط لتلميع أحذيتهم، ورأى باهير سيارات فارهة تتوقف عند محطة القطارات في الساعة الحادية عشرة صباحًا، وهبط هنريش هملر من إحدى هذه السيارات ثم تلاه في النزول ستة من كبار الضباط بوحدة البوليس الخاصة، وثلاثة آخرون في ثياب مدنية، وكان هذا الوفد يضم النازي المعروف أدولف إيخمان.

وتقدم قومندان المعسكر فرانز ريخليتز والملازم المرافق له جوستاف فاجنر لتحية الوفد القادم الذي توجه على الفور لزيارة المعسكر رقم (٣) وغرف الغاز السام، وبعد مضي حوالي ساعة رجع الوفد من المعسكر رقم (٣) إلى القطار وبعد وقت قصير استقل الوفد الزائر القطار وغادر صوبيبور.

وبدا الضيق على القومندان وجميع ضباط المعسكر لأن الضيوف رفضوا تناول أي شيء من الطعام الشهي المعد لهم، ولم يجدوا متنفسًا لغيظهم المكتوم غير معاملة السجناء بمزيد من القسوة وإبادتهم.

وبعد انقضاء أيام معدودة جاء ونشان ضخمان للوقوف بالقرب من غرف الغاز، وكان هذان الونشان يعملان دون توقف بمعدل ثلاث ورديات على مدار اليوم في رفع الجثث من غرف الغاز ونقلها إلى المحرقة الجديدة المقامة في مكان قريب.

في شهر فبراير ١٩٤٣ قام هملر بزيارة معسكر صوبيبور للمرة الثانية وقبل زيارته المرتقبة بيومين جرت الاستعدادات لاستقباله على قدم وساق، وقام فاجنر باختيار مائة رجل وأمرهم بتفكيك الثكنة القريبة من المعسكر رقم (٣) حيث كان شعر النساء يحلق قبل دخولهن غرفة الغاز، وأعد مدرجًا على عجل لهبوط الطائرة التي تنقل هملر وهيئة أركانه، وفي يوم الزيارة طلبت إدارة المعسكر من سجنائه عدم الذهاب إلى أعمالهم؛ بل إنها أعطتهم وجبات طعام إضافية، يقول الشاهد موشيه باهير: إنه كان في ذلك اليوم يعمل تحت إشراف بول بريدوف Paul Bredov المسئول عن إدارة الكازينو في إعداد أطعمة شهية وشراب البراندي المخلوط بالبيض تكريمًا للضيوف

القادمين، وبينما هم مشغولون بإعداد هذه الأطايب دخل عليهم بيكمان Beckmann ليعلن لهم عودة الوفد الزائر من جولته التفقدية إلى الكازينو وغمرت السعادة إدارة المعسكر هذه المرة؛ لأن هملر ندم وقبل دعوة قومندان المعسكر لتناول الغداء، وأمر بريدوف باهير بسرعة التوجه إلى ثكنات اليهود، ولكن ما إن وصل باهير إلى بوابة هذه الثكنات حتى وجدها موصدة، ولم يكن لديه أى وقت لتنبيه المسئولين عن هذه الثكنات بقدوم الزوار؛ لأنه فوجئ بسرعة وصولهم يتقدمهم هملر ويصاحبه الضباط الذين سبق أن رافقوه فى زيارته الأولى ومن بينهم أدولف إيخمان غير أن الزوار الذين يلبسون الملابس المدنية لم يكونوا بمعيته هذه المرة.

وبعد مرور يومين على هذه الزيارة سمع الشاهد نقاشًا يدور بين بيكمان وبريدوف قال واحد منهما للآخر: إن توقيت الزيارة كان بمناسبة إبادة أول مليون يهودى فى صوبيبور، كما أن الشاهد علم من ثنايا الحديث الدائر أن ريخليتز تسلم ميدالية رفيعة المستوى من هملر تقديرًا له على كفاءته فى العمل، وأنه سوف يتم نقله إلى معسكر آخر من معسكرات الموت.

وأثناء زيارة هملر الثانية لمعسكر صوبيبور تم إحضار عدة مئات يهوديات شابات للزج بهن فى غرف الغاز لإبادتهن ونقل جثثهن إلى المحارق حتى يبينوا لهملر مدى كفاءة إدارة هذا المعسكر فى إبادة اليهود فى صوبيبور.

وبعد مضى نحو شهر على هذه الزيارة وصل نييمان إلى معسكر صوبيبور كى يحل محل ريخليتز فكان أول شىء يفعله هو الإسراع بمعدلات إبادة السجناء اليهود لدرجة أن غرف الغاز والمحارق ظلت يوميًا تعمل دون توقف خلال الأربع والعشرين ساعة.

وفى بداية عام ١٩٤٣ وصل ليب فيلدهندلر Leib Feldhender ابن حبر مدينة زولكيفكا الصغيرة إلى صوبيبور ضمن فوج من اليهود قادم من إزبيكا وعندما أدرك فيلدهندلر ما يجرى داخل المعسكر وضع خطة للثورة المنظمة وأمضى هذا الشاب اليهودى المهذب والوسيم عزمه وعزم زملائه السجناء على الثورة ودعاهم للثأر من جلاديهم وبالفعل نجح فيلدهندلر فى إثارة مشاعر السجناء ضد إدارة معسكر صوبيبور النازية وزبانيتها.

وقد سبق أن حدث فى هذا المعسكر بعض أحداث المقاومة حتى قبل أن يحرضهم فيلدهندلر على الثورة؛ ففى أحد الأيام فى نهاية ١٩٤٢ اقتيد فوج من السجينات إلى المعسكر حيث وقفن عاريات يحمل بعضهن أطفالهن الرضع على أذرعهن قبل أن يدلفن إلى حمامات غرف الغاز، وفجأة شنت السجينات هجوماً على الحرس وأخذن يقذفن زجاجات لبن الأطفال الرضع على الضباط الألمان والأوكرانيين كما انشبن أظافرهن في أجسادهم، ورد عليهن الألمان والأوكرانيون الغاضبون بوابل من الطلقات وقتلوا معظمهن قبل دفعهن داخل غرف الغاز وذات مرة جاء إلى صوبيبور يهودى عجوز ضمن فوج مكون من آلاف السجناء وتصدى السجناء لمقاومة النازيين الذين حاولوا جره بالقوة لإلقائه فى عربة البضائع، وبالصدفة كان فرانز ريخليتز قومندان المعسكر حاضراً وأعلن هذا اليهودى العجوز أنه لا يصدق وعود النازيين بترحليهم إلى المستشفى وتحسين أحوالهم المعيشية وإسناد أعمال مخففة إليهم وبذل الرجل العجوز جهداً جهيداً للخروج من العربة، ثم انحنى على الأرض ليمسك فى قبضة يديه بحفنة من الرمل، ثم التفت إلى فرانزل بوحدة البوليس الخاصة ليقول لهم : "أنتم ترون أننى أبعثر هذا الرمل ببطء وأذروه حبة حبة فى وجه الريح، وهذا ما سوف يحدث لكم، وإن دولة الرايخ العظيمة سوف تختفى مثل التراب المتناثر والدخان المتصاعد. وذهب الرجل العجوز مع قافلته وهو يترنم: "انصتى يا إسرائيل " وبينما هو يكمل الترنيمة بقوله: "الله واحد" التفت إلى فرانتزل ولطمه بكل قوته على وجهه، وكاد الألمانى يهاجمه ويكيل له الصاع صاعين لولا تدخل ريخليتز الذى وقف متفرجاً وخاطب فرانتزل بقوله: "سوف أتولى بنفسى تصفية الحساب معه فاستمر فى عملك" ثم انتحى قائد المعسكر بالرجل جانباً وقتله على الفور أمام عائلته وأمام كل أفراد قافلته وكان ضمن الحرفيين الذين اختيروا لأداء عدة مهمات فى معسكر صوبيبور وهو يهودى فى نحو الأربعين من عمره قادم من هروبيزوف يحذق التسلق إلى الأماكن المرتفعة وقد قام هذا الرجل بالاشتراك مع مساعده ببناء الكازينو ومساكن الضباط الألمان، فكان ذلك مبعث رضاء فاجنر.

وفى إحدى ليالى شهر أكتوبر ١٩٤٢ انتهز هذا المتسلق ومساعده فرصة هطول الأمطار الغزيرة وهبوط الظلام الدامس للزحف نحو أسوار الأسلاك الشائكة ونجحا

فى اختراقها ثم وليا هاربين إلى الغابة، ويعتبر هذان الشخصان أول من هربا من معسكر صوبيبور منذ إنشائه وانتقامًا لما حدث قام النازيون فى اليوم التالى باقتياد مجموعة السجناء بأسرهم لتنفيذ حكم الإعدام فيها ولكن إدارة المعسكر لسبب غير معلوم مارست سياسة ضبط النفس وامتنعت عن الإفراط فى التشفى وعرف السجناء من الحرس الأوكرانى فيما بعد أن الأوكرانيين نجحوا فى القبض على السجينين الهاربين بعد بضعة أيام وتنفيذ حكم الإعدام فيهما.

وفى أحد أيام الربيع فى عام ١٩٤٢ ذهبت مجموعة فى معسكر فالد Wald تتكون من نحو ثلاثين شخصًا للعمل، وقبل الظهر استأذن اثنان من السجناء أحدهما من زاموسك يدعى جوزيف كوف Kof والآخر فى كاليز Kalisz ويدعى شلومو بودشلينبيك Podchlebnic من أحد الحراس الأوكرانيين للذهاب إلى إحضار ماء من بئر قريب كى يرويا ظمأ زملائهما ولإدخال الطمأنينة إلى نفس الحارس طلبا منه أن يرافقهما وفى الطريق انقضا عليه وقتلاه واستوليا على بندقيته وذخيرته وفرًا هاربين من المعسكر.

وعندما تأخر الحارس والسجينان فى العودة إلى محل عملهما استبد القلق ببقية الحراس على مصير زميلهم، وقاموا بتركيز الحراسة على مجموعة من اليهود حتى يَكتشفوا السبب فى عدم عودة زميلهم ولكن اليهود فهموا حقيقة ما حدث، ومن خوفهم من العواقب بدءوا يفرون فى كل اتجاه، وأطلق الأوكرانيون النار عليهم وتمكنوا من قتلهم جميعًا، ولم يفلح فى الهرب من معسكر صوبيبور سوى قلة ضئيلة وتم إحضار جثث جميع السجناء المنقولين إلى المعسكر ومعهم جثة الحارس المقتول، واستطاع النازيون القبض على أحد عشر سجينًا هاربًا وهم أحياء.

وأصدر الألمان أمرًا إلى الحرس الأوكرانى بتطويق المعسكر والزج باليهود فى مكان شديد الاكتظاظ تحت تهديد السلاح، وشعر السجناء أن نهايتهم محتومة على يد حراسهم المدججين بالسلاح، ورغم ذلك فقد فكر بعض اليهود المقبوض عليهم فى التمرد واستخدام العنف رغم ضعف موقفهم وحرضت يهودية شابة زملاءها على التمرد والمقاومة ويبدو أن الألمان شعروا بالتوتر السائد بين صفوف سجنائهم اليهود فقرروا

عدم التعرض لهم أو الصدام بهم، وأتى إليهم أحد الضباط الألمان ليلقى على مسامعهم خطبة عظيمة عن خطورة ما حدث فى المعسكر، ثم اقتاد جميع أسراه إلى المعسكر رقم (٢) الذى كان النازيون يحبسون فيه اليهود الذين حاولوا الهرب وتم القبض عليهم واجتمع السجناء فى شبة دائرة جيئ فى وسطها بالأحد عشر سجينًا الذين هربوا إلى الغابة وتمكن الألمان فى القبض عليهم لتنفيذ حكم الإعدام فيهم أمام زملائهم حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر، وأمر جومرسكى قائد معسكر فالد بإطلاق النار على هذه المجموعة العاصية فسقطوا جميعًا على الأرض من الطلقات الأولى باستثناء واحد حاول النهوض على قدميه فأطلقت طلقة ثانية عليه، ولكن هذه الطلقة الثانية فشلت فى الإجهاز عليه فانهمر وابل من الطلقات عليه واضعًا حدًا لحياته.

ثم انصرف جميع السجناء اليهود إلى ثكناتهم وهم فى كبد عظيم، وفى أحد أيام شهر مايو ١٩٤٣ صدر إلى السجناء أمر بالبقاء فى ثكناتهم وعدم الذهاب إلى أعمالهم، الأمر الذى أقلقهم وشغل بالهم وجعلهم يحسون بشر مستطير فى انتظارهم، وفى فترة ما بعد الظهيرة تم استدعاء سجناء معسكر باهنهوف Bahnhof إلى عملهم المعتاد فى محطة السكة الحديد، وما إن ركبوا القطار حتى لاح لهم منظر مروع وفظيع، فقد كان هذا القطار ينقل آخر اليهود القادمين من معسكر بلزيك والمكلفين بحرق جثث الموتى فى غرف الغاز فى هذا المعسكر، فقد خشى الألمان فى معسكر بلزيك من احتمالات قيام سجنائهم بثورة، ولهذا آثروا إزهاق أرواح هؤلاء السجناء دون الاستعانة بسجناء معسكر صوبيبور، وعندما وصل القطار إلى محطة صوبيبور لم يقوموا بفتح عربات القطار دفعة واحدة؛ بل فتحوا عربة واحدة أنزلوا منها جميع الركاب الذين جيئ بهم إلى المحاجر للإجهاز عليهم، ثم فعلوا الشيء نفسه بركاب بقية العربات.

وصدر أمر إلى عمال معسكر باهنهوف بتنظيف العربات التى وجدوا بداخلها عشرات اليهود الذين انتحروا عن طريق تناول السم، وكان شيئًا من الروع لا يزال يسري فيهم وقد وجدت بعض الأوراق فى حوزة هؤلاد الموتى تدلى على قيام الألمان بالكذب عليهم وخداعهم بوعود براقة عن قرب ترحيلهم إلى أماكن أفضل وإلحاقهم

بأعمال أحسن، ويبدو أن يهوديًا سطر أحد هذه الخطابات فى اللحظات الأخيرة من حياته.

"يقول لنا الألمان: إنهم يقومون بترحيل اليهود من معسكر صوبيبور لنقلهم فى حين أننا نعرف أنهم فى هذه اللحظة يقيمون مجزرة لزملائنا. لقد تم فتح العربة الثالثة، وبمجرد فتحها سمعنا صدى الطلقات، ويتعين علىّ من يعثر على هذا الخطاب تحذير زملائه. لا تثقوا بأكاذيب الألمان وكلامهم المعسول، فهم سيخدعونكم مثلما خدعونا ثوروا وانتقموا لدماء ضحاياكم المسفوكة، افعلوا بالألمان ما كنا ننوى أن نفعله لأن الألمان قاموا فى آخر لحظة بتمزيق قوانا، وهو السبب فى فشلنا... ويجدر بالذكر أن يهوديًا بقي أكثر من عام فى معسكر بلزيك ليقوم بحرق الجثث، وقد رأى الشخص الذى كتب لكم هذا الخطاب بأم عينيه مئات الألوف من بني جلدته اليهود وهم يُحرقون، ولكن هذه هى اللحظات الأخيرة فى حياتنا، فانتقموا لنا ".

هذه الخطابات التى سطرها يهود معسكر بلزيك أثارت اضطرابًا وقلقًا عظيمًا فى المعسكر وزادتهم إحساسًا بقرب نهايتهم. ولهذا فكر الرجال فى المقاومة وإشعال نار الثورة.

وذات يوم قام النازيون بقتل السجين الثائر موشيه جوبرمان Moshe Gobermann وعشرة من أصدقائه من زعماء الثورة والمخططين لها، وكانت هذه الحادثة سببًا فى إشاعة اليأس والإحباط بين سجناء صوبيبور، واستمرت أفواج المرحلين فى الوصول إلى ذلك المعسكر ورغم إحباط السجناء فقد شاعت بينهم روح الثورة والتذمر.

وفى خلال شهور الصيف فى عام ١٩٤٣ بدأت أفواج أسرى الحرب اليهود المجندين فى الجيش الأحمر يفدون إلى معسكر صوبيبور. وفى نهاية فصل الصيف قام الألمان باختيار خمسين سجينًا من أحد الأفواج للعمل فى المعسكر رقم (٥) الذى أنشئت فيه مخازن تحت الأرض، وكان ضمن هؤلاء السجناء ضابط يهودى روسى اسمه ألكسندر (أوساشا) بيشرسكى، وهو صاحب شخصية جذابة قادرة على التأثير فى كل من يتصل به، وكرس هذا الرجل حياته للوقوف فى صف بنى جلدته اليهود

والحض على كراهية الألمان. وعندما زج به النازيون على معسكر صوبيبور نذر نفسه لحماية السجناء وإنقاذ حياتهم.

وكانت فكرة الثورة قد تبلورت وبدأ ساشا في إشعال نيرانها، واستطاع هذا الرجل أن يجمع حوله عدداً من زملائه الأوفياء والمؤتمنين على الأسرار.

وفي ذلك الوقت كان المعسكر يأوي ستمائة عامل يهودي يؤدون شتى الأعمال. وتحدد موعد قيام الثورة في الساعة الرابعة مساء من يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٤٣، ولم يعرف ساعة الصفر والتخطيط السري للثورة سوى نحو ثلاثين سجيناً قاموا بإغراء الضباط النازيين بالقدوم إلى محال الأحذية والملابس لإعطائهم أحذية وبزات جديدة على مقاسهم، والجدير بالذكر أن هذا التخطيط لم يتم إلا في النصف ساعة الأخيرة من العمل أي في الثالثة والنصف بعد الظهر، وعندما حضر الضابط الأول إلى المحل قابله اثنان من السجناء وضرباه على رأسه بفأس، ثم طعناه بخنجر، وأسرع الباقون إلى نقل الجثة وإزالة بقع الدم، وبعدئذٍ أعقبه في الحضور إلى المحل ضابط آخر. وفي تخطيط دقيق تم قطع أسلاك التليفونات؛ بحيث لم يعد من السهل إصلاحها، كما قامت مجموعة من الثوار بقطع الأسلاك المكهربة الخاصة بالسور المحيط بالمعسكر وقبل عدة دقائق من ساعة الصفر المحددة قام جوداه الحلاق بالنفخ في النفير كما كانت عادته وذلك للإعلان عن انتهاء العمل في المعسكر، وبدأ السجناء يصطفون في الطوابير كعادتهم، ولم يكن هناك في المعسكر ما يثير الشك أو الريبة، ومن الناحية الأخرى قام الحرس الأوكراني بالانتظام في صفوفهم المعتادة في انتظار حضور الضابط الألماني المسئول عنهم والذي تأخر عن المجيء لسبب أو آخر، ولم يعرف بمقتله من المخططين للثورة سوى القليلين.

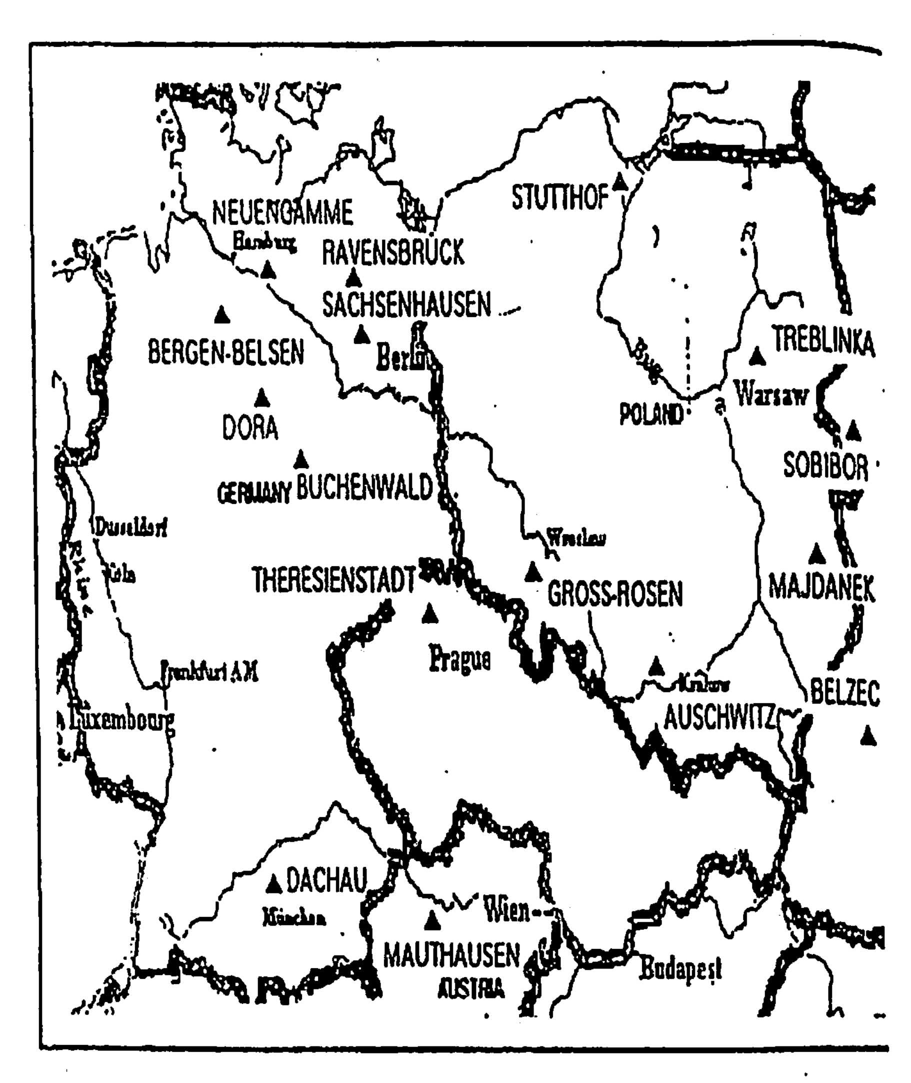
وظهر يهوديان يلبسان زي الحرس الأوكراني وتخفى يهودي آخر في زي ضابط ألماني واتجه ثلاثتهم إلى البوابة للحصول على المفاتيح. ولكنهم لم يعثروا عليها هناك، كل ما استطاعوا العثور عليه هو مفتاح بوابة صغيرة قريبة، وفي تلك اللحظة كسر اليهود أبواب مخزن الأسلحة واستولوا على عدة بنادق.

وفجأة ظهر حارس أوكراني يبحث عن قائده عند بوابة المعسكر فأطلق عليه الثوار النار وأردوه قتيلاً. وبدأ اليهود يتزاحمون على البوابة، وكذلك جرى بعضهم نحو سور الأسلاك الشائكة لاجتيازه والهرب منه، وأدرك الأوكرانيون أنهم يواجهون ثورة، ولكن الاضطراب ساد صفوفهم؛ لأن قيادتهم لم تكن موجودة لتأمرهم بإطلاق النار، وتمكن الثوار من قتل تسعة عشر ضابطًا من مجموع الضباط البالغ عددهم واحدًا وعشرين ضابطًا تحت قيادة نييمان قائد معسكر صوبيبور، وقد نجا أحد الضباط من الاغتيال لأنه تصادف غيابه عن المعسكر فى ذلك اليوم، وشعر ضابط آخر بوجود خطر على حياته، الأمر الذى جعله يمتنع عن الذهاب إلى المحل ويختبئ، وعندما تبين له أن الثوار بدءوا هجومهم خرج من مخبئه ليأمر الحرس الأوكرانى بإطلاق الرصاص باتجاه بوابة المعسكر، فسقط عدد من السجناء صرعى على الأرض وسدت جثثهم مدخل البوابة الصغيرة، كما أن عددًا كبيرًا من السجناء الفارين باتجاه البوابة الرئيسية المغلقة ماتوا بنيران الحرس الأوكرانى الكثيفة. ورغم هذه الصعوبات نجح أربعمائة من السجناء فى الهرب من المعسكر مات منهم نحو مائة وخمسين سجينًا فى حين أن خمسين سجينًا لم يحاولوا الهرب؛ بسبب مرضهم وضعفهم.

والجدير بالذكر أنه لم ينج سوى أربعين سجينًا من مجموع الهاربين البالغ عددهم أربعمائة وأن معظم من نجا منهم من الموت هاجروا إلى إسرائيل، فضلاً عن موت الكثيرين منهم؛ بسبب انفجار الألغام المزروعة بمحاذاة سور المعسكر، وقام البولنديون بقتل الكثير من السجناء الهاربين فى الغابة، وسقط البعض منهم قتلى وهم يحاربون فى صفوف المقاومة التى انضموا إليها فى الغابة.

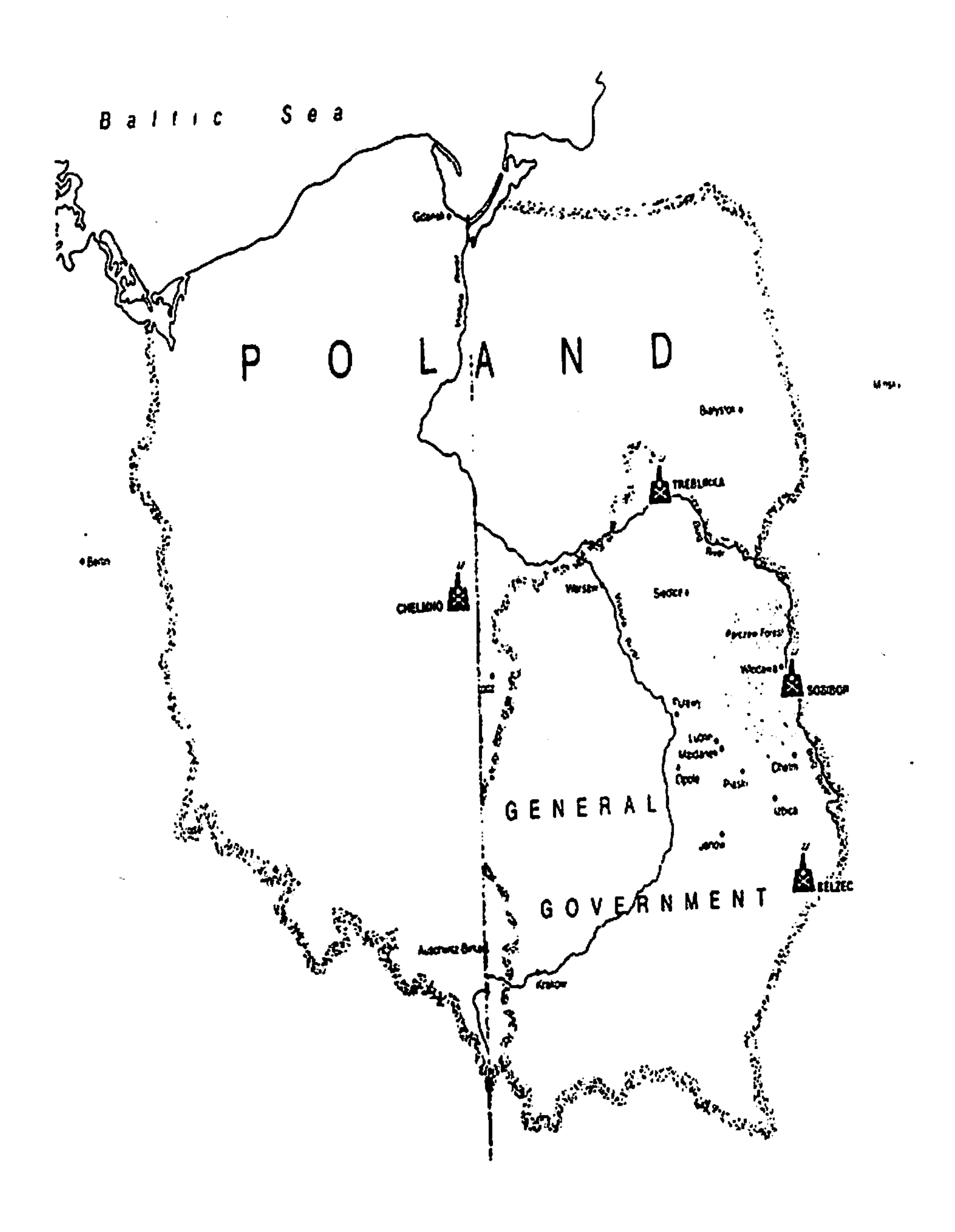
ويختم الشاهد موشيه باهير شهادته بقوله: إن ليف فيلدهندلر الذى رأى حلم الثورة يتحقق نجا من الموت وتزوج وأقام أسرة بعد تحرير معسكر صوبيبور بنحو ستة أشهر، ويضيف هذا الشاهد أنه عانى الأمرين قبل تحرير المعسكر، وفى يوم التحرير انضم إلى الجيش البولندى ثم هاجر إلى إسرائيل بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

والجدير بالذكر أن موشيه باهير كتب مذكراته نحو عام ١٩٥٠ وأنها نشرت فى تل أبيب عام ١٩٧٠ بعنوان: "متحف المقاتلين ورجال المقاومة".



Concentration Camps, 1933-1945

خريطة بمواقع معسكرات الاعتقال النازية في الفترة من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥



خريطة لمعسكرات الاعتقال فى بولندا

كتب وأبحاث أخرى للمؤلف

كتب باللغة العربية :

١ – برتراند راسل الإنسان، الدار القومية، القاهرة ١٩٦١.

٢ – برتراند راسل المفكر السياسى، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٦.

٣ – دراسات تمهيدية فى الرواية الإنجليزية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

٤ – توفيق الحكيم الذى لا نعرفه، مطبعة وهدان، ١٩٧٤.

٥ – اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.

٦ – برتراند راسل، تأليف آلان وود (ترجمة)، الأندلس، بيروت ١٩٨١.

٧ – س.ب. سنو والثورة العلمية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١.

٨ – موسوعة المسرح المصرى الببليوجرافية (١٩٠٠ – ١٩٣٠)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢.

٩ – موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٤.

١٠ – شكسبير فى مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ ونشرت ترجمته إلى الإنجليزية مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٢.

١١ – ماذا قالوا عن أهل الكهف، الهيئة العامة، القاهرة ١٩٨٦.

١٢ – جورج أورويل (حياته وأدبه)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

١٣ – الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها، الألف كتاب الثانى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.

١٤ – وول سونيكا (ترجمة)، الهيئة العامة لكتاب، القاهرة ١٩٨٩.

١٥ – أدباء روس منشقون فى عهد جوزيف ستالين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١.

١٦ – الأدب الروسى والبرويسترويكا، دار الهلال، القاهرة ١٩٩١.

١٧ – الأدب والجنس، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٣.

١٨ – الثالوث المحرم، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤.

١٩ – الشذوذ والإبداع، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٥

٢٠ – دراسات فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ١٩٩٥.

٢١ – من ستالين إلى جورباتشوف، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٩٦.

٢٢ – الإلحاد فى الغرب، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧.

٢٣ – الهرطقة فى الغرب، سيناد للنشر ومؤسسة الانتشار العربى، القاهرة وبيروت ١٩٩٧.

٢٤ – العلم والدين، تأليف برتراند راسل (ترجمة)، دار الهلال ١٩٩٧.

٢٥ – الرجل الذى مات، تأليف د. هـ. لورنس (ترجمة)، دار الهلال ١٩٩٨.

٢٦ – ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨.

٢٧ - رباعيات الشذوذ والإبداع، سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربى ١٩٩٨.

٢٨ - الهيود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال ١٩٩٨.

٢٩ - موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة فى العالم، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة ١٩٩٨.

٣٠ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى تأليف برتراند راسل (ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨.

٣١ - سيرة حياة برتراند راسل تأليف آلان وود (ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨.

٣٢ - اليهود والأدب الأمريكى المعاصر، دار الهلال نوفمبر ١٩٩٨.

٣٣ - صورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى، دار الهلال ١٩٩٩.

٣٤ - الهولوكست بين الإنكار والتأكيد، دار الهلال، ديسمبر ٢٠٠٠.

٣٥ - اليهود فى الأدب الأمريكى فى أربعة قرون، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١.

٣٦ - الهولوكست فى الأدب الأمريكى، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١.

٣٧ - الهولوكست فى الأدب الفرنسى، دار نهضة الشرق يناير ٢٠٠٢.

٣٨ - اليهود فى الأدب الروسى، دار نهضة الشرق يناير ٢٠٠٢

٣٩ - محاكم التفتيش، دار الهلال ٢٠٠٢.

٤٠ - محاكم التفتيش فى إسبانيا، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ٢٠٠٢.

٤١ - محاكم التفتيش فى إيطاليا، دار الهلال ٢٠٠٣.

٤٢ - أبرز ضحايا محاكم التفتيش، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤.

٤٣ – محاكم التفتيش فى فرنسا، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥.

٤٤ – ألبت آينشتاين: سيرة حياته، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥.

٤٥ – اليهود فى الأدب الإنجليزى من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٥.

٤٦ – الفجر بين المجزرة والمحرقة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦.

٤٧ – معسكر اعتقال داكاو، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦.

٤٨ – من أدب الانشقاق: ألكسندر سولجنتسن، دار الهلال ٢٠٠٦.

٤٩ – محرقة اليهود، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٦.

٥٠ – معسكر اعتقال برجن بلس، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧.

٥١ – العرب ومحرقة اليهود، دار أخبار اليوم ٢٠٠٧.

٥٢ – معسكر رافنزبروك للنساء، مكتبة الأنجلو ٢٠٠٧.

٥٣ – معسكر اعتقال ماثاوزن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧.

٥٤ – معسكر دورا، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

٥٥ – معسكر اعتقال بوخنوالد، مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٨

كتب تحت الطبع :

١ – فلاديمير ناباكوف (حياته وأدبه).

٢– معسكر اعتقال صوبيبور.

مقال باللغة العربية :

(أ) نقد رواية العنقاء تأليف لويس عوض، مجلس المجلة ١٩١٠.

(ب) كتب باللغة الإنجليزية :

1 - Naguib Mahfouz, The Beginnig and the End (Translation), The Amercian Univ. in Cairo, 1975 .

2 - George Orwell as an Ambivalent Writer. National Bookshop, Cairo 1978.

3 - Animal Farm, National Bookshop, Cairo 1978.

4 - Nineteen Eighty Four, National Bookshop, Cairo 1978.

5 - Hardy's Tragic and Ironic Vision in Tess, National Bookshop, Cairo, 1978.

6 - Shakespear in Egypt, Rapack, Cairo, 1980.

7 - English Literary Criticism, Univ. Book, Tanta 1985 .

8 - Macbeth, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989.

9 - The Mayir if Casterbridge, Anglo- Egyptian, Cairo, 1989.

10 - Sons and Lovers, Anglo- Egyptian, Cairo, 1989 .

11 - Joseph Andrews. Anglo- Egyptian, Cairo, 1989.

12 - King Learm Anglo- Egyptianm Cairo, 1989.

13 - Merchant of Venice, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1989.

14 - Jane Eyre, Anglo, Egyptian, Cairo, 1989 .

15 - A Passage to India, Anglo- Egyptian, Cairo, 1994.

16 - Robinson Crusoe, Anglo, - Egyptian, Cairo, 1994.

17 - Animal Farm, Anglo, Egyptian, Cairo, 1995.

18 - Lord of the Flies, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

19 - As You like It, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

20 - The Adventures of Huckleberry Finn, Egyptian, Cairo, 2004.

21 - Oliver Twist, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

22 - The Vicar of Wakefield, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

23 - Emma, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

24 - A Midsummer Night's Dream, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

25 - The Tempest, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

26 - Julius Caeasr, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

27 - Hamlet, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

28 - Romeo and Juliet, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

29 - Twelfth Night, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

30 - Sense and Sensibility, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

31 - To the lighthouse, Anglo,Egyptian, Cairo, 2004.

32 - Forhtcomig:Egypt in the Modern British Novel: A Collection of Articles on Newby, Ghali, Enright. Forster, Liddell and Olivia Mannin. Published in Al-Ahram Weekley in the following issues, 4 July, 5 September. 10.24 October (1991) and 23.30 Juanuary, 1.23 April (1992).

مقالات باللغة الإنجليزية :

1 - John Wain's "Young Visitors", Faculty of Alsun Journal, 1975.

2 - King Lear as a Religious "Play". Faculty of Alsun Journal, 1967.

4 - The Development of Liberal Culture in Modern Egyt". as series of articles published in the Egyptian Gazette in the following issues, 23.30 March, 6.13 20. 27. 28 April, 4.11 May, 1983.